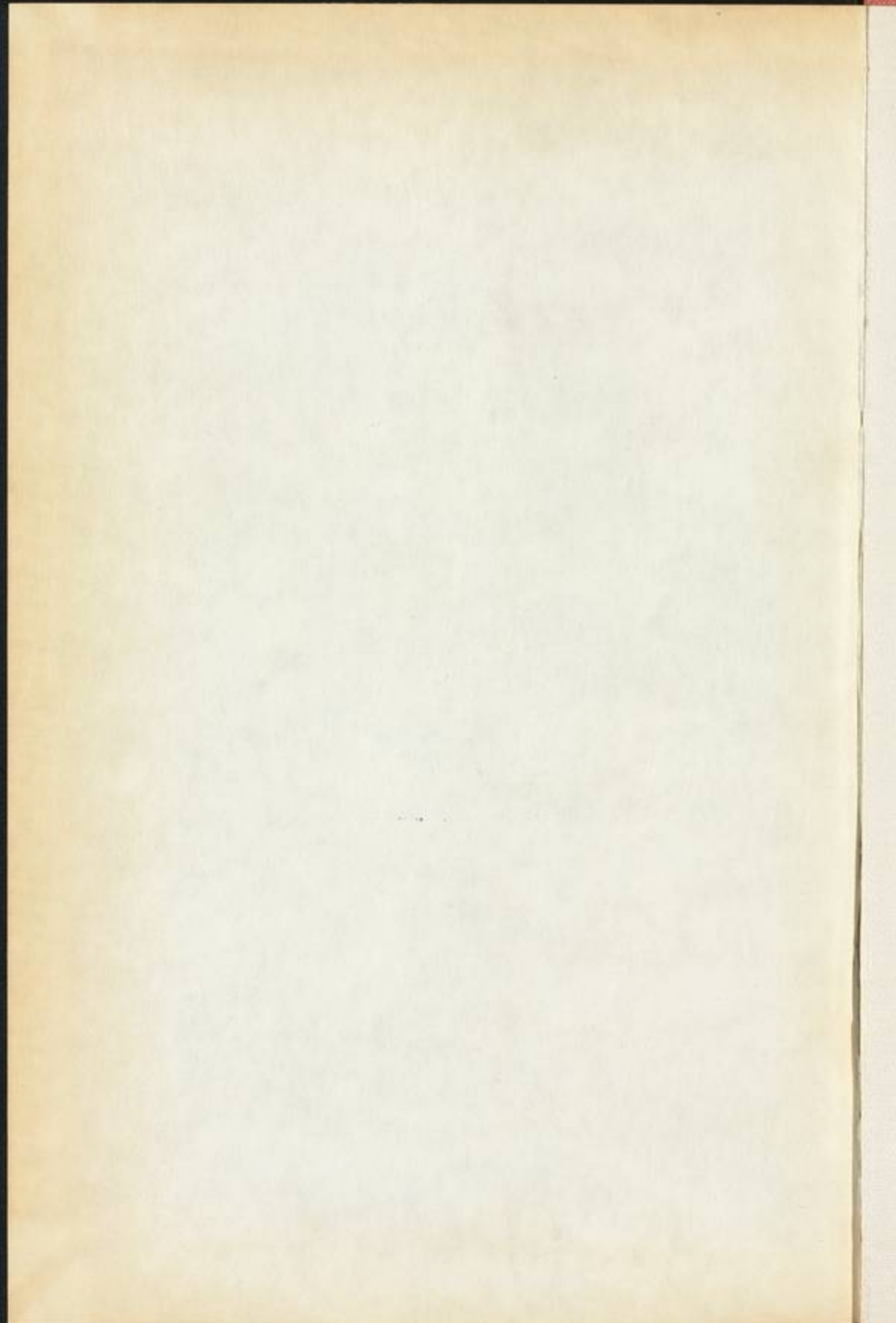
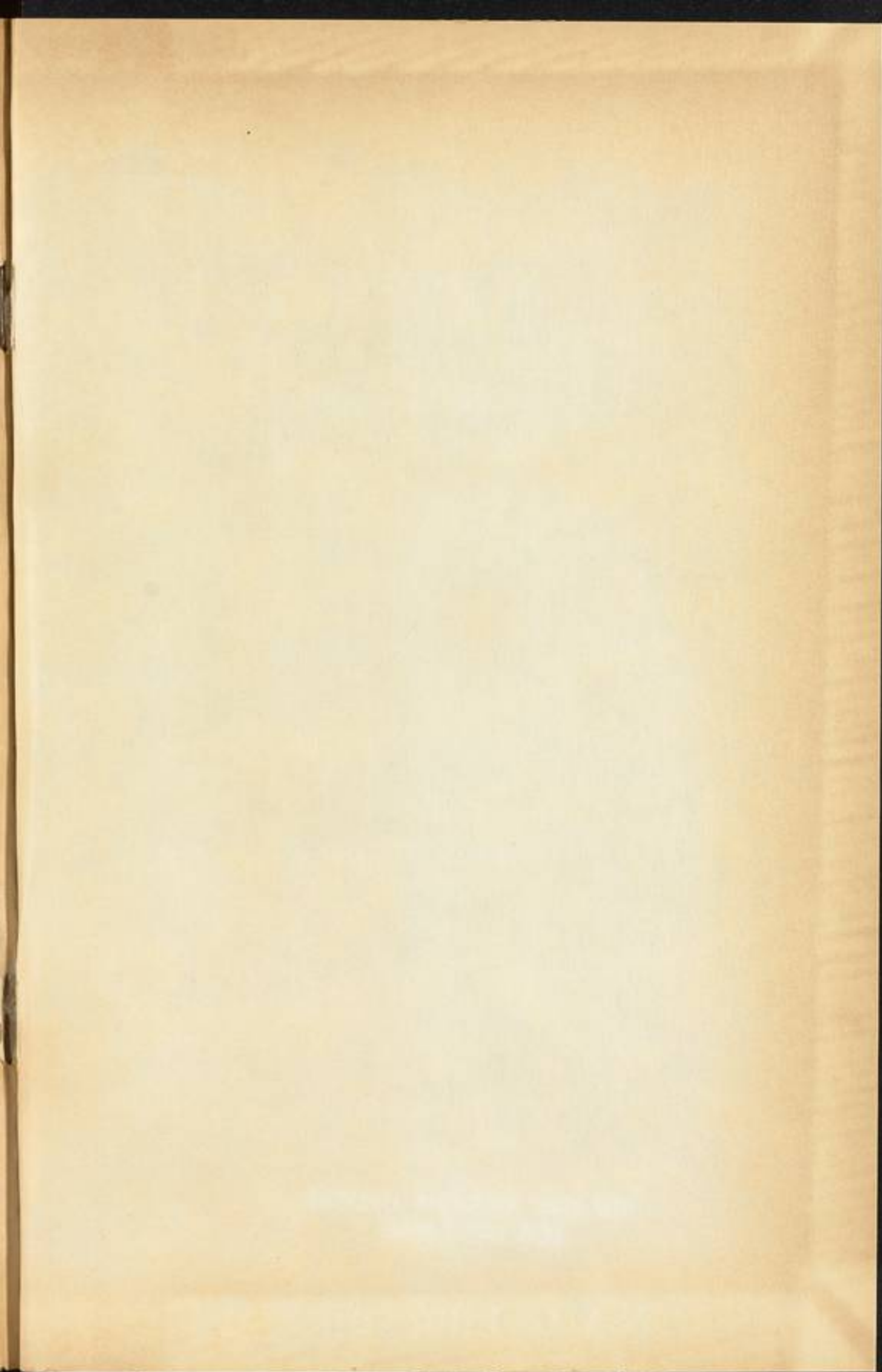




GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





Mulīn, Muḥammad al-Rashīd.

محمد الرشيد مدين

Nidāl Malik

نكاح

صاحب الجلالة

اسيدي محمد بن يوسف



المعركة ضد أفعال الاستغلال

للطباعة الكونية

الرياض

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

N.Y.U. LIBRARIES

Near East

~~DT~~

~~324~~

~~.3~~

~~.M6~~

~~.M8~~

~~c.2~~

DT

324

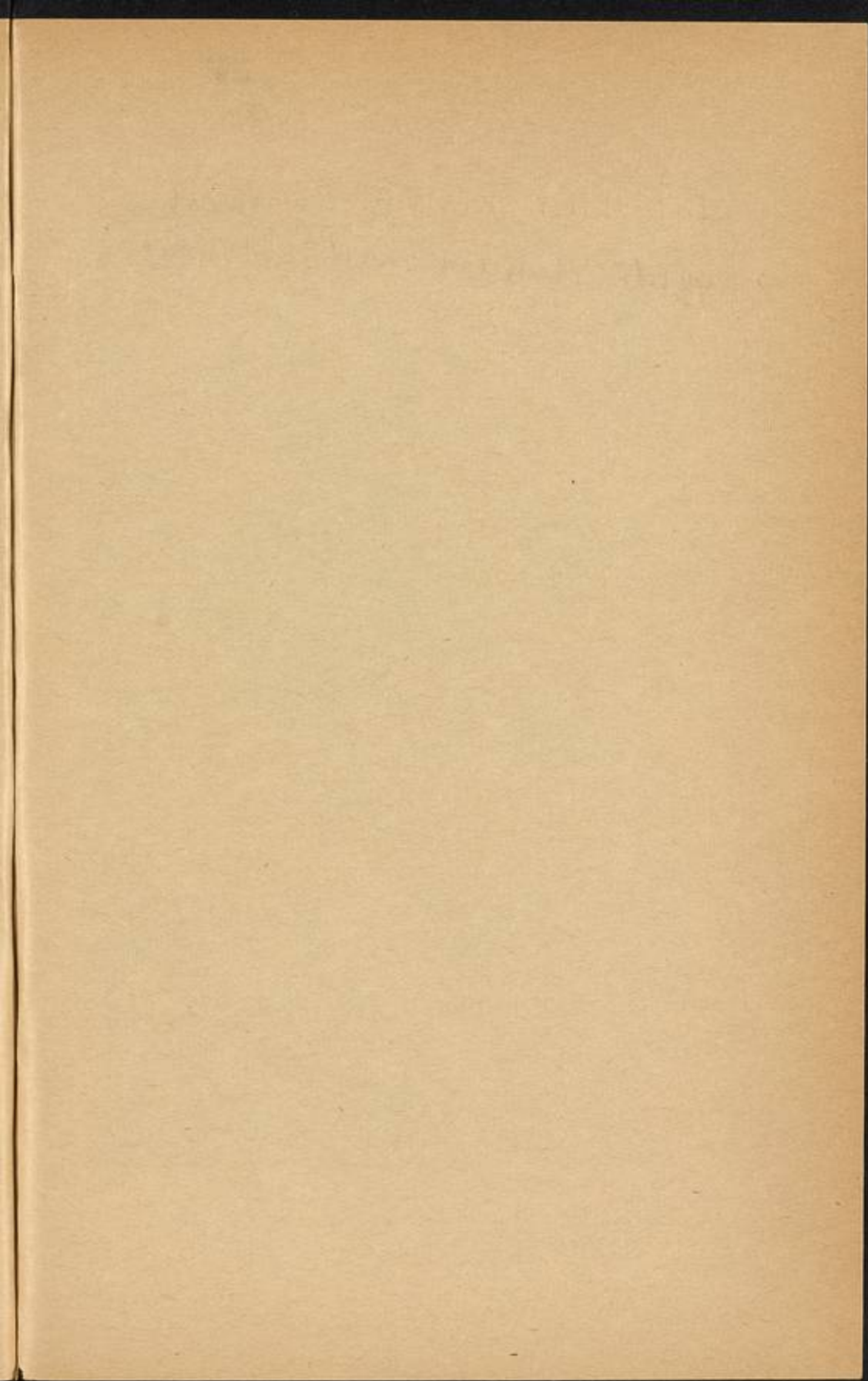
.3

.M3

M6

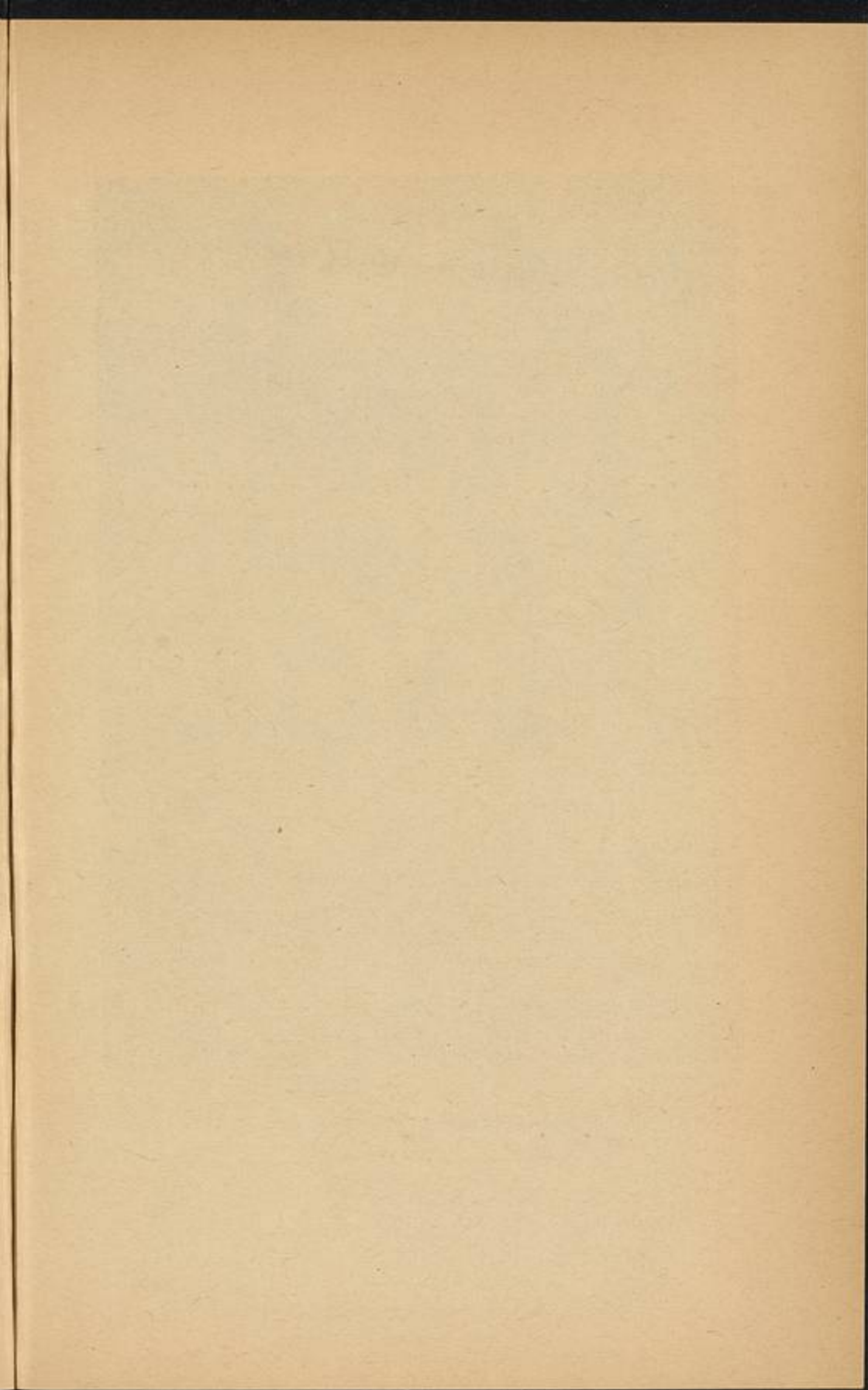


جلالة محمد الخامس



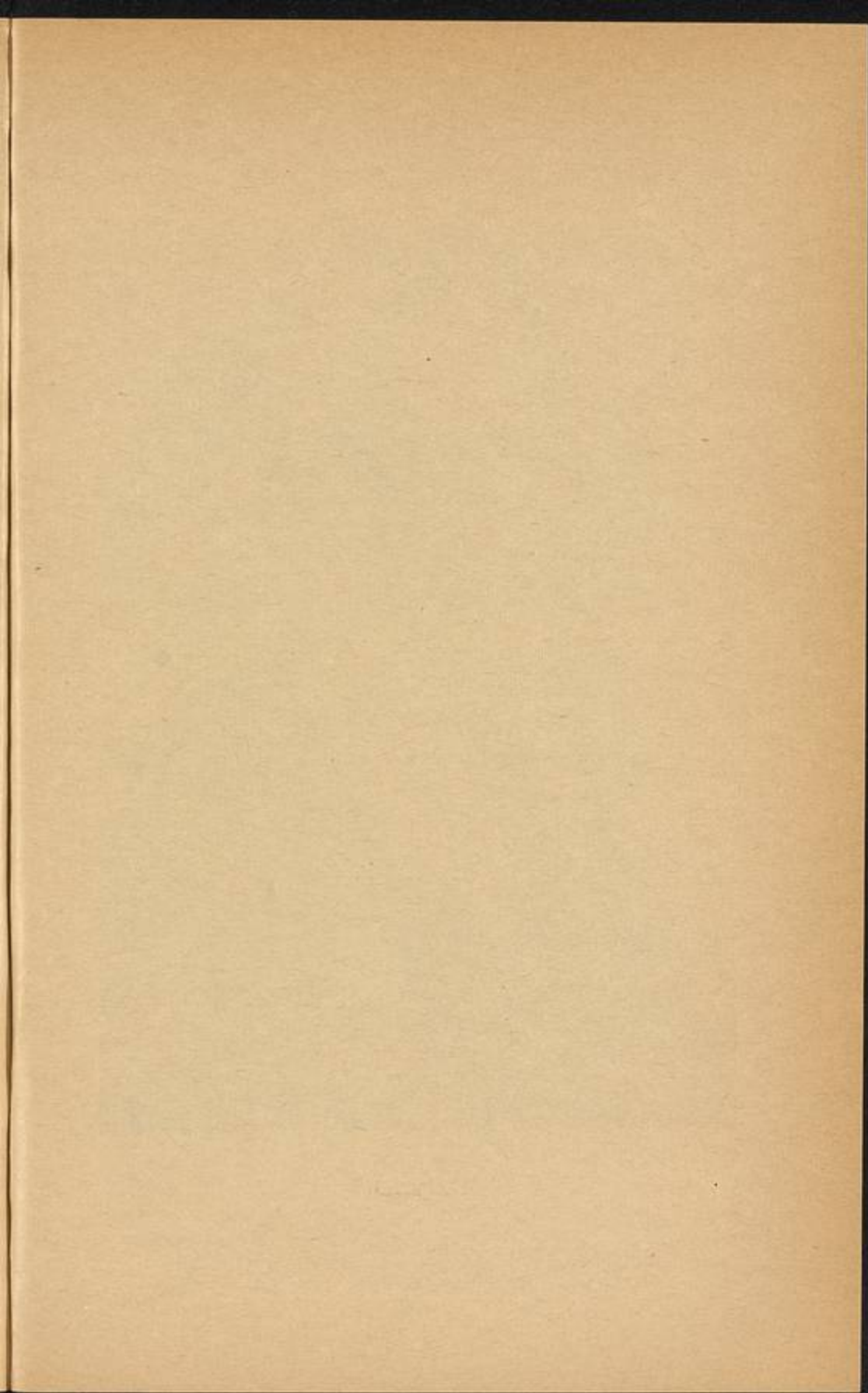


سمو الامير مولاي الحسن
ولي العهد ورئيس اركان الجيش





المؤلف



إهداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن ،
ولي عهد المملكة المغربية ورئيس أركان جيشها ؛
مولاي صاحب السمو الملكي ؛

إذا تشرفت برفع هذا المجهود الفكري إلى مقامكم السامي ،
فما ذلك بقصد إطلاع سموكم على تفاصيل نضال ملكنا المفدى
الذي سار بالمغرب من الحماية إلى الاستقلال ، إذ كان سموكم
ولا يزال وسيبقى العضد الأول ، والرفيق الموفق ، في جميع المواقف
التاريخية الخالدة ، التي عاشتها بلادنا تحت قيادة محمد الخامس ،
ورعاية العائلة المالكة الشريفة ، وإرشاد العرش العلوي المجيد ،
الذي تمثلون مستقبله أحسن تمثيل ، وتسهرون على حفظ كيانه ومميزاته ؛
وانما هديني أن يحظى عملي هذا برضاكم وتشجيعكم ، كما أعلل النفس
بشرف الحصول من سموكم على المعلومات المتعلقة بحياة عاهلنا العظيم ،
في الحقبة التي عاشها في المنفى ، بعيداً عن الوطن وعن الشعب ؛
وكان لسموكم شرف القيام بدور إنساني وسياسي عظيم ، فكنتم ترجمان
الشعب والناطق باسم الوطن ، كما كنتم الساهر على حفظ ذلك النور
الذي أملوا إطفاءه - يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

لقد كانت المحنة التي امتحن بها المغرب ، الفرصة الثمينة
التي مكنت من إبراز الحصال الجليلة التي يمتاز بها سموكم ؛ فأنتم مثال
الرجولة الكاملة ، والشجاعة النادرة ، والاقدام البديع ؛

فإذا ما ائتمنكم صاحب الجلالة دام عزه ، على حفظ كيان البلاد ،
وعلى قيادة الجنود المغاربة الأبطال ، وعلى ضمان اطمئنان الأفراد
والجماعات على حقوقها ، فقد شاهد - في مواقف الشدة - ما خصكم
الله به ، من مواجهة الصعاب ، وحسن التدبير ، وإتقان الخطط ،
وإصابة المرمى .

إن تبوأكم مقعد القيادة العليا للجيش ، هو أفضل ضامن للنظام
والأمن والازدهار في مغربنا العزيز ، ولتحرير النفوس والأفكار
من القيود التي كانت تكبلها ؛

فمسي أن يلقى هذا الكتاب العطف الذي يؤمله ،
والتشجيع الذي يلتمسه ، فلقد ألف المؤلف أن يجد لدى سموكم
الالتفات الجميل ، والعموم الكريم اللذين أغدقتموها على رجل جعل
خدمة الوطن غايته ، والولاء للعاهل العظيم مبدأه ، والوفاء لسموكم
برنامجاً وخطته .

حفظكم الله يا مولاي ، وسدد خطاكم ، وأمدكم بعونه لأداء
الأمانة العظمى الملقاة على كاهلكم ، وأدام عز مولانا محرر البلاد ،
وموحد ترابها ، وموقظ الأمة ، وهادي خطاها ، صاحب الجلالة والمهابة
سيدنا محمد الخامس ، الذي يؤمل المؤلف أن يكون قد وفق لإعطاء
الشعب المغربي فكرة عن ناحية من مناحي عبقريته ، وصورة صادقة
عن جانب من جوانب عظمته ، وفصلاً من فصول تاريخ حياته المليئة
بجليل الأعمال ، وعظيم المآثر ، وخالد المواقف .

إلى الأستاذ محمد الرشيد ملين ؛

لقد اطلعت على كتابكم القيم الذي خصصتموه لنضال صاحب الجلالة ملك المغرب سيدي محمد الخامس ، ولسيره بشعبه الوفي من الحماية إلى الاستقلال ، فوجدت في طياته ، صورة صادقة لتلك المعركة الحامية الوطيس بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، كما وجدت تفهماً للروح التي بفضلها تغلب ملكنا المفدى على كل العراقيل والعقبات ، وقاد بها أمته نحو تحقيق أهدافها السامية : استقلال البلاد ، وتوحيد ترابها ، وضمان العيش الهنيء لجميع الرعايا ؛

ولقد كنتم أحد الافراد الذين تابعوا الأحداث عن كثب ، مما مكّنكم من تسجيل تطورها ، والتدقيق في البحث عن أسبابها ونتائجها ؛ كل ذلك في أسلوب شيق ، وصراحة كاملة ، وإظهار حقيقة الأحداث التي جرت في المغرب منذ فجر النهضة الوطنية ، وبالأخص في تلك السنوات الحاسمة من سنة 1947 إلى 1951 ، التي كان فيها القول الفصل ، والعمل المجدي ، والتوجيه النهائي .

فبفضل عزيمة الملك المغرب ، وقوة إيمانه وصبره ، وعظيم إيمانه وحكمته ، لم تزل قدم المغرب ، ولم تتزعزع إرادته ، حتى تم له النصر المين ، وتحققت أمانه الغالية ، برجحان كفة الحق . فإذا كانوا أرادوا أن ينزعوا الملك المفدى عن عرشه ، كي يحتفظوا بنظام الحماية ، إذ علموا أنهم بين أمرين ، إما الحماية مع التجرؤ على

صاحب العرش ، وإما الاستقلال على أساس التفاهم معه ، فقد أراد الله
- ولا راد لارادته - أن يجعل من المحنة الملكية فرصة لاحتراز
الفوز العظيم : القضاء على الحماية وإعلان الوحدة والاستقلال .

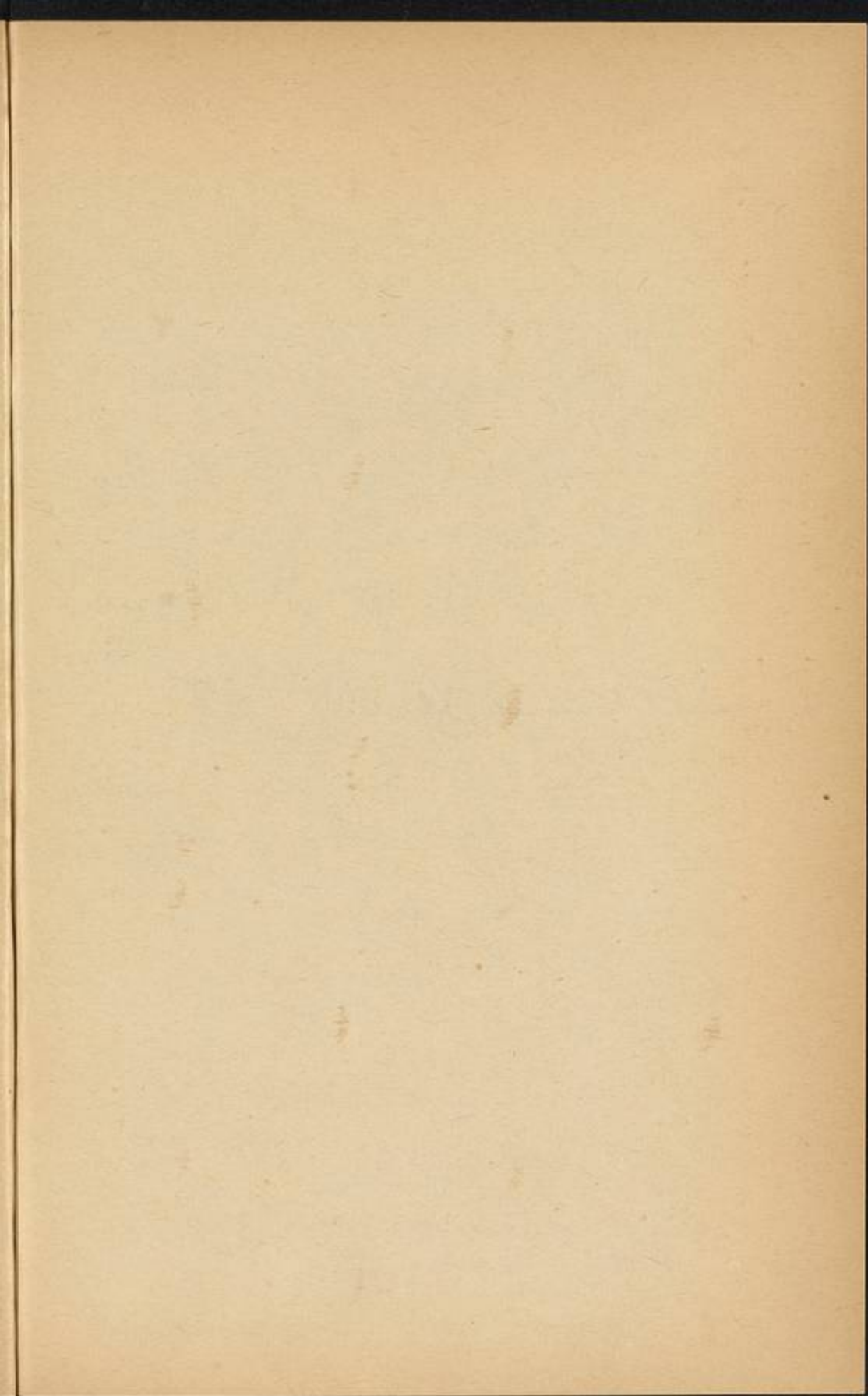
وها نحن اليوم ، نجني ثمار هذا النضال ، ونبتهج بنتائج الجهود
العظيمة التي أنفقها ملكنا المقدى في سبيل شعبه . فلتأبروا في خطمكم ،
ولتأبموا تسجيل تاريخ أبي المغاربة أجمعين ، فستجدون لدى ابنه البار
وولي عهده ، العون الذي يمكنكم من إطلاع الرعية المغربية على تفاصيل
جهاد ملكها المضحى في سبيل هئأها ومجدها .

إن عملكم هذا جدير بكل تشجيع ، إذ يلقى إضواءً على حقبة
من تاريخ المغرب هي ولا شك أهم حقبة في تاريخ تطور الأمة المغربية .
ففي أثنأها خرجت بلادنا من عهد الاقطاعية إلى عهد الحرية ،
ومن الحجر والحماية ، إلى نظام الاستقلال .

فلتعمل الأمة على أن تكون جديرة بملكها ، ولتقدر النخبة
المغربية مدى الفضل العميم المسدى إليها من طرف عاهلها ،
وليسجل التاريخ مفاخر هذا الملك العظيم ، الذي أجمعت الأمم والملوك
والرؤساء على التنويه به ، والتقدير لأعماله ، والاعجاب بتضحياته .

ولي عهد المملكة المغربية
ورئيس أركان القوات الملكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ



فى يوم الخميس ٥ أكتوبر سنة ١٩٥٠ فى وسط
جماهير غفيرة من جميع طبقات الشعب المغربى فيها
كبار الموظفين من باشوات وقواد وفيها العلماء من
عواصم الشمال والجنوب وفيها الاعيان من رؤساء
الغرف التجارية والفلاحية وأعضائها من جميع أنحاء
المغرب وفيها الشباب من كل المنظمات السياسية
والجمعيات الرياضية خرج الموكب الملكى من القصر
البيضاوى العامر تحت هتافات الشعب البيضاوى
المتحمس .

وكانت السيارة التى أقلت صاحب الجلالة الملك
سيدى محمد بن يوسف أيده الله وبجانبه صاحب
السمو الملكى مولاي الحسن ولى عهد المملكة المغربية
تسير ببطء كى يتمكن رعاياه المخلصون لعرشه
المتفانون فى الوفاء لشخصه من ملء أبصارهم
وذاكرتهم من صورة متبوعهم الاعظم وزعيمهم الفذ .
وكان صاحب الجلالة بابتسامته الساحرة وبإشارة
راحته الكريمة يرد بعطف وحنان على حماس الشعب
فى تعلقه بسلطانه وكان الحماس فى كثير من الاحيان
وبالاخص فى الشوارع القريبة من الميناء يبلغ من
الحرارة مبلغا يضطر معه الملك الى الوقوف فى سيارته
للتعبير لامته الوفية ورعيته المخلصة عن مبادلتها لها
حبا بحب واخلاصا باخلاص ووفاء بوفاء .

واقترب الموكب الملكي المتركب من السيارة الملكية
ومن سيارات وزير العدالة ورئيس المجلس الاعلى
للاستئناف الشرعى ورئيس المحكمة العليا ومندوبى
المصدر الاعظم وأعضاء الديوان الملكى ، اقترب من
ميناء الدار البيضاء عاصمة المغرب التجارية ومرساة
العظيم على شاطئ المحيط الاطلسى وكانت الميناء على
سعتها تبدو أمام تهافت المغاربة ضيقة غير كافية لضم
جميع الراغبين فى التشرف برؤية سلطان البلاد
ووداعه قبل سفره الميمون ، وكانت الراية الحمراء
رمز ذاتية المغرب وكيانه القويم فوق المنازل والمتاجر
وفى الازقة والشوارع ، كما كان يحيى بها طلبة
المدارس ورجال المعامل وبالاخص عملة الميناء الذين
تسلقوا منذ مدة طويلة أعمدة آلات الميناء الناقلة حتى
تتسنى لهم مشاهدة حفلة الوداع المؤثرة .

وكانت الباخرة الفرنسية (جورج ليك) التى
اختارتها الحكومة الافرنسية من بين قطع الاسطول
الافرنسى لنقل الركاب الشريف ، ركاب عاهل المغرب
من الدار البيضاء الى بوردو الميناء الافرنسى الكبير ،
كانت متهيأة لاستقبال سلطان المغرب ، وعلى العمود
الاول للباخرة لاحظ الجميع بارتياح وابتهاج العلم
المغربى الخفاق الذى رفع تشريفا للزائر العظيم .

ووقفت السيارة الملكية ، وترجل صاحب الجلالة ،
وبعد ما وقف برهة أمام العلم المغربى والعلم الافرنسى
أقبل العلماء والاعيان والموظفون يتسابقون للشم

الراحة الكريمة وتوديع المسافرين الجليل والدعاء له
بالنصر والتأييد والتمكين .

وتسلق الملك بخفة ونشاط سلم الباخرة الحربية
التي اصطف بحارتها فى خشوع وخضوع لتحية
الشخصية المغربية المشرفة لمركبهم .

وقدم ربان الباخرة (جورج ليك) الذى أنيطت به
مهمة السهر على راحة الملك ، الى ضيفه عبارات
الترحيب والتعظيم ، ثم بعد ذلك توجه صاحب الجلالة
وبرفقته سمو الامير مولاى الحسن ولى عهد مملكته
وخليفة سوس الامير مولاى الحسن ووزير القصور
السلطانية ومستشار المخزن مسيو كلوزيل ورئيس
المكتب الملكى الى قاعة استقبال صغيرة ، وهناك جلس
سيدى محمد بن يوسف مشيرا بالاذن لكبار مشييعيه
بالدخول للسلام عليه .

وكان الجنرال جوان مقيم فرنسا بالمغرب قد وصل
أثناء ذلك الى الميناء ، فصعد فى الحين الى الباخرة ومثل
بين يدي جلالة السلطان مسلما ومتمنيا سفرا سعيدا
ومعلما بأنه سيذهب على طريق الجو الى بورردو
لاستقبال الركاب الشريف هناك ، وتلا المقيم العام
مديرو الادارات المركزية ورجال المخزن .

ولما نزل كل المشييعين من مغاربة وفرنسيين ،
رفعت الباخرة مرساتها متجهة نحو الشمال ، قاصدة
عبر المحيط مدينة بورردو .

الرحلة السلطانية

هكذا فى جو مليء بالوداد والصفاء ، وبروح مشبعة بالتفاهم والتفاؤل ، ابتدأت رحلة سلطان المغرب الى الديار الفرنسية ، تلبية لاستدعاء رئيس الجمهورية الفرنسية مسيو فانسان أوريول الذى كانت تصله بصاحب الجلالة روابط صداقة متينة ، توثقت عراها عند ما زار المسيو أوريول المغرب فى أثناء رئاسته للمجلس الوطنى الافرنسى .

لم تكن هذه أول مرة يقوم فيها صاحب الجلالة سلطان المغرب برحلة الى فرنسا ، فقد سبق له قبل الحرب أن زار عدة مرات القطر الافرنسى وعاصمته ، كما حضر بباريز سنة ١٩٤٥ الاستعراض العسكرى الذى ترأسه حينذاك الجنرال دو كول وكبار قواد الجيش الافرنسى ، وبالرغم عن هذا فان الجميع كان يشعر بأن رحلة صاحب الجلالة هذه ستمتاز امتيازاً كبيراً عن كل سابقتها .

فاذا كان السلطان يذهب فيما مضى بقصد الراحة والاستجمام والاستفادة فى الصيف من اعتدال الطقس الاوربى ، فانه اليوم يقصد باريز لهدف آخر هدف وطنى سام ، ألا وهو عرض القضية المغربية بوضوح وصراحة ولكن بدون تهجم ولا عنف على أنظار رجال الحكومة الافرنسية التى كانت ترغب فى بناء علاقاتها السياسية مع الاقطار المرتبطة بها على أسس جديدة ملائمة لروح العصر الجديد عصر ميثاق سان

فرانسييسكو والامم المتحدة ، وتنظيم العالم تحت لواء العدالة والحرية والانصاف .

لقد جاءت الى القصر الملكي بالرباط رسالة من رئيس الجمهورية الافرنسية تستدعي عاهل المغرب لزيارة فرنسا ، وعند ما سلمها المستشار المخزني ألح على الجواب وتعيين تاريخ السفر ، وكأنه شعر أن هناك ترددا بين القبول والاعتذار ، فاذا حدث ياترى؟ ان صاحب الجلالة الذي ينتبع باهتمام احساسات الطبقة المتنورة من شعبه ، والذي لايعتبر نفسه الا ناطقا بلسان أمتة وحاميا لمصالح رعيتة ، كان يعلم أن أمر رحلته الى فرنسا قبل وصول الرسالة اليه قد أصبح شغل المغاربة الشاغل ، وموضوع اهتمام عظيم من لدن الطبقة المفكرة منهم ، فاذا كانت أغلبية الموظفين في المخزن الشريف وفي المدن ترى من المفيد القيام بهذه الرحلة اذ هي جديرة بأن تعود على المغرب والمغاربة بنتائج طيبة فان قسما كبيرا من الرأي العام المغربي الحر على العكس من ذلك كان يعتقد أن من الخطورة بمكان على كيان المغرب أن يزور السلطان عاصمة باريز ، لانه اذا كانت فرنسا قبل دستورها الجديد تستقبل سلطان المغرب بصفته رئيس دولة تربطه مع فرنسا معاهدة تضمن سيادته ونفوذه ومركزه ، فانها اليوم ستستقبله كرئيس جزء من تراب النظام الجديد الذي يسمونه (الوحدة الافرنسية) ألم ينص فصل من الدستور الافرنسي على أن الوحدة الافرنسية التي يترأسها رئيس الجمهورية

الافرنسية تتركب من فرنسا ومن المستعمرات السابقة ومن الدول المحمية تونس والمغرب؟ ألم يصرح أحد رجال الحكومة المسؤولين فى اجتماع للمجلس الوطنى الافرنسى أنه ليس من الضرورى أخذ رأى المغرب أو تونس لادماجهما فى الوحدة الافرنسية؟ اذن فهل لا يخشى أن يفسر سفر السلطان تفسيراً يجعل منه حجة على موافقة الملك على نظرية الدستور الافرنسى وبعض رجال الحكومة الافرنسية؟

نعم لقد كان السلطان منذ تصريح الوزير الفرنسى قد جمع للتشاور فى الموقف الذى يجب اتخاذه من هذا التصريح رجال مخزنه ، وعلى رأسهم الصدر الاعظم الحاج محمد المقرى ، وأستقرت أغلبية الآراء بعد جدال طويل شارك فيه المحافظون والمجددون من الهيئة المخزنية ، على أنه مهما كانت تصريحات الوزير الفرنسى ، ومهما كانت نصوص الدستور الفرنسى ، فان المغرب المحتفظ بسيادته ومقوماته الاساسية ، لا يمكن بناء على القانون الدولى الذى لم ينفك خاضعا له ، وبناء على أبسط قواعد المنطق السليم أن يدمج بالرغم عنه فى تلك الوحدة الفرنسية . فللسلطان اذن أن يلجى دعوة رئيس الجمهورية الفرنسية من دون أن يكون فى سفره الى فرنسا أى أثر على وضعية الدولة المغربية ، وعلى مستقبل التطور السياسى بالمغرب ، وعلى نوع العلاقات المغربية الفرنسية .

العلاقات المغربية الفرنسية

حقا ان هذه العلاقات قد مرت في صلب السنين العشر الاخيرة بأزمات حادة كادت تقضى على الصداقة المغربية الفرنسية ، تلك الصداقة التي وفي لها سلطان المغرب وعمل على توطيدها وتمتينها بكل ما أوتي من قوة ونفوذ ، ألا يتذكر الفرنسيون القاطنون بالمغرب أو بفرنسا موقف صاحب الجلالة من بلادهم سنة ١٩٣٩ حينما شنت عليها القوات الهتليرية غارتها الشعواء تبغى محققها من الوجود ؟ ألم تكن تلك الرسالة الملكية التي قرأها القضاة في مساجد مدن المغرب وقرراه والتي تأمر المغاربة بالوقوف عند المحنة الى جانب الفرنسيين ممها كلفهم ذلك من تضحية ، ألم تكن تلك الرسالة أروع مثال للوفاء بالعهد والثبات عليه ؟

حرب ١٩٣٩

ألا يتذكر الفرنسيون موقف صاحب الجلالة من بلادهم سنة ١٩٤٠ عندما جاء المعتمد بالاقامة العامة حينذاك المسيو موريز وعينه تسيل دمعا وقلبه أسى وألما ، يحمل الى الجناب الشريف النبأ العظيم ، نبأ هزيمة فرنسا وتسليمها أمام القوات الالمانية ؟ لقد أبت أريحية الملك ، وروحه الطاهرة ، الا أن تتجلى في أبداع مظاهرها وأجمل صورها ، من خلال تلك الكلمات الرفيعة التي شافه بها ممثل فرنسا :
(اننا أصدقاء فرنسا ، كنا أصدقاءها في أيام قوتها وازدهارها ، ونحن اليوم لازلنا أصدقاءها في

محنتها ومصيبتها ، فليس من طبع المسلم وليس من طبع المغربي أن يخون عهد الصداقة ، فلتكن الحكومة الفرنسية مرتاحة البال فيما يخص المغرب)

فما كان من المعتمد بالاقامة العامة ، الا أن انحنى بخشوع وخضوع ، على يد الجلالة الشريفة يقبلها شكرا واعترافا بجميل هذا الرجل العبقري الوفي الذي منعه وفاؤه من استغلال الظروف في وقت كانت أنظار الدول الصغيرة المغلوبة على أمرها كلها متجهة صوب ألمانيا ، مؤملة منها تحقيق تحريرها ووضع حد للنفوذ الاجنبي فيها . ألا يتذكر الفرنسيون تلك الجحافل الجرارة من الجنود المغاربة رماتهم وكومهم التي جندت باسم صاحب الجلالة للمساهمة في الدفاع عن فرنسا ولاراقة دمائهم ثمنا لطردهم عدو فرنسا من أرضها .

حقا ان سلطان المغاربة قد أقام البراهمين الساطعة على أنه أحرص الناس على الوفاء بالعهد ، وعلى الثبات في عواطف الاخلاص ، ولكن هل عواطف الصداقة هذه ستصده عن القيام بواجبه كملك للمغرب مسؤول أمام الله وأمام شعبه عما يبذله من جهود في سبيل ترفيه حالة رعيته ، وفي تعبيد الطريق أمام أمته لكي تسير بخطى متئدة نحو القوة والازدهار ؟

مبادئ السلطان

كلا ثم كلا ! ان سلطان المغرب رجل مسلم عربي وطني .

مسلم يعتقد أن المسلم فى مشارق الارض ومغاربها
أخو المسلم يجب عليه مسانדתه ومعاضدته واسعافه
عربى يومن أن اللغة العربية لغة القرآن وسيلة
فعالة لجمع شتات العرب وتوحيد كلماتهم حول
برنامج عملى جدير بتحقيق مطامحهم .

وطنى مغربى يجهر بأنه مستعد للتضحية بعرشه
وماله ، بل وروحه فى سبيل سعادة المغرب ورفاهية
المغاربة .

فهل سيقدر الفرنسيون القاطنون بالمغرب أو
بفرنسا هذه العواطف السامية حقا ، أم سيضجرون
من أقوال هذا الرجل وأعماله التى ستصادم ، ولا ريب
فى ذلك ، مصالح قسم من جاليتهم ، قسم ألف أن يرى
فى التراب المغربى جزءا من التراب الفرنسى ؟

ان سلطان المغرب يوقن أن المغرب الذى يجروا
تاريخا حافلا بجلائل الاعمال ، والذى احتفظ باستقلاله
وحريته طيلة قرون عدة ، جدير بأن يقطع المراحل قطعا
وأن يسترد فى أقرب وقت مركزه كدولة ذات كيان
تام ، ووجود مستقل .

ولبلوغ هذا الهدف ، ولتحقيق هذه الامنية ، يجب
على كل مغربى ، وبالاخص على المغاربة المسؤولين ، أن
يكونوا متنبهين حذرين مترقبين للمفرصة السعيدة .

السلطان روزفيلت

وظن أن هذه الفرصة قد سنحت عند ما أخبر
سلطان المغرب سرا فى سنة ١٩٤٣ أن رؤساء الدول
الحليفة روزفيلت رئيس جمهورية أمريكا وتشرشيل

رئيس الحكومة البريطانية ودوكول وجيرو رئيسا
الحكومة الفرنسية قد اختاروا ميناء البدار البيضاء
مكانا لعقد اجتماع يدرسون فيه خطط متابعة الحرب
ويضعون أثناءه أسس إعادة نظام عالم ما بعد الحرب
يالهها من فرصة سعيدة ، لقد بدلت الظروف غير
الظروف ، وأصبحت الدول الغربية المبعثرة القوى
المشتتة الافكار ، متحدة تنمو قوتها يوما بعد يوم ،
وأخذ الملاحظون يرون بوادر الانتصار الغربى تبدو
للعيان ، فهل هناك ظرف أكثر ملاءمة للمطالبة بضمان
مستقبل مجيد للمغرب ، مستقبل جدير لا بماضى
المغرب فحسب ، بل بوفائه وثباته وتضحياته أيام
المحنة التى صبت على فرنسا وحليفاتها أنكلترا ؟

وأسرع سلطان المغرب معه ولى عهده ، ورئيس
حكومته ، ومدير ديوانه ، الى الدار البيضاء ، يستقبل
بحرارة وحماس ضيوف المغرب العظام ، يهش فى
وجههم ويبش ، وابتدأت المذاكرات بين الحلفاء
واتخذت قرارات هامة فى شأن الحرب والسلام ،
وكانت الاجتماعات السياسية تتخللها مذاكرات على
هامشها وبالاخص على مائدة الطعام .

وفى حفلة عشاء مقامة على شرف الزائرين بقلعة
تحمل اسم (دار السعادة) جلس سلطان المغرب الى
جانب روزفلت الذى أعجب بالمغرب أيما اعجاب ، وأخذ
الرئيس يتحدث الى سيدى محمد عن نظريته فى
تسيير الحرب وعن أمله فى تنظيم العالم بعد النصر

وبنائه على أسس انسانية نبيلة تحل محل النظم العتيقة التي سادت علاقات الامم بعضها مع بعض . ان عالم ما بعد الحرب كما يريد الحلفاء وبالاخص الشعب الامريكى ، ستسوده العدالة والاخوة ، وسيكون لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها ، قويا وضعيفا ، غريبا وشرقيها ، مسلما ومسيحيها ، نفس الحقوق ونفس الواجبات . ان عهد الاستعمار وعهد ترتيب قيمة الشعوب بحسب قوتها المادية قد انقضى واندر . ان نصر الحلفاء فى هذه الحرب معناه تحرير الشعوب وتمكينها من تقرير مصيرها وتسيير شؤونها بنفسها ، وآنس السلطان من محدثه استعدادا وتشجيعا فأقبل عليه يبته آماله ومطامحه ، ويفصح له عما يؤمله لوطنه من رقى سريع وتطور شامل وتشوف لتحقيق استقلال مبنى على أسس هذا النظام الجديد .

فاذا كان الرئيس روزفيلت ويعضده فى ذلك ممثلوا انكلترا وفرنسا يعمل على تهيبء دستور عالمى وتنظيم اتحاد يضم شعوب الارض جمعاء ، فان المغرب ولاشك سيكون من أول المستفيدين من هذا النظام ، وسيكون له مقعده فى هيئة هذا الاتحاد . وابتسم الرئيس روزفيلت فى وجه السلطان سيدى محمد وقال له : لاريب انى أعدك بذلك .

ورجع السلطان وحاشيته بعد ما انقض المؤتمر البيضاوى الى عاصمة الرباط لمواصلة العمل اليومى فى اطمئنان وراحة .

غير أنه بعد أيام أخذ يشعر أن صلات الإقامة العامة الفرنسية بالقصر السلطاني أخذت تكتسى حلة ماعهدتها من قبل ، فقد بدا فيها شيء من البرودة والجفاء فهل سيكون الفرنسيون ، حلفاء أمريكا ودعاة المبادئ الانسانية وحماة الحرية والمساواة والاخوة ، قد استاءوا من الحديث الذي جرى بين الرئيس روزفلت وسلطان المغرب ؟

ان الحديث الذي جرى بين سلطان المغرب والرئيس روزفلت لم يكن موضوعه الحالة بالمغرب ولا تطور العلاقات المغربية الفرنسية ، ولم يكن الهدف الذي يرمى اليه صاحب الجلالة من وراء هذا الحديث هو عقد اتفاق مع أمريكا على حساب فرنسا ، بل كانت غايته جعل المغرب يستفيد من النظام الذي كان يهيئه الرئيس الامريكى باتفاق تام مع رفاقه ممثلى أنكلترا وفرنسا .

نعم ان البعض من موظفى الإقامة العامة قد أظهر امتعاضا شديدا من هذا الحديث ، وبالاخص من الوعد الامريكى ، وعد ذلك لايتلاءم والصدقة الفرنسية المغربية ، بل يتناقض تماما مع طبيعة العلاقات التى تربط المغرب بفرنسا .

فكان حديث السلطان وروزفيلت هذا سحابة مظلمة فى تاريخ العلاقات الرسمية الفرنسية المغربية غير أنه نظرا لكون محادثة الدار البيضاء سرية ، لم يكن لهذا الاصطدام الاول أى أثر فى الشعب

المغربي الذي لم ينفك طيلة الحرب عاملاً بأوامر صاحب
الجلالة نابتا على وفائه لحليفته وصديقته فرنسا
ولكن الاصطدام الثاني الذي حدث في سنة ١٩٤٤
تطايير شزره فكاد يشعل نارا تضطرم في بلاد المغرب

نشأة حزب الاستقلال

ففي أواخر سنة ١٩٤٣ وتحت تأثير الافكار
التحريرية التي كانت تملأ الافئدة في ذلك الحين ،
وأمام العمل الانساني الجليل الذي قام به باسم فرنسا
المقاومة الحرة الجنرال كاترو بوفائه للعهد الذي قطعه
على نفسه بتحرير سورية ولبنان ، والقضاء على نظام
الانتداب الذي لم يؤت أكله ولم يرض مطامح
السوريين واللبنانيين ، أمام هذه العوامل تكون
بالمغرب حزب أطلق على نفسه اسم (حزب الاستقلال)
وكان هدفه تحقيق استقلال المغرب السياسي بمحو
معاهدة سنة ١٩١٢ وابدالها بمعاهدة جديدة ترد
للمغرب ما نقصته معاهدة فاس من سيادته ، وكان
حاول هذا الحزب الذي ضم أعضاء الحزب الوطني والحركة
القومية وعددا من المثقفين الشباب ، وبالاخص أعضاء
المجلس الاداري لجمعية تلامذة المدرسة الادريسية
بفاس ، بمثابة جبهة وطنية وحدث صفوف العاملين
في الميدان الوطني الشعبي المغربي .

الثورة الريفية

والشعب المغربي قد عرف منذ القديم بتعلقه
باستقلاله ومقاومته لكل نفوذ أجنبي مهما كانت
الصبغة التي يكتسيها أو اللون الذي يصطنعه ،

فالمغاربة لم يكونوا آخر من فتح المجال للتدخل الاوربي فحسب ، بل انهم بعد معاهدة فاس ، لم يفتأوا يناوئون القوات المحتلة ويشنون عليها الغارات ، وما الثورة الريفية التى قادها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ضد الحماية الاسبانية ، ثم مقاومته طيلة سنين عدة للجنود الاسبانية الافرنسية ، الا مظهر بارز من مظاهر روح المقاومة التى يمتاز بها المغربى ، ولقد تمادت المقاومة المسلحة فى الجنوب المغربى الى عهد قريب ، الى سنة ١٩٣٤ ولم تستسلم القبائل ويسود الامن المغرب من أقصاه الى أقصاه ، الا عندما وجهت اليها دعوة الخضوع الى سلطة رئيس المغرب الدينى وعاهل البلاد الشرعى سلطان المغرب .

الظهير البربرى

ولم يكن معنى هذا الاستسلام أن تغيرا جوهريا قد حدث فى طبع المغربى ، بل لم يكن ايقاف المقاومة المسلحة الا فاتحة عهد المقاومة السياسية ، ولقد كانت الاحتجاجات والمظاهرات فى مدن المغرب وبواديه ، والتى قامت اجابة لدعوة الاستاذ عبداللطيف الصبيحى فى سنة ١٩٣٠ ضد الظهير البربرى ، الرامى الى احياء قواعد العرف البربرى القديم المناقضة لتعاليم الدين الاسلامى الذى اعتنقه المغاربة وتشبثوا به مدة ثلاثة عشر قرنا ، كانت هذه المظاهرات باكورة أعمال الحركة الشعبية فى الحقل السياسى ، ومن نتائجها الاولى أن ربطت صلات بين الشباب المتخرج من المدارس العصرية فى مختلف المدن حدث بهم الى تنظيم جهودهم

وتوحيد خطتهم في مؤسسة أطلق عليها اسم (كتلة العمل الوطني).

وكانت خطة (الكتلة) مرتكزة على مطالبة فرنسا بتطبيق الفصل الاول من معاهدة فاس الذي يبين هدف التدخل الفرنسي بالمغرب ، ألا وهو انجاز اصلاحات سياسية واقتصادية وعمرانية وثقافية ، من شأنها أن تهيب ، الامة المغربية والدولة المغربية للمساهمة في الحياة العصرية المتطلبة معلومات فنية وادارية جديدة . وفي هذا المضمار قدمت كتلة العمل الوطني الى جلاله السلطان والى المقيم العام والى الحكومة الافرنسية ، لوائح مطالب جلها يتعلق بالتعليم وتعميمه ، والعدلية وتنظيمها ، وتمكين المغربي من الحريات الديمقراطية : حرية القول وحرية الاجتماع ، ولقد أصدرت (الكتلة) جريدة باللسان الافرنسي (عمل الشعب) عهدت بادارتها والاشراف على تحريرها الى الاستاذ محمد بن الحسن الوزاني المتخرج من المدارس الفرنسية العليا .

الحزب الوطني والحركة القومية

لقد قامت الكتلة ببث روح الوطنية فى مظهرها العصرى ، غير أنه فى سنة ١٩٣٦ اعتقد رجالها أن الاوان قد حان لتنظيم حزب مماثل للاحزاب القائمة فى الدول الاوربية ، له مجلسه الادارى وبرنامج عمله ونظام الانخراط فيه ، ولقد كانت هذه المحاولة التى جاءت وقت استيلاء الجبهة الشعبية على مقاليد الحكم فى فرنسا جديرة بأن تضع أسس حزب مغربى عتيدي

لولا أن منيت في مهدها بمصيبة الخلاف بين الشخصيتين البارزتين في الكتلة ، أعنى الاستاذ علال الفاسي والاستاذ محمد بن الحسن الوزاني ، فكان الاول وهو متخرج من كلية القرويين وثقافته عربية صرفة ، يرى أن ادارة الحزب وتوجيهه يجب أن يناط بالثقفين التقليديين ، اذ هم أقرب الى الشعب وأمس به ، وعلى العكس من ذلك ، كان الثاني ، وهو التلميذ السابق لمدرسة الشؤون السياسية بباريز ، يعتقد أن الاشراف على سير حزب عصرى لا يمكن أن يعهد به الا الى مثقف عصرى ، مشبع بالروح العصرية والثقافة الاوربية .

وبالرغم عن كل الجهود لتقريب وجهتى النظر ، لم يتمكن من الوصول الى حل وسط واجتمع قادة الكتلة للبحث فى الامر فكانت كفة التقليديين هى الراجحة واستقل الاستاذ الوزاني بعمله منشأ الحركة القومية وتابع الاستاذ الفاسي ورفاقه تنظيم الحزب الوطنى ، فظهرت جريدته الاسبوعية (الاطلس) وعهد بادارتها وتحريرها الى الاستاذ محمد اليزيدى ، وفى اثر ذلك صدرت جريدة الدفاع لسان حال الحركة القومية ، وبين الحزبين الجديدين لازمت الحياض جماعة من أعضاء الكتلة السابقين من بينهم كاتب هذه السطور الذى كان يرى أن التطاحن الحزبى لا يمكن أن ياتى بخير ، وأن بعثرة الجهود فى نشأة الحركة الوطنية لا تؤدى الا الى أسوء النتائج . غير أن هذا لم يحل بين هذه الجماعة وبين أخذ نصيبها فى حقل العمل المغربى

حينما شمر الجميع للعمل باخلاص وتفاني لخدمة القضية المغربية .

ولكن تطور السياسة الفرنسية ، وفشل الجبهة الشعبية ، لم يلبث بعد شهر أن أعقب حملة من طرف سلطات الحماية ، انتهت بتشتيت شمل الحزبين وإغلاق النوادي ، وإيقاف الصحف ، ونفى الاستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ، والقاء القبض على عدد من أنصار الحركتين .

وهكذا طعنت الحركة الوطنية طعنة نجلاء ، ولكن أمل الشعب وحيوية الامة لم يهنا ولم يفشلا .

ملك المغرب والعلم

فكل مغربي متتبع لمظاهر النهضة ، ملاحظ لدقائقها ، كان يسجل خطوات السير الرزينة المتتدة التي كان يخطوها بشعبه في ظروف خطيرة عويصة - ظروف الحرب التي أوقدت في سنة ١٩٣٩ - صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف . كانت خطة السلطان في طليعة الحرب (ويلاحظ ذلك في تصريحاته وخطبه) تتلخص في تحقيق شرطين أساسيين ضروريين لنجاح المطمح الذي يرمى اليه ألا وهما : الرجال المخلصون والرجال المثقفون الأكفاء ، فما من حديث فاه به أو نصيحة أسداها الا وكان محورها الحث على التعليم وتشجيعه وتعميمه ، وتقدير رجال العلم واحلالهم المحل اللائق بهم .

ولكى يعطى مثلاً يقتدى في هذا الميدان ، قرب اليه في المخزن الشريف عاملين جليلين هما المصلح السيد

محمد بن العربي العلوي والحافظ السيد المدني بن
الحسنى ويتمتع هذان العالمان بشهرة كبيرة فى
الايوساط المغربية ، ولهما تأثير عليها ، فهما قطبا
الثقافة الاسلامية فى المغرب .

المدرسة المولوية

وبما أن للثقافة العصرية مكانها الكبير فى النهضة
ارتأى السلطان أن يسطر أنموذجا لما يجب أن تكون
عليه معاهد العلم المغربية ، وهكذا ارتفعت بالمشور
السعيد - مشور القصر الملكى بالرباط ، عن يمين
المسجد ويساره - جدران المدرسة المولوية والمطبعة
المحمدية ، أما المدرسة المولوية فقد أعدت لتثقيف
صاحب السمو الملكى ولى عهد المملكة المغربية الامير
مولاي الحسن ، وأخيه صاحب السمو الملكى الامير
مولاي عبد الله ، وعهد بإدارة المدرسة وتدريس المواد
الفرنسية الى فرنسيين أحرار ، مخلصين للعلم ، على
رأسهم المسيو دوفال والمسيو دوفيل . واستدعى
صاحب الجلالة نخبة من المثقفين المغاربة أناط بهم
مهمة تلقين العلوم العربية والثقافة الاسلامية والروح
المغربية الى فلذة كبده ، ومما يلاحظ فى هذا الشأن
أن اختيار السلطان كان دقيقا وموفقا ، اذ بينما نرى
اسم الاستاذ محمد الفاسى مدرس العربية والتاريخ
وهو معروف بانتمائه للحزب الوطنى ، نشاهد كذلك
اسم الاستاذ الهادى بوطالب مدرس الفقه ، وهو من
أنصار الحركة القومية ، واسم الاستاذ محمد الرجراجى
الذى أنيط به تدريس العربية للامير مولاي عبد الله

والاميرتين للاعائشة وللا مالكة ، وهو أحد رجال
هيئة الاحرار الداعين الى الوحدة .

المطبعة السلطانية

أما المطبعة السلطانية التي أسست للمساهمة في
بعث التراث المغربي القديم وتشجيع الكتاب والمؤلفين
على النشر ، فقد شرف صاحب الجلالة كاتب هذه
السطور بتعيينه مديرا لها ، وكان لتدشين هاتين
المؤسستين زيادة على أهميتهما الثقافية والاجتماعية
مغزى سياسى تنبغى الاشارة اليه ، اذ كانت هذه
أول مرة ينخرط فيها فى سلك الموظفين شبان عرفوا
بروحهم الوطنية وبمساهمتهم فى ميدان العمل
السياسى العام .

تقديم طلب الاستقلال

وفى هذا الاثناء كان بأوربا متنقلا بين سويسرا
وفرنسا ، تارة بقصد الدراسة والاتصال برجال
السياسة ، وتارة بقصد الاستشفاء ، أحد رجال الحزب
الوطنى العاملين ، وهو الاستاذ احمد بلافريج وكان
الحزب الوطنى يعتبر الاستاذ بلافريج كسفير
له بأوربا يمدّه بمعلومات عن اتجاهات السياسة
الاوربية .

فلما نزلت القوات الامريكية فى افريقيا الشمالية
حاملة معها عتادا ضامنا النصر للدول الغربية ومتأثرة
بمبادئ روزفيلت الواعدة الشعوب القاصرة بتمكينها
من تسيير شؤونها بنفسها ، رأى الاستاذ ابلافريج
أن الوقت قد حان لتنظيم خطة سياسية داخل التراب

المغربى ، فحاول الدخول الى وطنه وجاء أولا الى طنجة
ثم تمكن من الوصول الى مسقط رأسه الرباط .
وبمجرد ما اتصل برفاقه ، أقنعهم بضرورة توحيد
صفوف رجال الوطنية بتنظيم جبهة تضم جميع
الرجال العاملين المخلصين من دون اعتبار ميولهم
الحزبية ، وكانت اتصالات ومذاكرات أدت الى التفاف
جميع الشباب المثقف العامل حول فكرة الاستقلال .
وفى جو من التعاضد والاخوة والحماس وبأمل
كبير فى النجاح والتحصيل على المرام ، حرر النص
المطالب بفسخ معاهدة الحماية واعلان استقلال
المغرب ، وقدمت العريضة لصاحب الجلالة سلطان
المغرب وممثل فرنسا ولقناصل الدول بالرباط ،
وعززت بلوائح حملت آلاف التوقيعات ، وكان لكاتب
هذه السطور شرف تقديم لائحة الى الجناح العالى
ضمت توقيع مآت الشخصيات المغربية المهمة ، على
رأسها الحافظ المحدث السيد المدنى بن الحسنى
والفقيه العلامة السيد محمد الرندى وزير العدالة
سابقا وفضيلة قاضى الرباط السيد احمد البدراوى
وكبار موظفى المخزن والعلماء والاعيان والطلبة .
وعند تسليمها لسيدها أيده الله بقاعة القصر الكبرى
بمحضر الوفود التى تهطلت من جميع مدن المغرب
ذلك اليوم على القصر الملكى بالرباط ، أسعف الحظ
كاتب هاتيه السطور ، فألقى كلمة ارتجالية حظيت
برضا صاحب الجلالة ، وكانت سببا فى العطف الذى
شرف به خديمه ، وفى الثقة التى منحه ، واثر هده

العرائض ، ولتحديد موقف المخزن الشريف ، جمع صاحب الجلالة في قصره العامر بالرباط الهيئة الوزارية التي انضم اليها باشوات كبار المدن ، وفي قبة النظر جلس السلطان سيدي محمد علي أريكة عرشه والتف حوله مخزنه الشريف وفي طليعته رئيس الوزراء الحاج محمد المقرئ ثم وزير العدلية المصلح السيد محمد بن العربي العلوي ثم باشا مراكش الحاج التهامي الجلاوي ثم بقية الاعضاء .

وأطلع السلطان رجال مخزنه على موضوع الاجتماع فانبرى وزير العدلية السيد محمد بن العربي العلوي وتكلم بحماس على وجوب اتخاذ موقف رسمي معاضد لطلب الاستقلال ، وتقدم باشا مراكش قائلاً : انه ليس الاعبدا من عبيد سيدنا ، وانه يضع نفسه وعشيرته عند أمر سلطان المغرب ، ولم تبد الا معارضة خفيفة لم تلبث أن خمدت أمام حماس الاغلبية وأشير الى عقد اجتماع مع بعض رجال حزب الاستقلال فاختيرت دار باشا الرباط السيد عبد الرحمان بر كاش لربط هذه الصلة وتوالت الاجتماعات ، وكان السيد عبد الرحمان بر كاش ، وهو أحد الباشوات الثلاث الذين يتمتعون بشهرة كبيرة في أنحاء المغرب وابنه السيد احمد بر كاش مندوب المعارف حينذاك ، يستقبلان وفود المتفاوضين وتبودلت الآراء واصطدم حماس الشباب بحنكة الشيوخ وتجربتهم ورفع رجال المخزن تقريراً الى علم السلطان بتجبيذ المطالبة رسمياً بفسخ الحماية وعلان الاستقلال ، وعين وفد من

الهيئة الوزارية كان من بين أفرادها وزير العدالة ومندوب المعارف ، وذهب الوفد الى الاقامة العامة فاستقبلهم ممثل فرنسا ومقيمها العام مسيو بيو ، وكانت جلسة حادة تصادم فيها بعنف السفير الفرنسي مع وزير العدالة المغربي ، وافترق الطرفان وقد بلغ التفاهم أقصاه . ورفع المقيم العام الى حكومته التي كانت مستقرة وقتذاك بعاصمة الجزائر تقريراً مسهباً كانت نتيجته أن وصل الى الرباط في يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٤٤ مسيو ماسيكي مبعوثاً من لدن الحكومة الفرنسية للتفاهم مع السلطان ، واستقبل صاحب الجلالة المبعوث الفرنسي الذي بلغه نظرية الحكومة ، وهي تتلخص في أن فرنسا لا يمكنها الا أن تنظر بعطف لمطامح الشعب المغربي ، غير أن الوقت وقت حرب ومن المصلحة المشتركة أن يسود الهدوء البلاد وأن تعود الطمانينة الى النفوس على أن الحكومة الفرنسية ستعمل على ارضاء المطالب المغربية المشروعة وسوف لاتعمد الى اتخاذ وسائل زجرية ضد أي أحد .

الاصطدام

وخرج المسيو ماسيكي من القصر السلطاني وقد ترك جوا لا يخلو من تفاؤل ، غير أنه لم يطلع فجر يوم السبت ٢٩ يناير ١٩٤٤ حتى ألقى القبض على الاستاذ احمد بلافريج وبعض رفاقه بتهمة التجسس لفائدة ألمانيا ، وانتشر الخبر في الرباط ، فهرع الرباطيون الى مشور القصر السلطاني متظاهرين

ضد هذا الاعتقال ، واندس بينهم بعض الرعاع أخذوا
يلقون الحجارة على المارة ويهيجون ، وتسببوا في ذلك
الحادث الشنيع الذى أودى فيه مدير التشريفات
ورئيس الديوان السلطانى الفقيه السيد محمد
معمرى الذى أدى الى العرش العلوى والجالس عليه
خدمات جلى .

ولقد حاول الاستاذ محمد اليزيدى وكاتب هذه
السطور أن يخطبا فى الجماهير حاصين لها على ملازمة
الهدوء والترزن والمسالمة ولكن بدون جدوى ،
وأسفرت حوادث ذلك اليوم عن قتيلين وبعض الجرحى
وفى الغد أصدرت سلطات الحماية العسكرية أمرها
للجنود باحتلال مدينة الرباط وقد أخضعوا المدينة
شارعا فشارعا ، وزقاقا فزقاقا ، وكان اصطدام
وكانت قتلى ، وكانت جرحى ، ومنيت الشبيبة
الرباطية بفقدان أحد أفرادها النوابغ هو المرحوم
أخونا وصديقنا المختار جزوليت الذى اعتقل ونفذ فيه
الحكم بالاعدام ليلة عيد المولد النبوى الشريف .
وجرت حوادث مماثلة فى مدن أخرى من المغرب ،
فاحتلت سلا وفاس . وكانت هذه الصدمة الثانية
العنيفة التى عكرت جو الصداقة الفرنسية المغربية .
ولقد كانت لها طبعاً نتائجها لا فى الميدان الشعبى
فحسب بل كذلك فى الميدان السياسى والادارى ،
فعزل المصلح السيد محمد بن العربى العلوى من
منصبه كوزير للعدلية وأبعد الى الصحراء ، وأخر
باشا الرباط السيد عبد الرحمان بركاش وأبناءه

خليفته ومندوب المعارف ، وأقضى عن وظائفهم عدد من الموظفين الشباب .
وساء الاتصال بين القصر السلطاني والاقامة العامة وتبودلت كلمات الاحتجاج والتهديد وتعرقلت الاشغال اليومية وطال انتظار حصول انفراج للازمة وباءت كل محاولة للوساطة بالحسran سواء فى ذلك ماصدر من مغاربة أو فرنسيين على أن هذه الوساطات كانت تحدث فى بعض الاوقات بعض نتائج .
فمن نتائج الوساطة التى قام بها السيد الفاطمى بن سليمان خليفة باشا مكناس اذ ذاك ومولاي العربى العلوى أحد خلفاء باشا مراکش أن عين الاول مندوبا للمعارف ثم بعد ستة أشهر رئيسا للمحكمة العليا الشريفة تاركا مندوبية المعارف لرفيقه مولاي العربى العلوى .

ولكن هذا لم يؤثر قليلا ولا كثيرا فى حل الازمة .

لابون

وشعرت الحكومة الفرنسية ، أمام تمادى هذا الجو العكر ، أن من الضرورى أن تقوم بعمل ملموس فى اتجاه الاصلاحات لكى ترد للعلاقات صفاءها . ولأداء هاته المهمة اختارت أحد رجالها الممتازين المشهورين بميلهم للافكار التحريرية وبعمق نظرياتهم وسعتها فى الحقلين السياسى والاقتصادى ، ألا وهو السفير مسيو لابون ، وكان قد سبق للسفير هذا أن عمل بالمغرب ككاتب عام لحكومة الحماية وأظهر فى منصبه ذاك مقدره وتفوقا عجيبين ، وكان كبير الاهتمام

بالمشاريع العمرانية وباستغلال خيرات الطبيعة ، وبالاخص المعدنية منها ، فاليه ترجع فكرة تأسيس مصطفى يفران على ارتفاع ١٨٠٠ مترا ، كما اليه يرد فضل تأسيس مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية الذي أنشأه وأناط به مهمة اكتشاف غنى المغرب المعدني والسهر على استغلاله .

جاء المسيو لابون كمقيم عام للمغرب ، فاستبشر المغاربة خيرا ، ولم يخيب السفير الجديد كل آمالهم .

الاصلاحات

فاذا كان المسيو لابون لم يات حاملا فى حقيبتة اعلان انتهاء الحماية وابتداء عهد الاستقلال ، فانه جاء حاملا فيها سلسلة من الاصلاحات الادارية والاقتصادية لم تكن تخلو من أهمية ، وبالاخص جاء مرفوقا بروح من التعاون صادقة ظهرت آثارها فى اللجان الفرنسية المغربية التى تكونت لدراسة مشاريع الاصلاحات .

ولقد خطا المسيو لابون خطوات جريئة لازال المغاربة يذكرونها له ، اذ أرجع من المنفى كلامن الاستاذين علال الفاسى ومحمد بن الحسن الوزانى والاستاذ احمد بلافريج والمصلح السيد محمد بن العربى العلوى وغيرهم .

وبالجمله فقد دشنت تسمية المقيم الجديد عهدا تنسم فيه المغاربة روح الحرية فى كثير من النواحي ، وان كان البعض ينتقد عليه سياسته الاقتصادية التى فتحت المغرب أمام رؤوس الاموال الاجنبية .

فاستؤنفت حركات الاحزاب السياسية ، وأقبل
الناس على التعليم بحماس وسمح بفتح المدارس الجرة

محاربة الملك للامية

أما فيما يتعلق بصلات الإقامة مع القصر فقد نجح
المسيو لابون في خلق جو من المجاملة والتفاهم جدير
بأن يؤتى أكله طيبا .

وفتحت الابواب أمام السلطان فأعاد الكرة مرة
ثانية في حملة واسعة النطاق ضد الامية ، ونظم دعوة
متينة لانتقاد أبناء رعيته من أدران الجهالة ، وجاء
بنفسه في كثير مدن المغرب وقرأها خطيبا وداعيا
ومرشدا ومتبرعا من ماله الخاص بالشئ الكثير وحائا
أغنياء المغاربة على الخذو خذوه ، وعلى الانفاق بسخاء
لتهيئ جيل جديد جدير بتسلم مقاليد الامور العامة
بالوطن العزيز .

خطاب العرش

وأنصت الشعب المغربي بارتياح وحماس الى
صوت راعيه ، وأقبل عليه بتلهف يقتفى أثره ،
ويهندي بهديه ، وأصبحت ذكرى جلوس السلطان
سيدي محمد عيدا وطنيا ومؤتمرا ثقافيا ومهرجانا
اجتماعيا ، وصارت الخطبة التي يلقيها صاحب الجلالة
في صباح يوم ١٨ نونبر من كل سنة بمثابة برنامج
سنوى يرسم فيه سلطان المغرب لرعيته مراحل السير
في المستقبل ويستعرض منجزات السنة الماضية ،
وأضحى أمل كل غنى في هذه البلاد أن يحظى في هذا
الخطاب بذكر جميل أو تنويه بعمل ثقافى ساهم فيه .

المدارس الحرة

وتنافس الناس فى العطاء والسخاء فرادى وجماعات ، وأبت كل مدينة ، بل كل قرية الا أن تكون لها مدرستها الحرة التى بنتها من مال سكانها ، ومدتها بما تتوقف عليه من مواد ومدرسين ، وكان الامة المغربية كانت تريد أن تقيم الدليل على حسن استعدادها وأن تسجل لها فى الميدان الثقافى مفاخر تتكلم فى صالح قضيتها . وهكذا أنشئت مدارس بفاس وسلا والبيضاء ومراكش والحميسات والحاجب وبركان الخ .

وكان للرباط - مقر صاحب الجلالة وعاصمة المغرب الادارية - فخر تشييد أول مدرسة حرة عربية ثانوية ، ارتفعت شامخة فى وسط المدينة العربية أمام المسجد الاعظم ، قدمتها كهدية للعاهل المقدى ، وأطلقت عليها اسم (مدارس محمد الخامس) .

ومن بين الرجال العاملين لتحقيق هذا المشروع يجب أن نسجل اسم الوجيه المرحوم السيد حمادى القباج باشا الرباط حينذاك .

واتسع الافق أمام السلطان وتوالت الوفود على القصر السلطانى مقدمة مشاريع لانشاء مؤسسات ثقافية ، وراغبة فى الحصول على شرف زيارة ملكية .

ولى العهد

وكانت المدارس المولوية الانموذج الذى يهدف الى تحقيقه كل المدارس الحرة ، كما كان سمو ولى العهد الامير مولاي الحسن المثل الاعلى للشباب المغربى الكامل

جسما وذكاء وخلقاً ، فحينما أخذ يشارك بجانب والده العظيم في الحفلات العامة أو المهرجانات الثقافية ملك على الشبيبة المغربية لبها واتخذته قائدا عاما لها في نشاطها الثقافي ونضالها وتجديدها الاجتماعي .
ولقد أوتى فصاحة تجعل للكلمات التي يفوه بها والخطب التي يلقيها صدى بعيدا ينفذ ويتغلغل في أعماق القلوب .

ومن المظاهر التي كانت تملأ النفوس أملا ذلك التهاتف بل يمكن أن تقول ذلك العراك الواقع بين جماهير المستمعين الى خطب الجلالة الشريفة أو سمو ولي العهد للحصول على نسخة منها ، وقد كان للمطبعة المحمدية شرف طبع هاته الخطب التي تعد تسجيلا حيا للنهضة المغربية ، ولقد جمعتها في نشرة وزعت في أنحاء المغرب . واذا كانت النهضة لا تبني على أسس متينة قارة الا اذا شملت منذ البداية عنصري الامة رجالها ونساءها ، وكان المغاربة في أغليبتهم شديدي المحافظة على التقاليد القديمة ، يعتبرونها عن خطأ من مكملات الدين ، رأى صاحب الجلالة ، ورأيه المصيب ، أن من اللازم المنتحتم أن يكون عمله في تحرير المرأة المغربية والقضاء على ذلك النوع من الحياة المنقوصة المفروضة عليها عملا جريئا حاسما ، وفعلا كان كذلك فان اليوم الذي وقفت فيه الاميرة للا عائشة أمام الجماهير ، وضاحة الجبين ، فصيحة اللسان ، خطيبة مفوهة ، وداعية الى تعليم البنت المغربية والى تهيينتها للحياة العصرية بكل ما تتطلبه ، كان يوما ممتازا في

تاريخ المغرب ، وهكذا نرى كيف وضع صاحب الجلالة
لخدمة هذه الامة وللنهوض بها ، لا نفسه وماله
فحسب ، بل كذلك أعز الناس عليه ، ابنه وولى عهده
المحبوب الامير مولاي الحسن ، وبنته أميرة النهضة
للا عائشة .

وكم كان بديعا ومنعشا أن ينصت المغربي متأثرا
ومتلهفا الى خطبة سياسية دينية يلقيها سلطان
المغرب ، ثم يذهب لتدشين مدرسة حرة يخطب فيها
صاحب السمو الملكي ولى عهده ، ثم ينهى يومه
بالاستماع الى الصوت الملائكى الساحر صوت أميرة
النهضة للا عائشة فى حفلة نسوية كما وقع ذلك
بمناسبة زيارة صاحب الجلالة لمدينة طنجة .

أثر الملك

حقا ان سيدي محمد بن يوسف قد هز بقوة
الشعب المغربي هزة أيقظته من غفلته ، وفتحت عينيه
وبنت فيه روح العزم والجد والعمل المجدى ونبهته الى أن
النضال السياسى لا يمكن أن ينتج الا اذا كان مرفوقا
ومصاحبا لثورة ثقافية واجتماعية واسعة شاملة .

الاحزاب : الاستقاليون والشوريون

ولقد أدرك حينذاك رجال الاحزاب المغربية ما
تتضمنه هذه الحركة من آمال جسام ، فأقبلوا ملبين
دعوة العاهل العظيم ، يشدون أزر المدارس
والمدرسين ، ويتبرعون بالقاء الدروس ويجمعون
الاموال لتدشين المدارس واعانة المدرسين ، وكان
التنافس بينهم عظيما ، لان أثر الخلاف الحزبى قد

ظهر من جديد برجوع زعيمى الحركة الاستاذين علال الفاسى ومحمد بن الحسن الوزانى . واذا كنا لم نعد نسمع جدا لعقيدا بين الوطنيين والقوميين ، فاننا صرنا نتألم لخلافات الاستقلايين والشوريين .

والشوريون هم أنصار الحزب الجديد الذى أنشأه عند رجوعه من المنفى الاستاذ ابن الحسن الوزانى وسماه حزب الشورى والاستقلال . والجديد فى هذا الحزب هو أن مؤسسيه يعتقدون أنه قبل كل شىء يجب أن يحصل الشعب المغربى على دستور يضمن له حقوقه ، وعلى نظام نيابى شورى .

ولقد صدرت الجريدة الاسبوعية (الرأى العام) ناطقة بلسان الحزب الجديد ، كما كانت سبقتها الى الظهور الجريدة اليومية (العلم) الصادرة بالرباط ، والمتكلمة بلسان حزب الاستقلال الذى انتخب أمينا عاما له الاستاذ احمد بلافريج .

وهذا الانتخاب المقصود به تطمين نفوس أعضاء حزب الاستقلال اتباع المدرسة الجديدة الذين يرون أن الصف الاول فى ادارة الحزب يجب أن يحتله مثقفون ثقافة عصرية ، ان هذا الانتخاب نقل مركز الحركة الاستقلالية من فاس الى الرباط وأعطاهها صبغة قربتها من نظام الاحزاب العصرية .

ولقد أصبح منزل ابلافريج بجانب مدرسته مؤسسة محمد جسوس ، وهى من أولى المدارس الحرة بالمغرب ، أصبح منزله ناديا تعقد فيه الاجتماعات وتقام فيه الحفلات . وأخذت الحركة على وجه العموم

تنمو وتتسع وتدخل أوساطا كانت بقيت بعيدة عنها غير أن الحركة لم تفتأ ممتازة بطابعها الثقافي طبقا للمثل الذي أعطاه صاحب الجلالة .

فإذا كان حزب الاستقلال يضاهاى بمدرسة ابلافريج ويفتخر بالنتائج المحصل عليها فى الشهادة الابتدائية ، فان حزب الشورى والاستقلال ينشر بعناوين ضخمة نتائج امتحانات طلبته بمدرسة العلمى بالبيضاء ، وابن عبد الله بفاس .

القرويون

وبفاس العاصمة العلمية المغربية تقع جامعة القرويين العتيقة ، وهى من أولى الجامعات فى العالم ، وأمل سلطان المغرب هو أن يجعل منها مع الاحتفاظ بطابعها الدينى التقليدى ، جامعة عصرية تدرس فيها المواد الجديدة على طريقة الجامعات الشرقية العربية .

وللقرويين بجانب أهميتها الدينية والثقافية أهمية سياسية كبرى ، فعلماؤها كانوا فى الماضى هم قادة المسلمين المغاربة ، اذ كان لا يتم الامر لسلطان المغرب الا اذا حصل على مبايعة علماء القرويين ، فهم كانوا بحكم منصبهم الدينى ومركزهم الثقافى نواب الامة الطبيعيين .

وهذا يبين لنا أهمية القرار الذى اتخذه صاحب الجلالة عندما عين الاستاذ محمد الفاسى المدرس بالمدرسة المولوية والمعروف بانتمائه الى الحزب الوطنى ، ثم الى حزب الاستقلال كمدير للجامعة

القروية ، وكلفه ببث روح التجديد فى مواد الدراسة
وفى طرق البحث والتدريس .

ولقد نجح الاستاذ الفاسى نجاحا يذكر فى تنظيم
ادارة القرويين وامتحاناتها وادخال التمارين الكتابية
فيها .

غير أن مهمته كانت من الصعوبة بمكان ، فان بعض
علمائها لم يكونوا ينظرون دائما بتشجيع واحترام
الى هذا الشاب المتخرج من باريز والذى يزعم أن فى
مقدوره أن يصلح القرويين ، وهل القرويون محتاجة
الى الاصلاح ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان حزب
الشورى والاستقلال يتهم الفاسى باستغلال منصبه
لتوسيع نفوذ الاستقلايين على حساب الشوريين
اذ لا يجد لديه طلبة الشورى وأساتذتها نفس المعاملة
التي يحظى بها الاساتذة والطلبة الاستقلاليون .

وهكذا كانت جدران القرويين ومدارس سكنى
الطلبة مسرحا للنزاعات الحزبية التى عكرت شيئاً ما
على الاستاذ الفاسى جو عمله بالجامعة ، غير أن من
الانصاف أن يعترف الجميع بان الجهود التى أنفقها
والاوقات التى كرسها للقيام بمهمته كانت جهوداً
جبارة .

واذا كانت النتائج المحصلة أقل مما كنا نتمناه ،
فان وزر ذلك يجب أن لا يجعل فى صحيفة الفاسى الذى
عمل أكثر ما يمكن عمله .

وكاتب هذه السطور لا يزال يذكر تلك التقارير
الضافية التى كان يتلوها مدير القرويين ، أمام

المجلس التحسينى للجامعة ، بمحضر صاحب الجلالة ، كما يذكر كاتب السطور - أيام كان نائبا عن والده بوزارة الاوقاف - تلك المثابرة وذلك الحماس البادين فى مطالبة الفاسى لميزانية الاوقاف وللميزانية العامة فى كل سنة ، بزيادة المبالغ المخصصة للقرويين ، وفى سهره ودفاعه عن حقوق الاساتذة وسعيه فى تحسين مرتباتهم .

موقف الاستعمار من النهضة

هكذا أخذت الحياة العامة المغربية التى كانت خامدة راكدة قبل سنين قلائل تنتعش وتتغذى وتترعرع .
وإذا كان هذا الانبعاث القوى قد أدخل السرور على قلوب المغاربة أجمعين ، بل وعلى قلوب أصدقائهم من أحرار الفرنسيين الذين كانوا يسجلون بفخر مفعول الافكار التحريرية التى حملوها ، وانتشار حسنات المدنية العصرية التى أذاعوها ، فان طائفة من المعمرين الرجعيين المشبعين بروح الاستعمار فى أبلى وأبشع مدلوله أخذوا ينظرون بعين الاشمئزاز والتخوف الى هذا الانبعاث ، ويحذرون وينذرون المقيم العام السفير مسيو لابون من نتائج سياسته فى المغرب ، ويذكرونه أن المبادئ والوسائل والخطط الصالحة لاوروبا هى بضائع غير صالحة لافريقيا التى عليها أن تمر بنفس مراحل التطور التاريخى الذى مرت به بلاد أوروبا . فافريقيا هى اليوم فى طور النظام الاقطاعى الموافق تماما لدرجة نموها ، وعليها أن تجد لكى تمر بعصر النهضة ، ثم ينبغى أن يكون

لها قرن مماثل للقرن السابع عشر ، وملك كلويز الرابع عشر ، ومن ثم تنتقل الى عصر الثورة الفكرية الفلسفية قبل أن تعرف عصر الميكانيك . هذا هو النظام الطبيعي والقانون البشرى الذى لا يمكن اغفاله من دون أن يؤدي ذلك الى حدوث اضطرابات واصطدامات تعرقل السير الى الامام ، وتؤخر تحقيق المهمة الانسانية الجليلة الملقاة على عاتقهم . لكن من حسن حظ المغرب بل ومن حسن حظ فرنسا أن المسيو لابون لم يكن من أولئك الرجال الخائرى العزيمة الذين يستسلمون لكل ريح ، فلم يلتفت الى هاته الترهات ولم يعبأ بها بل تابى فى اخلاص وقوة على تهيبه الاصلاحات الحميدة التى كان يؤملها لبلاد أحبها وأخلص لها ، غير أنه لم يقدر مدى المقاومة التى سيلقاها من طرف مواطنيه ، فلقد نظم الرجعيون ضد المسيو لابون حملة شعواء بدأت فى مذاكراتهم فى المنازل والاندية ، ثم انتقلت الى الهيآت الاستشارية ثم الى الغرف الفلاحية والتجارية ، وانتهت بانفجار فى مجلس شورى الحكومة الذى وقف أعضاؤه متحدين ممثل فرنسا وسفيرها ، الذى عمل لتجيب اسم بلاده ، ورفع شأنها . ولم يخر عزم المسيو لابون أمام هذه الهجمات العنيفة المتوالية ، فهو يعلم أن هدفها هو الدفاع عن مصالح وامتيازات موقته لبعضى الفرنسيين ، فى وقت يدافع فيه هو عن مصلحة فرنسا الكبرى وعن شرفها وسمعتها بوضع سياسة انشائية نبيلة ترمى الى اعادة ازدهار المغرب بالتعاون

مع ملكه الشاب الممتلىء ايمانا ووطنية وحماسا للعمل في صالح بلاده . وكان المسيو لايون مقتديا في ذلك ومستمدا وحيه من السياسة التي كان يسلكها المارشال ليوطى مع السلطان مولاي يوسف ، ولكن السفير اذا كان على وفاق مع المارشال فيما ينبغي منحه لملك البلاد من سلطة وثقة واحترام وتقدير ، فانه كان ولاشك لا يوافق على ما عرف في قاموس الادارة بسياسة القواد الكبار .

سياسة القواد الكبار

وهذه السياسة المعتمدة على المبدأ الاستعماري المعروف (فرق تسد) تتلخص في تشجيع قواد القبائل وباشوات المدن ، واعطائهم نفوذا مصطنعا وفخفة كاذبة ، تسمح بخلق روح التنافس والشحناء بينهم فيشتغلون بعضهم ببعض ، وتلهيهم خلافاتهم عن معارضة سياسة الادارة التي على العكس من ذلك تجد فيهم أعوانا مخلصين ، مستعدين لتنفيذ أوامرها وتوجيهاتها . والقواد في المغرب كثيرون يصغرون ويكبرون بحسب الظروف وتبعا للاهداف المقصودة . نعم وجد في المغرب منذ الحماية الفرنسية قواد وباشوات لهم أهمية حقيقية اكتسبوها من تجربتهم وصرامتهم ، وتلك كانت حالة باشا فاس البغدادي ، أو من لين عريكتهم وحسن اخلاقهم كما شوهد في باشا الرباط السيد عبد الرحمان بركاش ، أو من تسابقهم الى مد اليد وتمهيد الطريق الى الجنود ونلك كانت حال باشا مراکش الحاج التهامي الجلاوى .

وعند تعيين المسيو لابون مقيما عاما في المغرب كانت طبيعة لائحة الباشوات يحتلها باشا عاصمة الجنوب مراكش الحاج التهامي الجلاوي ، وباشا عاصمة فاس السيد محمد التازي الذي خلف البغدادي وعائلة التازي من كبار العائلات المغربية ، خدم أبناؤها في ركاب المخزن ، وأشهرهم الحاج عمر التازي والمندوب السلطاني بطنجة وابنه محمد التازي هذا ، ولم يكن هذا الاخير يحظى لدى جلالة السلطان بكل الرضى ، فلقد صدرت منه هفوة ساءت صاحب الجلالة وكان ذلك سنة ١٩٣٤ في الرحلة السلطانية السنوية لفاس . فلقد خرج الشباب الفاسي هاثفا بحياة الملك ومتحمسا حماسا أدخل شيئا من الفوضى على التدابير التي هيأها باشا المدينة ، واتصل الشباب بملكه اتصالا مباشرا لم يكن من شأنه أن يروق كل أحد ، فهذا الاتصال سيجرى الشباب على باشا المدينة . ثم هناك شيء آخر وهو أن المظاهرة أخذت صبغة سياسية فهم الفرنسيون أنها موجهة ضدهم ، وهكذا نشأت أزمة اضطرت صاحب الجلالة الى تقصير مدة مقامه بفاس ورجوعه في الحين الى عاصمة الرباط ومن ثم أهمل السلطان تعهد مدينة فاس ، وكان هذا الجفاء يؤلم الفاسيين كثيرا ، فلما عين المسيو لابون وفهم المغاربة روحه ونواياه ، أملوا أن يوجد حل لمشكلة فاس ، وهنا أيضا لم يخب أملهم ، فبعد رجوع صاحب الجلالة من فرنسا سنة ١٩٤٥ في تلك الرحلة التي أبدى فيها الجنرال دكول لصاحب الجلالة من

عواطف الوداد ومن العناية والتفهم ما أبقى أثرا حميدا
فى قلب سلطان المغرب ، بعد هذا الرجوع أعلن اعفاء
الباشا التنازى من منصبه ، وتعيين السيد الفاطمى بن
سليمان رئيس المحكمة العليا خلفا له ، وكان لهذا
الاعفاء صدى كبير فى جميع أوساط القواد الكبار ،
فقد أدركوا أن السلطة المركزية الشرعية سلطة
صاحب الجلالة السلطان ومخزنه الشريف هى العنصر
الطبيعى القار الذى ينبغى أن يلتف حوله كل الموظفين
المغاربة ، سواء منهم من كان يعمل للمصلحة العامة
الصرفية ، أو من كان يجرى وراء الألقاب والمناصب
العالية والفوائد المادية . وفعلا توارد القواد
والباشوات اثر ذلك على أبواب القصر السلطانى
يتطارحون على الاعتاب ويتوددون ويتحجبون ويقدمون
الهدايا ويلحون فى تشريف صاحب الجلالة لمدينتهم
أو قبيلتهم بزيارة رسمية أو غير رسمية ، يتنافسون
أثناءها فى اقامة المهرجانات ومظاهر الحفاوة البالغة
كل ذلك بغية التحصيل على كلمة الرضا أو وعد بترق
أو وفاء وتقديرا لهذا الملك العظيم الذى أخذ على نفسه
العهد باحياء هذا الشعب النبيل .

فلم يكن كل الباشوات والقواد مدفوعين بعامل
المصلحة الشخصية بل كان من بينهم أفراد أسدى
اليهم سلطان المغرب خيرا فبقوا معترفين بالجميل ،
يتوسم الكل فيهم صفات الثبات والاخلاص ، وكان
السلطان من جهته يستقبلهم بحفاوة وعطف واحترام
فهم بالرغم عن كونهم يمثلون نظاما غابرا قريبا من عهد

الاقطاع ، نظاما يريد السلطان انقاد المغرب من ظلماته وادخاله الى عصر المدنية والعلم والديمقراطية فهم بالرغم عن هذا كله ، رؤساء وموظفون كبار ، لازال الشعب يقرأ لهم حسابهم ، ويخشى بطشهم ، أليس من الافيد أن يحاول السلطان تقريب هؤلاء الباشوات واقناعهم بالعمل معه يدا في يد على اسعاد هذه الامة وعلى خدمة مصالحها وعلى التضحية فى سبيلها بكل نفيس وغال . وفعلا مد السلطان يده وأقبل بوجهه على القواد والباشوات محتفظا لهم بمرکزهم ومسديا لهم جميلا كان ينبغي أن لاينكر . ومن هذا القبيل ما قام به صاحب الجلالة من انقاذ باشا مراکش الحاج التهامى الجلاوى من خطر الافلاس عند ما ضارب برهن أملاكه فى عملية مالية لم تات بالنتائج التى كان يتوخاها فأعانه السلطان وعضده حتى استرد أملاكه كلها ، ولولا تدخله لكان مركز الحاج التهامى الجلاوى غير مركزه اليوم ، فهل سيكون القواد الكبار عند حسن الظن بهم ، وهل سيفون للمحسن اليهم ، ذلك ما ستبينه لنا الحوادث ؟

لابون

كل هذا يجرى والسفير لابون منهمك غارق فى تهيبه مشاريعه الاقتصادية البعيدة المدى ، يصل ليله بنهاره ، مفكرا فى وسائل زيادة انتاج الفوسفاط بخريبة ، أو كيفية تحسين فحم جرادة ، أو اكتشاف الرصاص والمنكنيز والكالط والاورنيوم

في جنوب المغرب وشرقه ، فكنت تشعر اذا خاطبته في موضوع غير هذه المواضيع انه سابع في بحر آخر واذا اجابك كانت اجابته متقطعة يتخللها صمت طويل حتى اذا ما انتقل الحديث الى الانتاج المعدني أو ميدان المنشآت الكبيرة انطلق كالسيل يملئ فلا يكون لاملائه حد ، وماذا يجدى السفير أن يتدخل في مواضيع لاتهمه ، وبالاخص في شعاب السياسة المنعوتة من لدن الادارة بالسياسة الاهلية .

ان المسيو لابون ، وهو المصيب في ذلك ، يعتبر شؤون المغاربة الخاصة شؤون اختيار موظفيهم وترقيتهم ونقلهم وتوبيخهم وعزلهم وتنظيم مدارسهم واختيار الاساتذة ، كل هذا وغيره من اختصاص السلطان الذي هو أعرف بمصالح رعيته وأرفق .

وليس معنى هذا أن المغاربة في نظر المسيو لابون يجب أن يبقوا بعيدين عن الميدان الاقتصادي ، بل يقول انه مادام المغاربة لم يتوفر لهم العدد الكافي من الغنيين ، فان الغنيين الفرنسيين يمهدون لهم الطريق ولم يجد المقيم العام في جميع ادارات الاقامة العامة معونة ونعصيذا ، كان من حقه أن يجدهما لديها ، وبالاخص ادارة الداخلية التي لها نظريتها وطرقها في ادارة البلاد .

حقا ان جلالة السلطان والسفير لابون قد هياهما الحظ لخدمة المغرب في جو ضامن للصدقة الفرنسية المغربية ، وفي وقت خصب ملائم ، اذ الحرب قد

وضعت أوزارها ، وبدأ العالم ينظر الى المستقبل بشيء من الاطمئنان ، فلقد هزمت قوات الشر فلم يبق الا ارجاع المياه الى مجاريها ، ورفع الظلم والحيث عن الامم والافراد .

طنجة مدة الحرب

نعم ان المغرب لم يكن مسرحا للمعارك ، ولكنه بالرغم عن هذا لم يسلم من اعتداء المعتدين ، فلقد استغل فرنكو ظروف الحرب وضعف الحلفاء ، فقرر محاولة ضم منطقة طنجة الدولية الى المنطقة الخليفية بارسال حملة عسكرية الى طنجة ، ولم تكن الدول الخليفة حينذاك في حالة تسمح لها بالتعرض أو مقاومة هذا الهجوم ، فوجدت نفسها مضطرة الى التسليم ، واكتفت بارسال الاحتجاجات .

ولقد كان موقف مندوب الجلالة الشريفة بطنجة السيد محمد التازي مطابقا لما هو منتظر منه ، فلقد أبى بشمم أن يتصل برجال اسبانيا مفضلا الانسحاب والالتجاء الى الرباط في أعتاب موفده صاحب الجلالة سلطان المغرب ، فلما اضطر فرنكو الى الانسحاب عند رجحان كفة الحلفاء على كفة المحور استردت طنجة وضعيتها الدولية السابقة ، ورجع المندوب السلطاني السيد محمد التازي الى رئاسة المندوبية والى تمثيل ملك المغرب الذي يدرك أهمية وحدة التراب وخطر التقسيمات الاليمة التي فرضت على المغرب رعييا لمصالح أجنبية وارضاء لجشع الطامعين ، فكان المغرب قطعة حلوى يقسمها سكين الظلم والاعتداء . غير أن

احتلال فرنكو لطنجة لم يخل من فائدة جناها المغرب
فلقد وضع هذا الاحتلال على بساط البحث مسألة ذات
أهمية كبرى بالنسبة للمغاربة ألا وهي تحديد صفة
التراب الطنجي : هل هو تراب مغربي خاضع لنفوذ
عاهل البلاد ومماثل لبقية التراب المغربي ، أو هو
تراب ذو صبغة خاصة اكتسبها من النفوذ الممنوح
للدول الموقعة على عقد الجزيرة . وكانت المصلحة
الفرنسية والمصلحة المغربية متحدتين تمام الاتحاد ،
فوقف صاحب الجلالة ووقفت بجانبه الإقامة العامة
تعضدها وزارة الخارجية الفرنسية للدفاع عن الصبغة
المغربية للتراب الطنجي . ان الإدارة وحدها هي التي
يمكن أن تكتسب الصفة الدولية ، أما التراب فهو
محتفظ بصفته المغربية لا يتخلى عنها ، أليس مندوب
السلطان هو الذي يستقبل السفراء والقناصل
ويتلقى منهم أوراق اعتمادهم ، ألم تكن طنجة منذ قرن
عاصمة المغرب الديبلوماسية .

ولتلافى كل جدال وخلاف ، رأى صاحب الجلالة أن
يقوم بعمل حاسم يبين للملأ حقيقة مدينة طنجة ، ففي
مذاكرة تاريخية مع المسيو لابون اقترح سيدي محمد
أيده الله أن يقوم بزيارة مدينة طنجة بصفته ملك
البلاد بجميع مناطقها الاصطناعية ، انه لا يسمح
لنفسه باهمال رعاياه الطنجيين الذين أصبحوا
كاليتامى يتلمسون كنفنا يلتجئون اليه .

زيارة طنجة ! يالها من مسألة شائكة وياله من
حادث يتطلب مفاوضات وتطمينات واحتياطات لم

تعتدها الإقامة العامة ، فماذا ياترى سيكون موقف انكلترا التى تعطى أهمية كبرى لطنجة المقابلة لجبل طارق ، واسبانيا التى ربما تعرقل مشروع السفر ، اذ هى لم تنس موقف فرنسا منها، بل ماذا سيكون موقف جميع الدول ؟ لو كان على رأس اقامة بالرباط غير المسيو لابون لما قدر لرحلة طنجة أن تقوم على رجلها . لقد شرع السفير فى جس النبض ، ففوجىء بضعف مقاومة بعض الدول لمشروع السفر ، بل بارتياح بعضها اليه ؛ ان الدول فى جملتها لاترى مانعا من قيام سيدي محمد أيده الله بزيارته مدينته الوفية طنجة ، فاذا كان والده مولاي يوسف وعماه مولاي عبدالعزيز ومولاي حفيظ لم يقدر لهم أن يربطوا الصلة مع طنجة فليكن لسيدى محمد شرف تجديد ذلك العمل الديبلوماسى البعيد المغزى ، الذى قام به جده مولاي الحسن . اذن سينجح المشروع ، نعم سينجح المشروع ولكن لحد ما ، اذ قد استغلت المقاومة الداخلية القائم بها بعض العناصر الرجعية من المعمرين الفرنسيين هذه الفرصة المواتية ، اننا رأينا موقفهم من المسيو لابون وسياسته ، وتصلبهم وتحديدهم اياه فى مجلس شورى الحكومة ، فماذا كان رد فعلهم من هذا المشروع الجديد ؟

كان رد فعلهم عنيفا فانحوا باللائمة على المسيو لابون الذى لاينتهى من غلط فاحش الا الى غلط أفحش ، ألم يكفه أن حطم أسس السياسة الموافقة سياسة القواد الكبار بتدشين عهد تعاون مع السلطان

حتى نراه الان يريد أن يشجع مشروعا من شأنه أن يقلب الامور رأسا على عقب ، ان سفر السلطان لطنجة تقوية عظيمة لمركزه الدولي ، فرصة لربط صلات مع دول قد تكون لها في يوم ما مصالح مناقضة لمصالح الفرنسيين ، فهل يدرك المسيو لابون كل ذلك ؟

وكان هذا ينتظر الى المسألة غير هذه النظرة ، انه يعلم أن سيد البلاد الشرعي هو السلطان وأن مصلحة المغرب يجب أن توضع فوق كل مصلحة ، على أن مصلحة فرنسا ومهمة فرنسا وشرف فرنسا ، كل ذلك يحتم عليها أن تحاول بكل قواها توحيد المغرب بأجمعه حول هذا الشاب النابغة الذي اعتلى العرش العلوي منذ عشرين سنة وأخلص للمصداقة الفرنسية المغربية ، وبرهن عليها بأقواله وأفعاله ، وأظهر استعدادا عجيبا لاقناع شعبه ، بل لاقباله على جنى المدينة العصرية ، معضدا في ذلك عمل فرنسا في المغرب .

اذن سيسافر السلطان ، وتم الاتفاق بين القصر السلطاني والاقامة العامة على الشروع في تهييء الرحلة الملكية الى طنجة ، وصارت ترد على السلطان معلومات سارة عن ابتهاج الطنجيين المسلمين ، بل وابتهاج النزلاء الاجانب الذين أظهروا عاطفة محمودة وكان يحمل اليه هذه الانبياء مولاي العربي العلوي مندوب المعارف الذي ربط صلات عدة بشخصيات مختلفة في طنجة منذ زمن وبالاخص عند ما كلفه السلطان بعد وفاة عمه مولاي عبد العزيز بالوقوف

على تركته واحصائها وقسمتها . وقامت طنجة
وقعدت ، واشترأبت الاعناق منتظرة اشراق نجم ملكها
عليها ، وتشريفها بزيارته ؛ وكان السلطان من جهته
مكبا بنفسه على الشاذة والفاذة من برنامج سفره ،
فهناك مسألة تركيب الحاشية المصاحبة للجلالة
الشريفة واختيار أفرادها ، وهناك الطريق التي
سيسلكها السلطان في ذهابه وايابه ، والمدن التي
سيقف بها ، وهناك المرور بالمنطقة الخليفية والاتصال
بالخليفة مولاي الحسن بن المهدي ورجال الحماية
الاسبانية ، وهناك قبل هذا وفوق هذا الخطب التي
ستلقى في طنجة : خطب ولي العهد ، وخطب أميرة
النهضة ، وبالاخص خطبة الجلالة نفسها ، اذ كان
سيدي محمد يقدر أهمية هذه الخطبة ، ويعلم ما لكل
لفظة منها من أثر عميق قار لا في قلوب الطنجيين
وحدهم ، ولكن في قلوب المغاربة أجمعين ، صغيرهم
وكبيرهم ، رجالهم ونسائهم ؛ ولذا كان اهتمام
السلطان بتهييء هذه الخطبة واعدادها اهتماما بالغ
الحد ، فلقد أعيد تحريرها مرارا ، وزيدت فيها ألفاظ
وحذفت أخرى ، كل ذلك بغية الاحتفاظ لهذه الرحلة
في نفوس الطنجيين بالخصوص ، والمغاربة على العموم
بذكرى ناصعة تملأ قلوبهم عزما وقوة على تحقيق
وحدة المغرب الترابية . وحدد يوم السفر وعين له
يوم الاربعاء (٩) ابريل (١٩٤٧) ونشرت لائحة
الحاشية المصاحبة للركاب الشريف ، فاذا بها تضم الى
جانب الاميرين ولي العهد مولاي الحسن وأخيه مولاي

عبد الله وأميرة النهضة للاعائشة الهيئة الوزارية
بأجمعها ، وباشوات المدن كلها ، وقواد القبائل ،
وبعض الافراد اقتضى النظر الشريف ضمهم الى
الحاشية من بينهم السيد احمد بنمسعود الكاتب
الحاص للجلالة الشريفة ، والسيد محمد الرشيد ملين
مدير المطبعة السلطانية ، والسيد محمد الفاسى مدير
كلية القرويين ، والسيد محمد ابا حنينى ، والسيد
محمد القباج عضوان بالمحكمة العليا ، والسيد احمد
بنانى والسيد محمد الرجراجى أستاذ بالمعهد المولوى
والسيد عبد الرحمان الفاسى عضو بالمحكمة العليا .

ومن الشخصيات الفرنسية ، رافق الجناب العالى
المستشار المسيو فيمو ومراقب الاحباس المسيو
ليسيونى وطيبيا الجلالة المسيو بيران والمسيو
ديبوروكبير ومدير المدرسة المولوية المسيو ديفال ،
اذن لقد قر الرأى نهائيا على السفر الى طنجة وغمرت
المغرب كله موجة من الجبور والحماس ، وكان الامة
المغربية مقبلة على يوم تتوسم أنها ستحقق فيه وثبة الى
الامام تقطع بها شوطا بعيدا فى تطورها ، وكان كل
واحد ينتظر بفارغ صبر اليوم المشهود ، يوم خطاب
الجلالة بطنجة الذى هو يوم الخميس (١٩) جمادى
الاولى عام (١٣٦٦) الموافق (١٠) ابريل سنة
(١٩٤٧) على الساعة العاشرة وخمسة عشر دقيقة ،
كما تقرأه فى برنامج سفر صاحب الجلالة ملك المغرب
الى طنجة .

ويعلن البرنامج زيادة على ما ذكر مآدبة غداء يقيمها بأصيلا صاحب السمو الملكي خليفة تطوان في سراق خارج المدينة ، وذلك يوم الاربعاء ، وتدشين سمو ولي العهد الامير مولاي الحسن لمدرسة الاستاذ السيد عبد الله كنون ، وزيارة معهد مولاي المهدي يوم الخميس ، وصلاة الجمعة بالمسجد الاعظم ، وعلى الساعة السادسة ونصف مساء من هذا اليوم تخطب أميرة النهضة في مدرسة البنات المسلمات . ولم تبق الا أيام قلائل تفصل بيننا وبين يوم الاربعاء ، وفجأة وردت تترى على الرباط أخبار هائلة عن فجيعة مروعة كانت الدار البيضاء مسرحا لها ، ذهبت ضحيتها أرواح بريئة ، رجال ونساء ، وأطفال ، فليسب تافه - شجار بين أحد الجنود السنغاليين وأحد المغاربة - خرجت فرقة سنغالية من ثكناتها وانتشرت في الشوارع والازقة تجرح وتقتل وتهاجم المنازل وتنتشر الرعب في النفوس ، ودامت المأساة زمنا طويلا من دون أن تحرك القيادة العسكرية ساكنا لحماية سكان البيضاء من هذا الاعتداء ، واعتقد جل المغاربة عن صواب أو خطأ أنها مؤامرة مصنوعة باليد قصد بها تحبيط مشروع سفر السلطان الى طنجة ، وامتلات النفوس غضبا وحقدا ، وأوشكت العلائق بين الفرنسيين والمغاربة أن تنقطع لولا حكمة صاحب الجلالة ، الذي تابع استعداداته للسفر ، ناصحا بملازمة الهدوء والسكينة ومقابلة هذا الاستفزاز أن كان هناك استفزاز بتعقل ورزانة .

ورجع الهدوء شيئاً ما الى النفوس بالرباط ، ولكن نار الغضب بقيت متأججة في المدن الاخرى ، وطلعت شمس يوم الاربعاء (١٨) جمادى الاولى (١٣٦٦) فذهب سكان الرباط فاطبة الى الشارع الرئيسي. شارع دار المخزن محيطين بمحطة القطار يمينا وشمالا ، ومن فوق ومن تحت ، وخرج صاحب الجلالة من قصره مرفوقا بولى عهده يتبعهما الوزراء والرؤساء والباشوات والقواد وكتاب المخزن ، ووصل الى المحطة فاستقبلته رعيته هاتفة هائجة ، وحيته فرقة عسكرية كانت مصطفة أمام المحطة برجالها ورشاشاتها ودباباتها ، وصعد السلطان مع حاشيته الى القطار الخاص الذى أعد لنقل الركاب الشريف الى المدينة المغربية طنجة .

وبعد وداع شخصيات الرباط العسكرية والمدنية المغربية والفرنسية ، تحرك القطار متوجها نحو الشمال ، خارقا صفوف شعب قد اصطف عن يمين ويسار السكة الحديدية مشيرا ملوحا ومنحنيا تعظيما معبرا عن العواطف المتأججة التى يكنها قلبه لعاهله العظيم ، وسلطانه الجليل ، الذى أصبح رمز رفاهيته وأزدهاره ومجده وعلياه .

وسار الراكب آمنا ومطمئنا ، مبتسما ومتفائلا ، سعيد كل واحد من أفرادة بالشرف الذى ناله من المساهمة فى هذه المظاهرة التاريخية ، وكان صاحب الجلالة وولى العهد جالسين فى صالون متصل بعربة أقلت الاميرات الشريفات للاعائشة وللا مالكة وبعض

نساء القصر ، أبى السلطان الا أن يكون لهن حظ فى هذا الحادث المغربى الهام ، وكان حديث الحاشية يدور حول الذكريات التى تبعثها فى نفوسهم أسماء بعض القرى أو بعض الانهر التى يمر بها القطار الملكى فهنا كانت معركة بين المرابطين والموحدين ، وهذا سور من عصر الموحدين ، وتلك صومعة ذات طابع مرينى ، وفى نواحي هذا الجبل اصطدم اتباع البطل الريفى ابن عبد الكريم مع الجنود الاسبانية .

وعند الزوال وصل القطار الى أصيلا ، فكان فى استقباله خليفة المنطقة الشمالية سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي والشخصيات المغربية والاسبانية ووضع سيدنا أيده الله رجله لاول مرة على أرض من المنطقة التى ينعتونها بأنها اسبانية ، معلنا أن وحدة التراب المغربى يجب أن تصان وتحفظ .

ونزلت الحاشية الملكية ، وركب صاحب الجلالة فى سيارة مكشوفة ، وجلس عن يساره الخليفة السلطاني ثم تبعتهما الحاشية وسار الجميع نحو ضاحية جميلة مجاورة للمدينة .

وفى أثناء الطريق لوحظ أن سكان أصيلا ورجال القبائل قد حيل بينهم وبين الاتصال المباشر بملكهم بوضع حواجز على بعد مآت الامتار من الطريق التى يمر بها سلطان المغرب ، ومع ذلك فقد كانت هتافاتهم واثاراتهم تنبىء عما تكنه أفئدتهم .

ووصل السلطان وحاشيته الى السرادق المعد لاقامة حفلة الغداء ، وفى أثناء تناول الشاي وقف سمو

الخليفة فألقى كلمة ضمنها عبارات الطاعة والولاء
والوفاء لملك المغرب الذى يلتف حوله جميع المغاربة ،
اذ مبدؤهم التوحيد ، شعبهم واحد ، وترابهم واحد ،
وملكهم واحد .

وبعدہ تقدم الشاعر السيد ابراهيم الالغى فألقى
قصيدة فى الترحاب بالجناب الشريف ، وانفض الجمع
ورجع الموكب الى المحطة حيث استقل القطار متوجها
الى طنجة .

(طنجة) ياله من اسم جميل ، وياله من حلم عذب
وأمل عزيز ومطمح غال طالما ساور طنجة وداعب أحلام
الطنجيين ، ملكهم ومتبوعهم وسيدهم وحاميتهم يتنازل
الى تشريفهم بركابه ، انهم اذن لازالوا مغاربة كاملي
المغربية ، لم تقو الدول العظمى النازلة بمدينتهم أن
تنقص فتيلة من مغربيتهم التى هم مستعدون للتضحية
فى سبيلها بكل ما يملكون ، انهم مغاربة تربطهم
بسלטانهم نفس الرعوية التى تربط أى مغربى آخر
بملك المغرب ، انهم ليسوا منعزلين فى هذا الميناء
الذى توارد عليه من كل حدب وصوب مهاجرون من
جميع الاجناس ولاجئون من كل التوجيهات السياسية
وموظفون من جميع الدول ، وجنود وبوليس من كل
أفق .

ليس الطنجيون كهؤلاء ، انهم فى عقر دارهم ، انهم
فوق تراب وطنهم ، انهم جزء من كل عظيم محترم ، انهم
رعايا صاحب الجلالة سيدى محمد بن يوسف نصره الله

ان اعلان زيارة سلطان المغرب لمدينة طنجة قد فعل
فى نفوس سكانها ما لا تقوى على فعله الدعايات
المصطنعة ولا الابواق الماجورة ولا الخطباء المغوهون ولا
الشعراء المجيدون ، لم يكن صاحب الجلالة فى حاجة لا
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، لم يكن فى حاجة الى من يهيب
له الجو الجدير بزيارته الخالدة .

فسكان طنجة ليسوا وحدهم هم المدركين لخطورة
الحادث وعظيم أهميته وبعيد مرماه ، اذ لو لم يحل بين
المغربى وبين ما يشتهى لهرع كل من توفرت لديه
الوسائل الى حضور هذا الموسم الوطنى الجليل .

فمنذ شهر أو يزيد ، والزوار من الشرق والغرب ،
والشمال والجنوب ، يتواردون على طنجة حتى ضاقت
عنهم سيارات النقل العامة ، وعجزت عن حملهم
السيارات الخاصة ، وتكدست أمام حكام النواحي
والمدن طلبات جوازات السفر التى بدونها لا يمكن
للمغربى فى منطقة أن يزور أخاه المغربى فى منطقة
أخرى .

وتدفق السيل حتى اضطرت السلطات الى التعرض
له بايقاف التاشير على الجوازات ، وحقا كان هذا
الاجراء ضروريا ، فلم يعد بطنجة نزل أو منزل خاص
أو مسكن مهما كانت حاله الا ودفعت المبالغ الباهضة
للتحصيل عليه مدة مقام السلطان بطنجة .

واقترب القطار الملكى من هدفه وخرق ذلك الخط
الكاذب المسمى حد المنطقة الدولية ، ذلك الخط الذى
يزعم واضعوه ، وهم فى ذلك مخطئون ، أنه بدل

ونسخ في اجتماعات بين ساسة ذوى أطماع وأغراض ما أثبتته وبينته الاعوام والقرون . ان طنجة الثابتة الوفية من المغرب واليه ، وهما هو ملكه محفوفاً بولى عهده وبرجال دولته يشرف عليها باسمنا مطمئناً مستبشراً ، وانطلق الشعب الطنجي رجاله ونساؤه وأطفاله ، وانطلق معهم الواردون على المدينة من كل حدب وصوب ، يتسابقون ويتفننون فى مظاهر الابتهاج وأنواع الحفاوة يصفقون هاتفين بحياة الملك وبحياة المغرب موحداً ممجداً ، ويشيرون بالراية الحمراء المهيجة ، تلك الراية التى لا يريدون حياة ان لم تكن فى ظلها ، وينثرون الورود والازهار فى المحطة وفى الشوارع والازقة ، وبودهم أن لو وضعوا أفئدتهم على الرصيف يطأها ملكهم بقدمه ، ان كان ذلك يعينهم على التعبير عما يحسون .

ووقف القطار بالمحطة ، وهاجت الجماهير وماجت ، وفقد الناس شعورهم ولم يقو أحد على صدهم ، لا قوات البوليس ، ولا الجنود ، ولا الحرس السلطاني فدخلوا عنوة الى المحطة وحضروا ذلك المشهد التاريخى الذى لا يمحوه من قلوب الطنجيين ولا المغاربة أجمعين مر الزمان ولا تقلبات الدهر .

مندوب صاحب الجلالة المعظم بطنجة يقدم سفراء الدول الاجنبية ، الوكيل الديبلوماسى للولايات المتحدة ، رئيس وأعضاء لجنة المراقبة ، مدير المنطقة ، وانتهت التقديمات الديبلوماسية ، فنزل صاحب الجلالة لارتقاء متن سيارته .

وهنا يعجز القلم عن وصف ما حدث فلقد صار
سكان طنجة رجالهم ونساؤهم وأطفالهم جسما واحدا
روحه ملك المغرب وسيد المغاربة ومنقذ طنجة
سارت هاته الكتلة البشرية الهائلة عبر الشوارع
وقد تحقق حلمها ، وانجز مطمحها بانتهاء محنتها
 واجتماعها بعاهلها وكهفها سلطانها العظيم سيدي
محمد نصره الله وايده ودهش الاجانب مما شاهدوا
 وصاروا معجبين يتساءلون كيف تم هذا الانقلاب
الرائع فى نفوس مغاربة طنجة ، اولئك الرجال
الذين عهدوهم ميالين الى الاستسلام والقنوط ، لقد
أصبحوا اليوم بين عشية وضحاها أسدا ضارية
يزأرون يرى فى أعينهم بريق العزم والقوة ويسمع
فى نبرات صوتهم نغمات النضال والكفاح ، انها
روح السلطان ، وعزيمة السلطان ، وعقيدة السلطان
يبثها بين نفوس رعاياه حيثما حل وحيثما ارتحل ،
ولقد امتد فعلها السحرى الذى لا يقوى على صده احد
الى ارواح الاجانب انفسهم ، فاقبلوا بدورهم
يساهمون فى التحية والترحاب والتهنئة لسيد
المدينة العظيم وانتهى الموكب موكب منقذ طنجة ورجل
المغرب الاوحد الى قصر المندوب السلطانى الذى شرفه
صاحب الجلالة بالاقامة فيه طيلة مكثه فى المدينة ،
والقصر هذا اية فنية مغربية اندلسية تمثل الذوق
المغربى ، وحداقة الصناعات المغاربة ومهارتهم وتفوقهم
وهكذا غابت شمس اليوم الاول من رحلة صاحب
الجلالة سيدي محمد بن يوسف وخلقتها شمس

الافراح تنطلق من جوانب المدينة وترتفع فى السماء
ناشرة الوانا خضراء وحمراء لونا الامة المغربية
والدولة العلوية .

ولم يكن لنهار ذلك اليوم ليل ولا للايام التالية
اد مقام السلطان بمدينته سوف لايزيد على أربعة
او خمسة ايام فكيف يسمح احد لنفسه بالنوم
واضاعة ساعات ثمينة فى امكانه ان يعيشها فى
هذا الجو النقى الطاهر القوى .

ولقد وفق السكان الى حفظ صفاء هذا الجو وطهارته
وأوجدوا لذلك وسائل عدة منها اقناع مدمنى
الخمير باخذ العهد بان لايشربوا مدة مقام السلطان
قطرة خمير احتراما لامامهم المتشبهت بتعاليم دين جده
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو قدر لكل
مدينة من مدن المغرب ان تحيى يوما من ايام طنجة
بما بث فيها من عواطف وما اخذ من عهود لما مر على
الشعب بضع سنين الا رهو يتمتع بنضوجه وحررته
وحقوقه كاملة غير منقوصة .

ولم ينغص على الناس بهجتهم وسعادتهم الا شئ
واحد ، هو توارد أخبار مأساة البيضاء يحملها رواة
لم يتشبنوا من تفاصيل الحادث ، ولا من عدد الضحايا ،
ولا من مدة المحنة ، وصادفت هذه الاخبار نفوسا
متحمسة هائجة فسرت فيها سرريان النار فى الحطب
اليابس ورننت فى الجو صيحات عدائية موجهة ضد
المسؤولين عن حوادث الدار البيضاء ، ثم ضد جميع
سلطات الحماية ، ولم تلتف هذا الحماس تلك الزيارة

الخاصة التي قام مسيو دوفيرجي الوزير المفوض
بالقنصلية العامة الفرنسية بطنجة لصاحب الجلالة
نصره الله .

هكذا في جو مكهرب مائج يثير العواطف المتناقضة
سهر الناس ليلتهم في انتظار اليوم الاغر ، اليوم
الحالد ، يوم خطاب صاحب الجلالة السلطان سيدي
محمد بن يوسف في مندوبية طنجة .

في صباح يوم الخميس (١٩) جمادى الاولى التف
الشعب الطنجي محييا ومصفقا حول المندوبية ،
وتتابعت السيارات الفخمة تحمل ممثلي الدول
الاجنبية ، وموظفي المنطقة والاعيان الاوربيين
والمسلمين ، ووقف المندوب السيد محمد التازي
وابنه وخليفته السيد احمد ، هاشين باشين يستقبلان
الزائرين الذين كانوا يتوجهون الى قاعة الاستقبال ،
في انتظار الاشارة بالمشول بين يدي صاحب الجلالة ،
وفي الساعة العاشرة ابتدأت اقتبالات ممثلي الجاليات
الاجنبية ، أما الاعيان المسلمون فقد كانوا آخر من
حظي بالمشول لدى السلطان المعظم ، ولم تكن القاعة
كافية لضمهم جميعا ومع ذلك حظى كل واحد منهم
بتقبيل راحة ملكه ، وفي أثناء هذا الاقبال وقف
الاستاذ المكي الناصري أحد أعضاء الكتلة العاملة
ومؤسس حزب الوحدة المغربية ، فألقى أمام صاحب
العرش خطابا حماسيا مؤثرا ، وخرج اعيان طنجة
رافعي الرأس فخورين متباهين وتوجهوا الى ساحة
المندوبية الفسيحة ، وقد اضطربت الافئدة في

الصدور وامتلات النفوس هيبة واحتراما ، واشترأبت الاعناق الى تلك المنصة العالية المكسوة بالعلم المغربي والذي أحاطت بها أبواق الاذاعات وآلات التصوير ، فبعد دقائق معدودة سيرن في أرجاء طنجة ، بل في أرجاء المغرب صدى الكلمات النبيلة والنصائح الغالية يسديها سلطان المغرب الى شعبه الوفي .

خطاب طنجة

وأقبل صاحب الجلالة فوقف الحاضرون وانحنوا باحترام وصعد سيدنا أيده الله الى المنصة يخاطب رعاياه ، في صوت قوى رزين ، وفصاحة عربية قرشية ، يخاطبهم مخاطبة المومن للمومن ، والاخ لاخيه ، والراعي لرعيته ، يبين لهم وهو المومن المتوكل على الله ، المسلم قياده اليه ، ضرورة الاعتماد على الله الذي لا يمكن أن يخيب من اعتمد عليه (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين ءامنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم) .

ثم ان دين الله الاسلام ، دين التعاضد والوثام ، دين الاخوة والتالف ، قد ألف بين قلوب المسلمين فأصبحوا بنعمة الله اخوانا ، واذا كان المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها وطيلة قرون مظلمة مؤلمة قد ذاقوا من العذاب ألوانا ومن الهوان أنواعا ، ومن التقسيم والتفرقة أجناسا وأشكالا ، فانهم اليوم بفضل نهضتهم وتآزرهم وتحابهم وبفضل توحيد كلمتهم حول الجامعة العربية تلك المؤسسة الرشيدة

التي تمتت العلاقات بين العرب أينما كانوا ، ومكنت ملوكهم فى الشرق وفى الغرب من توحيد خطتهم وتوجيه سيرهم نحو الهداية الدينية والعزة الاسلامية والكرامة العربية .

انهم اليوم بفضل ذلك كله ينظرون الى المستقبل متفائلين ، ويناضلون عن حقوقهم أقوىاء مستبشرين ويسيرون نحو الازدهار والمجد مسرعين ، فلنجد اذن فى العمل ولنتابع فى يقين وثبات المطالبة جاهرين بتمكيننا من حقوقنا المشروعة الجليلة البينة ، فاذا كان ضياع الحق فى سكوت أهله عنه ، فما ضاع حق من ورائه طالب .

واذا حدثت أحدا نفسه بالتعدى على حق الامة المغربية ، فليعلم أن حق الامة المغربية لا يضيع ولن يضيع ، اذ سلطان المغرب يقول نحن بعون الله وفضله على حفظ كيان البلاد ساهرون ولضمان مستقبلها الزاهر عاملون ، ولتحقيق تلك الامنية التي تنعش قلب كل مغربى سائرون .

ومن حقوق الامة المغربية ، الساهر عليها عاهلها العامل المجد ، وحدة التراب المغربى الذى قسمته الاهواء ومزقته الاغراض ، فجعلت من وحدته وتناسقه الطبيعى تفرقة وتنافرا ، ومناطق وادارات متجافية ، ورسمت على خرائطها وفى تقاريرها ، خطوطا وهمية جعلت للمغرب أجزاء وللمغاربة صفات متباينة وألوانا . غير أن قلب المغربى وهو القلب الصابر الثابت الامين لم يضعف ولم يهن ولم يخر ، فلقد سر

صاحب الجلالة بما شاهده في مذاكراته مع خليفته المفوض بتطوان ، وفي اتصالاته مع رعاياه الشماليين من وفاء بالعهد وثبات على المبدأ ، واتحاد في الخطة وتجانس في العمل .

غير أن هدف السلطان هو زيارة طنجة ، تلك المدينة العظيمة بتاريخها ، العظيمة بمرکزها التجاري العظيمة بموقعها السياسي ، فهي من المغرب كما يقول صاحب الجلالة بمنزلة التاج من الفرق ، وهي باب تجارته ، ومحور سياسته وعنوان محاسنه الوهاجة وفي صفحات مجده أجمل ديباجة ، وما شد صاحب الجلالة الرحلة اليها الا لتفقد شؤونها وكل أرجائها تفقد الاب الحنون الذي يشعر بكل ما عليه من الواجبات ، المستعد للقيام بتنجزها ليريح ضميره ويرضى ربه ، ويتمتع كل رعاياه بما يخوله الانتساب الى المملكة المغربية والاخلاص والولاء للعرش العلوي ذلك العرش الذي عمل منذ قرون بكل ما أوتيته من قوة على حفظ كيان الامة وسلامة أجزائها وسعادة مختلف طبقاتها ، ولهذا فمن حق عاهل المغرب ، ومن حق العرش المغربي أن يجد لدى موظفيه الكبار منهم والصغار ، تفهما للخطة المرسومة ، وامثالا للاوامر الصادرة ، وعملا بالنصائح المسداة ، اذ مهمتهم في السهر على مصالح هذه الامة وضمان حقوقها المدنية والشرعية . وهذه المهمة الجليلة تستدعي نسيانا للمصالح الشخصية في سبيل الصالح العام ، فليس الوظيف طريقا الى استعمال السلطة في غير ما وضعت

له ، بل الوظيفة مؤسسة يقصد منها أولا وأخيرا خدمة
مصالح رعايانا الاوفياء ، ورفع نير الظلم والهوان
عنهم ، ومد يد المساعدة والتشجيع لكل المشاريع
الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

ولهذا يأمر صاحب الجلالة النواب والباشوات
والقواد والعمال والقضاة وجميع الرجال المسؤولين
أن يتبصروا فى الواجب الوطنى الهام الملقى على
عاتقهم .

كانت كلمات العاهل العظيم ، كلمات الاخلاص ،
كلمات الرشيد ، كلمات العزم ، كلمات التدبير ،
كلمات الايمان ، تقع رنانة عذبة فى آذان السامعين ،
فتستحوذ على لبهم ، وتأخذ بمجامع قلوبهم ، وتبعث
فى نفوسهم الامال الجسام والمطامح العظام ، فمن
الواضح الجلى أن الامة المغربية ستعمل تحت قيادة هذا
الامام الدينى والمصلح الادارى والزعيم السياسى الى
تحقيق عاجل لامانيها والتغلب على كل العراقيل
والحواجز والاشواك التى يبיתהا الرجعيون
الاستعماريون ، فليسقط اذن استغلال الفرد للفرد ،
وليسقط استغلال دولة لامة ، وليعش المغرب حرا
مستقلا ، وليحيى ملكه العظيم ، وليحيى ولى عهده
المحبوب ، وليسم العرش العلوى الى سماء المجد
والعلياء .

لو كانت علاقات الافراد وعلاقات الامم والدول
مبنية على الانصاف والصراحة وعلى الاعتراف لكل
ذى حق بحقه وللمخلص باخلاصه ، لما صادفت كلمات

السلطان هذه وحرركته وعمله في مدينة طنجة وهتافات رعيته والتفافهم وحماسهم الا تقديرًا وتحبيذا واعجابا ، ولكن وياللاسف لم يصل العالم بعد بالرغم عن الاشواط التي قطعها في طريق المدنية الى درجة من الرقي تمكنه من التحرر من سلطان المصالح الشخصية والاغراض الفردية التي تعمى القلوب قبل الابصار ، وتدفع الجماعات الى اعتبار كل ما هو معارض لمصالحها كجريمة تستحق العقاب ، واعتداء يجب أن يقابل باعتداء

لقد القى السلطان خطابا رزينًا صريحًا مسالما لم يلمز فيه احدا ولم يدع الى استعمال عنف او تهيماء ثورة بل على العكس من ذلك دعا الى الهدوء والسكينة والمطالبة بالحقوق والتي هي احسن ، فاذا كان نصح رعاياه وعبر عن امانيتهم وطالب بتوحيد مملكته وجمع شتات رعيته ، ثم فاه بكلمة تقدير للجامعة العربية وبرنامجهما ، فهل في هذا تعد على احد واجحاف بحق من الحقوق ؟ حقا انه لم يذكر الحماية الفرنسية ولم ينطق في حفلة المندوبية أمام الاعيان الطنجيين بكلمة حول ما قام به الاحرار الفرنسيون امثال الم لا بون وعدد من رفاقه المخلصين لبلادهم والعاملين لمصالحها بانبل الوسائل واجداها من اعانة المغاربة على تكوين النخبة التي ستستلم زمام الامور السياسية والادارية والفنية في اقرب وقت ، نعم لم ينطق بذلك ولكن هل من حسن التدبير ومن رشد السياسة أن يتعرض السلطان والنفوس ممثلة حماسا والقلوب

متألّمة اسى من الاخبار المبالغ فيها والواردة من البيضاء الى موضوع العلاقات الفرنسية المغربية ، الم يكن من الافضل اعتبار خطبة طنجة خطبة خاصة بملك المغرب ورعيته ، كتلك الخطب التي يلقيها فى عيد العرش والتي تاخذ صبغة دينية ، لو كان الاستعماريون الرجعيون يزنون الامور بميزان الانصاف لقدروا للسلطان ما تلافاه لبلادهم من صيحات عدائية ، ومن مظاهرات حرصت الجلالة على تجنبها لكيلا يستغلها المستغلون ويستفيد منها المصطادون فى الماء العكر .

الاستعمار وخطاب طنجة

ولكن كان من الصعب على الرجعيين ان يتركوا فرصة كهذه من دون أن يوجهوا مفعولها ضد السلطان وضد ممثل فرنسا وروحها الديمقراطية ، فما خرج الناس من المندوبية متحدثين معجبين بالخطاب النفيس يتعانقون مهنئين بعضهم البعض ، حتى قامت قيامة الرجعيين وثار ثورتهم للامر الذى هالهم ، كيف يمكن تصور الحادث ، سلطان المغرب لا يذكر الحماية الفرنسية فى خطابه ، انها طعنة نجلاء ، انها خرق للعهد الذى يربط البلدين ، انها ثورة على مصالح فرنسا ، ان هذه نتيجة السياسة التي سلكها لابون الذى لم يفهم ولن يفهم ابدا السياسة المغربية .

ومن السهل تصور الاثر السئ الذى احدثته فى فرنسا التقارير المرفوعة الى وزارة الخارجية التي لم تكن على علم بالظروف التي احاطت برحلة طنجة

وخطبة المندوبية ، ومع ان صاحب الجلالة قد احتفظ في النص العربي والفرنسي الذي وزع على الحاضرين وعلى رجال الصحف بكلمة ختامية موجهة الى العلماء والفنيين من ابناء الامم الصديقة ، وبالاخص الاحرار من رجال فرنسا التي ناضلت عن مبادئ الحرية التي تنمو بها البلاد وتزدهر ، مع هذا فقد كان ذلك اليوم ، يوم خطاب طنجة مبدأ حملة شعواء ، ان كانت أبعدت عن الاقامة الرجل الذي حاول باخلاص أن يخدم بلاده ويسجل لها عملا لايمحى باعداد شعب كامل الى حياة الحرية والازدهار ، فانها لم تكتف بتلك النتيجة بل جعلت هدفها الجالس على العرش المغربي المقدى بارواح امة باجمعها .

هذا ، وبينما كانت التقارير ترفع والدساس تحاك والاتصالات تتابع ، كان الشعب الطنجي يتنقل في ثقة واطمئنان وفرح وابتهاج من مهرجان الى مهرجان .

خطاب ولي العهد

ففي ظهر ذلك اليوم يوم الخميس ، زار صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الامير مولاي الحسن مدرستين وطنيتين هما المدرسة المحمدية للكتاب المؤرخ الاستاذ السيد عبد الله كنون ، ومعهد مولاي المهدي لمؤسسه الاستاذ المكي الناصري ، ومع أنه لم يفصل الاجتماع الاول عن الثاني الاحقة من الزمن ، فقد كان يخيل للرائي بان الشعب الطنجي باجمعه قد شارك في الحفلتين ، ومن العسير ان نفى بوصف ما

اثاره ظهور ولى العهد محاطا بالشبيبة الكشفية
المركبة حرسا شرفيا ويسير وسطه شبيل المغرب، وفخر
الشباب ورمز التجديد الامير مولاى الحسن حفظه الله
اد حينما وقف صاحب السمو الملكى فى المدرسة
المحمدية يتكلم بفصاحة وحماس عن برنامج والده
العظيم ، كانت ساحة المدرسة والشوارع المجاورة
لها تضطرب فى اثر التصفيق والهتاف المتوالين ،
وكانت كلمات الخطاب تخرج من فم خطيب الشباب
فترددما الابواق مبلغة اياها سمع الشعب الطنجي .
ولقد ضمن الامير خطابه نظرة على البرنامج الاصلاحى
لصاحب الجلالة ، ذلك البرنامج العامل على رفع
المغاربة فى العالم الى المكان اللائق بهم ، وحيث أن
منزلتنا فيه تقاس بما اكتسبناه من العلوم وساهمنا
به من الابحاث وما انجزناه من المخترعات وشيدناه
من المعاهد والمدارس والكليات فان نظرة سيدنا
البعيدة تخترق حجب الزمن ، فترى فى وضوح وجلاء
ذلك اليوم الذى تتعدد فيه ، لامعاهد التعليم الثانوى
فحسب بل كليات التعليم العالى ذلك اليوم الذى
ينطلق فيه اطباؤنا لمقاومة المرض ويتم فيه مدرسوننا
القضاء على الجهل ويرفع فيه محامونا وقضاتنا راس
العدالة ، ويشيد مهندسوننا وصناعنا ايات الفن
المعمارى البديع ، ويدرك فيه موظفونا نبل مهمتهم
وعظيم مسؤوليتهم ، ويدلى علماؤنا بدلوههم فى
معركة تحرير الفكر من الاوهام ورفع راية العلم
الحقيقى خفاقة منتصرة .

اما في معهد مولاي المهدي الواقع في احد الشوارع الرئيسية للمدينة فقد كان الحفل رائعا حقا ، فتصور صاحب السمو الملكي واقفا على شرفة عالية مطلة على ساحة فسيحة ازدحمت فيها عشرات الالاف من المغاربة ، تصوره يشرح لهم المبادئ الستة لبرنامج سلطان المغرب : اسلام وعروبة وعلم وعمل ووحدة وتعاضد ، ويلح في طلب السعي الى الوحدة اذ أن ما نصبو اليه يتطلب :

وحدة وتعاضدا بين مناطق المغرب لكي يجتمع للمغاربة شملهم وتتحد وجهتهم وحدة وتعاضدا بين العلماء الشيوخ ومثقفى الشباب حتى نحفظ من القديم بكل مفيد وناخذ من الجديد كل نافع .

وحدة وتعاضدا بين مختلف طبقات الامة فقيرها وغنيها ، عسى أن نكفي رؤية تلك المشاهد المؤلمة من شيوخ عراة جائعين وأطفال مشردين تعسين ونساء محرومات يائسات

وحدة وتعاضدا بالاخص بين افراد نخبتنا العاملة حتى نسير على هدى من الله وبصيرة

هل من الممكن ان لايجد هذا البرنامج وهذا الحماس ، وهذا التفاني في النهوض بالشعب عطفيا واستحسانا في جميع الاوساط ، هل من الانسانية وهل من الانصاف أن يتعرض احد او يقاوم هاته العزيمة الوثابة ، عزيمة صاحب الجلالة التي بثها في أمته فنهضت مشمرة الى العمل الى الجد الى العلم الى الاصلاح .

هل من اهداف المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الدول أن تعرقل أمثال هذه الوثبات التي تساعد على قطع المراحل وعلى خرق الجواجز

كنا نظن أن ليس ذلك بممكن ، ولكن فوجئنا بعكس ما كنا ننتظر ، فاذا كان المغاربة واخوانهم المشاركة في مذاكراتهم وفي تعاليق صحفهم قد عبروا عن اعجابهم بعمل السلطان ، وبعمل ولي عهده وجميع رعيته ، فاننا صرنا نحس في اتصالاتنا مع أصدقائنا الفرنسيين وفي تعاليق الصحف الفرنسية المحلية شيئا من التحفظ وعدم الرضى عن الحركة الطنجية وصبغتها واتجاهاتها، فهم يخشون أن يكون فيها شيء من التسرع أو مخالفة قانون الطبيعة أو عدم اعتراف بالجميل .

نعم لقد كانت هناك صيحات عدائية وكانت مخالقات لقواعد المجاملة واللياقة ، ألم يضطر الم ديفال مدير المدرسة المولوية الى البقاء واقفا طيلة حفلة كاملة ، ولكن هل هذا كاف للشك في متانة الصداقة المغربية الفرنسية التي برهن عليها الشعب المغربي ، وبرهن عليها ملكه بأقواله وأفعاله في ظروف عصيبة خطيرة . ان رحلة طنجة وحفلات طنجة لم تكن موجهة ضد أحد ولا ضد دولة ولا ضد أمة ، ولم يكن لها الا هدف واحد هدف ايجابي هو بث روح الحياة وروح النشاط وروح الجد في نفوس المغاربة الذين كانوا في نشوة وفخار يتابعون توالى أيامها السعيدة .

خطاب الجمعة

وكان اليوم الثالث يوم الجمعة مخصصا لحفليتين الاولى دينية صلاة الجمعة في المسجد الاعظم ، والثانية ثقافية تخطب فيها أميرة النهضة صاحبة السمو الملكي للاعائشة ، فلم ينبثق فجر هذا اليوم حتى كانت الشوارع الفاصلة بين القصر والمسجد كلها غاصة بألاف المغاربة والاجانب ، وقد حملوا باقات الزهور ورايات ولافتات ، وعندما خرج صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف ممتطيا صهوة فرسه الادهم في الحفلة التقليدية البهية ، استولت على أرواح رعاياه احساسات الامال والخشوع ، وكان الركب يسير متئدا في وسط التكبير والهتاف والزغاريد ، وفي أحد الشوارع الرئيسية وقف الاستاذ عبد الخالق الطريس مؤسس حزب الاصلاح بالمنطقة الخليفية خطيبا أمام صاحب الجلالة الذي كان يبادى التأثير لفصاحة الخطيب .

ولما دخل السلطان الى المسجد واذن المؤذنون فوجيء الناس ببشرى لم يكونوا يحلمون بها ، وكان لكاتب السطور فخر تبليغها اليهم ، اذ لاول مرة في تاريخ العهد المحمدي ، وفي المسجد العظيم ، مسجد طنجة ، سيلقى السلطان الامام بنفسه خطبة الجمعة ، وارتجت جدران المسجد الكبير بالتحميد والتهليل لهذه البشرى الجليلة ، وكانت خطبة سنية ارشادية رائعة لازال الخطباء الى اليوم يتخذونها مثالا يقتدون به

ورجع السلطان بعد الصلاة في وسط حماس متزايد
وتمت الحفلة الدينية .

خطبة أميرة النهضة

أما الحفلة الثقافية فقد اختير مسرحا لها دار المخزن
الشريف ، واستدعى لها الاعيان المغاربة والاعيان
الاوربيون ونسأؤهم ، وضافت الدار على سعتها عن
جميع الوافدين ، ولما خرجت الاميرة للاعائشة في زيها
العصرى الذى أعد خصيصا لها فى باريز ، وشرعت
بصوت منغم فصيح تخاطب المغاربة بلغتها العربية
المتينة القوية ، ثم تشكر ضيوفهم باللغتين
العصريتين الجميلتين الافرنسية والانجليزية ، امتلأت
قلوب المغاربة وقلوب جميع أصدقائهم بهجة وآمالا
وفخرا .

وكيف لا يضطرب قلب المغربى فرحا حينما يسمع
الاميرة تقول مخاطبة من يشك فى قوة النهضة المغربية :
ومن أراد الدليل على ذلك فليجلى الطرف فى عشرات
المدارس التى ارتفعت جدرانها بسرعة فائقة فى
حواضر المغرب وبواديه ، انها أعمال مغربية بالرجال
القائمين بها ، مغربية بالبرامج المطبقة فيها ، مغربية
بالاموال المنفقة عليها ، مغربية بالاهداف التى تسعى
لتحقيقها ، فهل بعد هذا نوسم بأننا قوم كسالى
خاملون ، بالاوهام والحرفات متشبثون ، لقد فتحت
التجربة عيون المغاربة وأنارت المعرفة أذهانهم ،
وامتلكت المدنية الحقبة قلوبهم وألبابهم ، فلا حاجز

يقف في طريق نهضتهم ، ولا صاد يعوقهم عن ادراك
بغيتهم ضمنوا الظفر باجتماع شروطه الثلاث :
العقيدة الثابتة ، والهدف الجلي ، والقائد الحبير
المسموع الكلمة تجتمع عليه الامة . أليس من الرائع
العجيب ، أن تتحدث أميرة في العقد الثاني من عمرها
عن تاريخ البلاد العربية والاسلامية ، وتقارن بين
رجالها العظام أمثال جدها الاكبر ، مولاي الحسن
ومحمد علي الكبير ، وتتكلم عن كتاب الادب العربي
وشعرائه فتذكر شوقي وحافظا وتعهما شاعري
الامة العربية ، وتخص بكلمة اعجاب الاستاذ الدكتور
هيكل وكتاب حياة محمد .

لو اطلع الناس على حالة المرأة ، قبل الحملة التي
شنتها أميرة النهضة في سبيل تحرير المرأة المغربية
لعدوا من قبيل المعجزات ما أنجزته الاميرة بأقوالها
وأفعالها سائرة بالشبيبة النسوية المغربية على
الطريق التي سارت فيه زعيمات النهضة النسوية
بمصر ، وطالبات جامعاتها ومدارسها . وبهذه الحفلة
النسوية الرفيعة التي أحدثت في أوساط النساء
المغربيات شبه ثورة على التقاليد البالية انتهى اليوم
الثالث من الرحلة السلطانية الى طنجة .

وإذا كانت الايام الثلاثة الاولى هذه قد اكتست
صبغة شعبية تجددت وتمنتت فيها عرى الاتصال بين
الشعب وملكه ، وولى عهده وأسرته ، فان اليوم
الرابع وهو يوم السبت ، قد خصصه صاحب الجلالة
لوضع الحجر الاساسي لمدرسة المصلي في جمع خطب

فيه سمو ولى العهد وسعادة مندوب طنجة، ثم
للانصال برجال السلك الديبلوماسية وبالاخص لحفلة
الغداء المقامة فى قصر التازى البديع على الطريقة
المغربية التقليدية حيث ترأس المائدة الاولى صاحب
الجلالة سيدى محمد بن يوسف وجلس أمامه صديقه
لابون ممثل فرنسا ومقيمها العام وعن يمينه ممثل
أميركا وعن يساره ممثل انكلترا .

وكان الحديث على المائدة متواليا فماذا كان
موضوعه ؟

هل اقتصر على حالة الطقس وعلى تبادل المجاملات
أم دار حول أمور جدية خطيرة ، أذكر السلطان ممثل
أميركا فى الوعد الذى قطعه روزفيلت على نفسه
متسائلا هل ستفى أميركا بوعد رئيسها الراحل ،
أم استفهم ممثل انكلترا عن مبادئ السياسة
الانكليزية فى الشرق العربى ، أم أشاد بروح
الاخلاص والتفهم التى وجدتها الامة المغربية وملكها
لدى ممثل فرنسا الموفق السفير المسيو لابون .

اننا لانعلم عن ذلك شيئا ، وكل ما نعلمه هو أن
البشر كان باديا على جميع الحاضرين الذين لم ينفذ
جمعهم الا على الساعة الرابعة وقد هب رجال الصحف
والمصورون يلتقطون الصور ويتلقفون الاخبار ، ومن
الضرورى أن يلقي الصحفيون أسئلة عن جميع ما
يروج فى طنجة ، أسئلة أجاب عنها صاحب الجلالة
بلباقة ولطف ، ولخصت فى بيان أذيع يوم مبارحة
السلطان طنجة .

وفى ظهر يوم السبت ، بأعظم نزل بطنجة وأبهاء ،
أقام صديقنا الاستاذ عبد اللطيف الصبيحي مؤسس
نادى روزقيلت ، ذلك النادى الذى كان من أعضائه
كاتب هذه السطور وعدد من أصدقائه ، أقام حفلة
شاي حضرها عدد من الشخصيات المغربية ومن ممثلى
الدول الاجنبية وبالاخص رجال القنصلية الامريكية .
ولقد ألقى الاستاذ الصبيحي عرضا سياسيا جامعا
وكان الشعب الطنجي يتجمع حول أمكنة الاجتماعات ،
اذما من عمل أو حركة قام بها سلطان المغرب الا وكان
رعاياه يحرصون شديد الحرص على المشاركة فيها من
قريب أو من بعيد ، وحرصهم هذا كان يشتد بقدر ما
كان يقترب يوم الوداع ذلك اليوم الذى سيغادر فيه
صاحب الجلالة مدينته بعد ما تعهدا وأيقظها وبث
فيها من روحه السامية ، وفعلا وصل ذلك اليوم ولم
تكن الاستعدادات ومعالم الزينة المقامة فى محطة
القطار الا بمثابة انذار بالفراق .

وداع طنجة

فماذا سيكون حال الشعب الطنجي بعد ما يغادره
عاهله

هل سيرجع الى استسلامه وقنوطه وعزلته ، أم
ستثمر الروح التى بثها فيه ملكه ، هل سيقوى هذا
الاتصال الروحى على محو تلك الحدود الاصطناعية
التي ما أنزل الله بها من سلطان .

وهرع الشعب فى الصباح الباكر هائجا تتجاذبه
عواطف الفرح والالم ، والامل والخوف ، واحتل المحطة

وضواحيها ، وتكدست آلاف المودعين على طول الطريق
محيين هاتفين ، خارقين صفوف الحرس حريصين على
مرافقة ملكهم ، مهما كلفهم الامر . وحينما وصل
الموكب ، وتمكن صاحب الجلالة بمشقة أن يصعد الى
القطار ، ووقف على باب صالونه الخاص ، مشيرا بيده
ومودعا شعبه الطنجي ، لم تقو النفوس على الصبر ،
فسالت دموع ، وتشبثت أيد بقضبان القطار ، مؤملة
أن تمنعه من السير .

وتحرك القطار بتؤدة ، في وسط جماهير مصطفىة
عن اليمين وعن اليسار ، وأبى رجال القبائل الا أن
يبرهنوا عن ادراكهم لمغزى هذه الحركة المباركة ،
فوقفوا على طول عشرات الكيلومترات يحيون عاهل
المغرب العظيم ، وجامع شمله بعد الشتات ، وغابت
طنجة شيئا فشيئا ، وكأنها لا تقبل الفراق ، عن أنظار
صاحب الجلالة ، وأنظار الحاشية المرافقة له ، ممتلئة
ألما وأسفا . وبقدر ما كان يسير القطار ، نحو الجنوب ،
بقدر ما كانت النفوس تكتئب ، وكأنها فهمت أن رحلة
طنجة ، وحركة طنجة ، وحماس طنجة ، انما هو حلم
ستعقبه يقظة مرة ، يدفع الشعب المغربي والحركة
المغربية والتطور المغربي ثمنه غاليا .

فبالرغم عن الحفاوة والفرح اللذين لقيهما صاحب
الجلالة من طرف سكان عرباوة ، عند ما دشن مسجدا
بها ، وبالرغم عن الحفلتين الزاهرتين المقامتين بسوق
الاربعاء ، حيث خطب قاضي المدينة وقائد الناحية ،

وبمشرع ابن القصيري حيث وضع الحجر الاساسي لمسجدين جديدين ، بالرغم عن هذا كله ، وبالرغم عن مغزاه العظيم ، وبالرغم كذلك عن حماس الشعب الرباطي ، الذي هب أفراده قاطبة لاستقبال السلطان المعظم ، لم تتمكن النفوس من التحرر تماما من ذلك التشاؤم الذي أخذ يعتربها .

تأخير لابون

لقد دخل صاحب الجلالة الى قصره العامر ، بعد ما قام بعمل وطني خالص ، أرضى به ربه وأراح ضميره ، وأيقظ شعبه وساهم بحظ وافر في نشر أفكار المدنية العصرية ، التي يعمل على بثها الفرنسيون ، أصدقاء المغرب وحلفاؤه .

فهل ياترى سيفهم هؤلاء الحركة على حقيقتها ، أم ستغمرهم جميعا موجة الحقد ، التي حركتها أيدي الاستعماريين الرجعيين .
لم ينتظر الناس طويلا لمعرفة الجواب على هذه الاسئلة .

اذ لم تمر الا أيام قلائل ، حتى أعلن بباريز وبالرباط ، أن السفير المسيو لابون الفرنسي الحر ، صديق السلطان ، وصديق المغاربة ، المتفهم لامانيهم ومطامحهم ، العامل على تقريب وجهتي النظر بين فرنسا والمغاربة ، الواضع أسس برنامج اصلاحى واسع ، من شأنه أن يرضى جانبا من أمنية المغاربة ، أن السفير المسيو لابون ، قد قرر ابعاده عن وظيفه بالاقامة العامة ، للاغلاط الفاحشة المرتكبة ، كما تقول

جماعة من أبناء وطنه ، باعتباره المغاربة أناسا ينطلق عليهم ما ينطلق على غيرهم من حقوق وواجبات ، ونزل الخبر كالصاعقة ، إذ لم يفت أحدا أن هذا التأخير معناه افتتاح عهد جديد ، فى تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية ، وعلاقات القصر السلطاني بالاقامة العامة .

لابون وجوان

فمن ياترى سيخلف السفير فى تمثيل فرنسا بالرباط

راجت اشاعات مختلفة ، لم تلبث أن اندثرت أمام الاخبار الصحيحة ، المستقاة من المصادر المطلعة ، أن الجنرال جوان ، هو الذى سيخلف لابون بالرباط .
لو كانت الظروف غير الظروف ، لما أثارت هذه التسمية ما أثارتها من تساؤلات وتقصيات ، عن ماضى الجنرال جوان وحاضره ، ولكنه جاء خلفا للمسيو لابون ولاصلاح أغلاطه ، فمن الطبيعى ، أن يقارن الملاحظون ويقابلوا بين السفير وبين الجنرال ، فإذا كان المقيم الداهب ، نشأ نشأة فرنسية محضة ، بما يحيط هذه النشأة من تساوى الافراد والجماعات فى الحقوق ، فان المقيم الجديد ، ولد ونشأ بالجزائر ، الارض التى عرفت الاستعمار بما يتضمنه من فروق واعتبارات عنصرية ، واتصال بين دولة سيده ، وأمة مسودة ، وإذا كان المسيو لابون قد خدم بلاده فى سلك الديبلوماسيين اللبقيين المجاملين ، فان الجنرال جوان ، قد صرف جهوده بأجمعها الى الميدان العسكرى ، الذى أظهر فيه استعدادا كبيرا ، وزيادة على هذا فان

الجنرال جوان ، على ما أشيع حينذاك يرتجل الخطط ارتجالا ، ويتأثر بالمؤثرات الوقتية بعكس ما كان يمتاز به المسيو لابون ، من تدبير الخطط الواسعة الافق ، البعيدة المرمى والتي لاتزحزحه عن متابعتها ، اعتبارات قصيرة محلية ، وفوق هذا وذاك ، فان الجنرال ، كان بجانب المعارك النبيلة ، التي تفوق أثناءها في الدفاع عن بلاده ، وفي رد القوات المعتدية على أعقابها خاسرة ، مما جعل الجميع ، وبالاخص القادة الامريكان ، يقدرونه حق قدره ، كان بجانب ذلك ، بطل احدى المعارك التي أحرز فيها الاستعمار الرجعى نصرا لازال لم يمح أثره ، من قلوب الافارقة ، بل من قلوب المسلمين أجمعين ، ألا وهو خلع عاهل تونس سيدي المنصف باى .

فهل في اختيار الحكومة للجنرال جوان ، انذار بالسياسة التي سيسلكها فى مدة اقامته بالرباط ؟ اننا اليوم نرى بوضوح ، الاتجاهات الرئيسية للسياسة المتبعة فى المغرب ، من طرف الإقامة العامة ، مند تعيين الجنرال جوان خلفا للمسيو لابون .

فلقد رسمت الحكومة الفرنسية لمثلها ، أو رسم هو لنفسه ، خطة تتلخص فى الكلمات الاتية : فصل الملك عن شعبه ، اخماد ذلك الصوت الذى رن فى طنجة ، اطفاء الشعلة التي أوقدها خطاب طنجة ، طمس الامل المنبعث فى قلوب المغاربة ، اعادة الثقة ومظاهر الامتياز للعناصر الاستعمارية الرجعية ، تثبيت ما اغتصبوه من حقوق بنصوص تشريعية ،

مشبعة بنظرياتهم وفلسفتهم ، احياء تلك السياسة
الاقطاعية البالية ، التي كاد يقضى عليها المسيو لايون
سياسة القواد الكبار .

ولم ينتظر الجنرال جوان ، بعد وصوله الى الرباط
طويلا ، للشروع فى تطبيق الخطة المرسومة ، ان
الوقت ثمين ، يجب استعماله فى اصلاح ما أفسدته
(الاغلاط) ، ولقد ظهر هذا الاصلاح طيلة سنوات أربع
فى موقف الاقامة ورئيسها ، من الهيكل المغربى
الشرعى ، الذى من حقه أن يكون له الحل والعقد فى
البلاد وأعنى به المخزن الشريف ، تحت رياسة صاحب
الجلالة سلطان المغرب ، ولكن قبل (الاصلاح) يجب
ايقاف (الافساد) ، وما الافساد فى نظر الاستعماريين
الاتك الحركة الشريفة النبيلة ، الوطنية الانسانية
السامية ، التي يقوم بها سلطان المغرب فى سبيل
سعادة شعبه .

فليلازم اذن السلطان قصره ، وليشتغل كل واحد
بكنس ما تجمع من الازبال ، أمام منزله ، فبذلك يأمر
الجنرال جوان ،

ولكن هل هو مجد فيما يقول ، أم ماهى الاتهديدات
لاتنطوى على شىء ،

حرية الملك

اجتمع سلطان المغرب بممثل فرنسا ، وأخبره
بعزمه على تدشين مؤسسة (مدارس محمد الخامس)
تلك البنايات الفخمة التي أنفق سكان الرباط على

بنائها من أموالهم الخاصة ، وقدموها هدية الى عاهلهم
المفدى ،

وكم كانت دهشة الملك عظيمة ، حينما فهم أن
الجنرال جوان ، لا يوافق بل لا يأذن بهذه الحفلة ، ولماذا
ياترى لا يوافق ولا يأذن ؟

لان فى هذه الحفلة ، يقف شباب يصيحون يحيى
الملك ، يحيى ولى العهد ، يحيى المغرب مستقلا ،

ومتى كان من حق الحكومات أن تمنع الناس من
النطق والتعبير عن عواطفهم ومتمنياتهم ،

ان الجنرال جوان ، ولاشك ليس بجاد فى قوله ،
ولكن السلطان ، أدرك أن ممثل فرنسا ، لم يكن مازحا
عندما صرح أنه اذا ما حدثت السلطان نفسه بمحاولة
الحضور فى هذا الاجتماع ، فسيجد أمامه القوات
الفرنسية ، التى ستمنعه من الوصول الى غرضه ،
حقا ان لغة الجنرال جوان ، تخالف شيئا ما لغة السفير
لابون ، ووجه فرنسا الذى مثله السفير ، هو غير
الوجه الذى يمثله الجنرال ، فما هو اذن الوجه الحقيقى
لفرنسا ؟

لقد زار السلطان فرنسا ، وعرف من رجالها
الشخصيات العظيمة ، وربطته بكثير من عباقرتها
السياسيين ، روابط الصداقة والتقدير ، فهل هؤلاء
الرجال ، قد أذنوا لنائبهم بالمغرب ، أن يخاطب
السلطان ، ويعامله هذه المعاملة ، ليس ذلك بممكن ،
فلنغض الطرف ، ولننتخل عن هذه الحفلة ، ولننتظر
من وزارة الخارجية تحديد موقفها من خطة الجنرال ،

ولكن لم يات هذا التسامح ، الا بعكس ما كان ينتظر منه ، فلقد ورد على السلطان ، أعيان مراکش ، مقترحين تشييد مدرسة مماثلة للمدرسة الرباطية ، يتبرعون بالانفاق عليها ، ويأملون أن يشرفهم صاحب الجلالة بزيارة كريمة ، وأطلع الجنرال جوان على مشروع الرحلة ، فعلم أنه لا يمنع السلطان من الذهاب الى مراکش ، ولكنه يود أن يطلع من قبل ، على كل الخطب التي ستلقى ، كما يريد أن تؤخذ الاحتياطات ، لمنع كل هتاف ، غير لائق ، ولم لا يصدر ظهير بالحكم بالسجن على كل هتاف باستقلال المغرب اذ أن المطالبة باستقلال المغرب ، معناها طرد جميع الفرنسيين ، واللقاء بهم الى البحر .

ان القصر والاقامة العامة لا يتكلمان لغة واحدة ، ولا يخضعان لمبادئ منطق واحد ، فكل اتصال وكل مذاكرة ، وكل محاولة كانت ، لاتزيد الخلاف الا اتساعا ، والتفاقم الا خطرا ، لاسيما وقد أخذت السياسة الجديدة ، تترعرع وتمتد الى كل ما يحيط بالسلطان ، فلقد اصطر صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن ، الى التخلي عن تدشين مدارس منها مدرسة أزرو ،

عزل مندوب المعارف

كفى ما أحدثته هذه المدارس من مشاكل ، وما أقامته من عراقيل فى طريق المدنية ، وفى طريق الاصلاح الذى جاء الجنرال جوان ، للقيام به فى هذه البلاد ، والذى سيحققه ، أحب من أحب ، وكره من

كره ، فليلازم كل ما حد له ، وسيعلم الذين حسبوا
وهم فى ذلك مخطئون ، أنه يكفى للقضاء على النفوذ
الفرنسى فى المغرب ، وعلى النتائج التى حققها
الاستعماريون فى هذه البلاد ، أن يعين بوظيف
الرباط ، رجل خيالى ، يعيش فى السحب ، ان الجنرال
جوان ، سيرد الامور الى نصابها ، وسيحاسب
المخطئين حسابا عسيرا ، وفعلا بدأت تصفية الحسابات
فبعد ما أخرج مولاي العربى العلوى عن وظيفه ،
بمندوبية المعارف ، الذى اتهمته الإقامة العامة ،
بالدعاية للسلطان ، فى أوساط القنصليات الاجنبية
بطنجة ، ولم تقبله الادارة كباشا لسلطات الاشق
الانفس ، وتحت تأثير الحاح شديد من صاحب الجلالة ،
أوقف أو عزل من الموظفين ، اما بسبب ألقوها
فى الترحاب بالملك ، كما وقع ذلك لقاضى عرباوة ،
السيد عبد الحميد الرندى ، واما لتشبههم بحركة
السلطان ، وانخراطهم فى سلك خدامها ، وتلك حالة
السيد احميدة بن المنصور النجاعى ، ولم تكن الإقامة
تريد تصفية حساب طنجة فحسب ، بل كانت تريد
استئناف سياسة القواد الكبار ، التى برهنت فى
الماضى القريب ، على أنها أحسن سياسة ناجحة فى
المغرب ، واذا كان المسيو لابون ، قد هجر هذه
السياسة ، فما ذلك الا لعدم معرفته نفسية المغربى ،
وطريقة التأثير عليه ، ان المغربى لا يتأثر الا بشيء
واحد ، هو القوة والسلطة ، والقوة والسلطة فى نظره

متجسمتان في الباشا والقائد ، فاذا ما وقع اكتساب هذا العنصر الجديد فقد ربحت الادارة المعركة .

وكيف جلب هؤلاء ، ليس لذلك الا وسيلة ، هي اقناعهم بالاقوال والافعال ، على أن سلطة السلطان صارت عديمة الجدوى ، فمن أراد ترقيا الى وظيف سام ، فلا سبيل له الى ذلك الا على طريق الادارة ، ان المقيم العام الجديد هو الذي يعين ويرقى ، ويوقف ويعزل ، ومن شك في ذلك ، فليجلب بالجنوب أو بالشمال ، ير كيف أبعد خدام السلطان المقربون ، وكيف يحظى المخلصون الاوفياء لادارة الداخلية ، بالتسهيلات والرتب وكل الاحترامات .

ان فرنسا الديمقراطية ، المحتلة رأس قائمة الدعاة الى الرقى والى التجديد فى ميادين الحياة ، المتشبثة بالنظم البرلمانية الشعبية ، المعادية لكل استبداد وظلم ، ستفى بواسطة الاقامة بالرباط ، لاصدقائها ، رؤساء الاقطاعات وستعاضدهم كى يحتفظوا بما يتمتعون به من سلطة لاحد لها ، ومن نفوذ لاحد له ، ومن استبداد تقشعر له جلود المغاربة ، وترتاح له نفوس ضيوفنا ،

أما السلطان ، ذلك الشاب الذى جمع حوله جماعة من الشباب الطموح الى الوظائف ، والذى يريد احداث ثورة تاكل الاخضر واليابس ، ببناء المدارس وبالقاء خطب فى تدشينها ، وبتنظيم الدعاية للتوحيد بين المغاربة ، ودفعهم الى التضحية بالرخيص والغالى فى سبيل تثقيف الجيل الجديد ، فان فرنسا بواسطة

الاقامة العامة بالرباط أيضا ، ستعرف كيف تضع حدا لعماله المغرصة هذه ، اذ نحن في قرن العشرين الذى لايسمح لشخص أن يجمع بين يديه سلطات كالتى يجمعها سلطان المغرب ، فليتفهم ذلك

تجديد نفوذ الملك

وفعلا كانت هناك محاولات لاقتناع السلطان بالانزواء فى قصره ، وبتسليم مقاليد الامور الى رئيس حكومته الصدر الاعظم ، الحاج محمد المقرى ، غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل ، فاضطرت الادارة ، الى تهيبه برنامج بعيد المفعول ، واسع الافق جدير بأن يصل الى الهدف المنشود ، فان كل من سار على الدرب وصل ، لاسيما وقد بدأت ثمار الحركة الاولى تقترب من النضج ، ألم يلاحظ أنه منذ التغيير الذى وقع فى الاقامة العامة ، انه لم يفتح من المدارس الحرة الا النزر اليسير ، وهى من بقايا العهد البغيض عهد السفير لابون ، ألم تتوارد الاخبار عن الصعوبات المالية ، التى تصطدم بها أقوى المدارس الحرة وأقدمها ألم يعد كثير من الباشوات والقواد الى الخطة الرشيدة التى نشأوا عليها ، من اتصال مباشر ، حبي خالص برجال الادارة ، وبالاخص روادها الموفقين ، رجال الادارة الداخلية ، اننا نقترب من الهدف ، فلنثابر ،

ظهير اعادة تنظيم المخزن

ولكن ، ماذا تصنع الاقامة بهذه الاكداس من المشاريع الخيالية ، التى خلفها المسيو لابون ، ان فيها حقا أشياء جديرة بالتنفيذ ، كذلك الاصلاح الاساسى

الهام الخطير ، الذى أراد ادخاله على نظام المخزن ،
بتعيين نواب للصدر الاعظم ، ينتدبهم للاتصال
برؤساء الادارات الفرنسية ، حتى يوافوه بمعلومات
عن سير هذه الادارات ، كلما توقف دولته على ذلك ،
نعم ان المشروع خطير ، ولذا ينبغى التحرى فى
تقديمه ، وفى تعيين الشخصيات التى ستحتل هاته
المناصب الجليلة ،

وفعلا قدم المشروع ، وصادف قبولا واستحسانا
لدى السلطان ، الذى حسبته برهانا على تبديل الخطة ،
ودليلا على وصول تعليمات جديدة من وزارة الخارجية
ولكن تفاؤله تضائل حينما شاهد لائحة المرشحين لهذه
المناصب الجديدة ، انه يدرك أن من الواجب عليه ، أن
لا يجعل فروقا بين رعاياه ، فهم كلهم لديه سواء ، وهو
لا ينتهم أحدا ، ولكن من حقه أن يختار لاحتلال الوظائف
المتصلة به مباشرة ، رجالا عرفهم وخبرهم ، وأحسن
بهم الظن ، ولكن الإقامة ، لا تريد الا مرشحيها ، فلقد
قدمت كما جرى به العرف ، أسماء ثلاثة أشخاص
لكل وظيف ، فما على السلطان الا أن يختار ما يحلو له
أما الترشيح فليس هو من خصائصه ،

ولكن الإقامة ، رغبة فى التفاهم ، ومحافظة على
حسن العلاقات ، ستسمح لبعض خدام السلطان
بالتوظيف فى المخزن ، وأعلنت التغييرات المدخلة ،
وأسماء الموظفين الجدد ، فاذا بها تشمل ثلة من
الشباب المثقفين ، الذين تقلبوا فى وظائف مختلفة ،
ولكن السلطان لم يكن قد اتصل بواحد منهم أو خبره ،

اللهم الا ما كان من الاستاذ عبد السلام الفاسي ،
نائب مندوب المعارف وواضع برنامج التعليم
للمدارس الحرة ،

نعم لقد كان على هامش هذه الحركة ، تنقلات في
الموظفين ، شملت كاتب السطور ، حيث عين نائبا
لوالده وزير الاوقاف ، ولما نشر نص الظهير بالجريدة
الرسمية ، لاحظ القاريء أن هذا الظهير ، يكتفي
باعلان التغييرات المدخلة على المخزن ، من غير أن يحدد
اختصاص المندوبين الجدد ،

مهمة مندوبي الصدر الاعظم

نعم ، انه يشير الى أن مهمتهم ، هي في ربط الصلة
بين المخزن والادارة ، ولكن ، ماذا يقصد بربط الصلة؟
هل هؤلاء المندوبون موظفون ، أعضاء بحكومة المغرب
يتحملون حظهم من المسؤولية ، فيجادلون ، ويقررون ،
ويوافقون ، ويتعرضون ، ويخطئون ، ويصيبون ،
بغية النهيء لاحتلال رأس الادارات التي يشغلها الان
مديرون فرنسيون ، بسبب قلة المغاربة المستوفين
الشروط اللازمة لمثل هذه المناصب ، أم ليس هؤلاء
المندوبون الا شخصيات صالحة للمشاركة في الحفلات
وللمحضور في الاجتماعات حضورا رمزيا ، يقصد به
ذر الرماد في العيون ، لم يفصح الظهير طبعا عن
الوجهة التي يقصدها ، ولكنه وعد بصدور قرارات
وزارية ، تبين اختصاصات المندوبين ،

نعم ، ان الموظفين الجدد ، قد وجدوا لدى الادارة
من التسهيلات ، ما يجب تسجيله ، فقد قدمت لهم على

وجه السلف ، مبالغ لشراء السيارات ، واشترت
لسكناهم فيلات رقيقة ، بأحسن موقع في العاصمة ،
وهيأت لكل منهم مكتبا فخما فى الادارة ، وشمر
المندوبون على ساق الجد ، لحوص معامع التجربة
الادارية الجريئة ، التى قدر لهم أن يكونوا أول جنودها
وهيأوا برنامج العمل ، فالصباح سيخصص لدار
المخزن ، حيث يكون الاتصال والمذاكرة مع صاحب
الجلالة ومع رئيس الحكومة ، دولة الصدر الاعظم ، أما
المساء ، فهو وقت التعاون مع رئيس الادارة وموظفيها
وقت مجابهة المهمة الجديدة ، الملقاة على عاتقهم ، وصعد
المندوبون الجدد ، فماذا وجدوا أمامهم ، وجدوا ادارات
مجهزة أتم تجهيز ، منظمة أحسن نظام ، مستوفية
الشروط ، لا ينقصها الا شئ واحد ، هو الصبغة
المغربية ، فلغتها ، لغة مراسلاتها ، وعقودها ،
وطلباتها ، وقراراتها ، لغة فرنسية ، وموظفوها اذا
استثنينا الخدمة والشواش وبعض الموظفين فى أسفل
القائمة ، كلهم فرنسيون ، ورئيسها المسؤول عنها ،
والحريص على سيرها ، فرنسى ، فماذا ياترى سيفعل
المندوب الشاب المغربى ، وسط هذه المؤسسة الحية
النشيطة ، التى لا تتوقف عليه فى شئ ، أينزوى فى
مكتبه لمطالعة الصحف ، أو للدراسة الشخصية ،
مكتفيا بتسليم مرتبه الشهرى الضخم ، تاركا الامور
تجرى مجراها ، أم سيجد فى قرارات نفسه من الجرأة
ما يحدو به الى الاقدام ، والى محاولة التحصيل على شئ
ولم يجب المندوبون عن هذه الاسئلة نفس الجواب ،

فان كان بعضهم قد اختار الحل الاول ، فان البعض فضل الثانى ، وجمعوا كل ما يملكون من شجاعة ، وطرقوا باب مكتب المدير ، محاولين أن يجدوا عنده من التعليمات الصادرة من الاقامة العامة ، ما يسد الفراغ الذى تركه الظهير ، وعدم صدور القرارات الموعود بها ، وفى جو من المجاملة والملاطفة ، أفهمهم المدير أن أبواب ادارته مفتوحة فى وجههم ، وأنه مستعد تمام الاستعداد لمدهم بكل ما يتوقفون عليه من معلومات ، وما يحتاجون اليه من ارشادات ، وفى مقابل ذلك ينتظر منهم تسهيل خطته ، بتلافى ذلك التأخير الذى يقع فى المخزن ، عندما يرسل المدير الى القصر بعض النصوص ، لوضع الطابع عليها ، أو لتوقيع الصدر الاعظم عليها ،

ولكن هنالك أشياء لم يشر اليها المدير ، فهل للمندوب مهمة فى تسيير الادارة نفسها ؟ هل سيطلع بنظام على جميع ما يجرى فى الادارة ؟ هل سيطلع بنظام على البريد فى وروده وصدوره ؟ هل سيكون لرأيه حظ من الاعتبار فى القرارات المتخذة ؟ واذا لم يقع اتفاق بينه وبين المدير فماذا ياترى سيكون الحل ؟ كان موقف المديرين من هاته الاسئلة موقفا واحدا ان للادارة رئيسا مسؤولا هو المدير ، وليس بالامكان تقسيم هاته المسؤولية بينه وبين المندوب ، لما فى هذا التقسيم من خطر على سير الادارة ، ثم ان المندوب ، ليس هو موظفا بالادارة ، تقلب فى درجات سلمها فوصل الى القمة ، حتى يكون لرأيه اعتبار ، بل هو

عضو في المخزن ، مهمته كما يقول الظهير ، ربط الصلة بين القصر والادارة ، فليربطها كيف شاء

نعم ، هناك القسم المغربي من مجلس شورى الحكومة ، ذلك المجلس الاقتصادي ، الاستشاري ، الذي يجتمع مرتين في السنة ، لتعرض عليه الميزانية للتشاور فيها ، وفي هذا الاجتماع يؤمل المدير أن يجد لدى المندوب ، عوناً على تحقيق انتصار نظريته ومقترحاته ، وليكن المندوب مطمئن الخاطر ، فان المدير سيهييء له جميع ما يتوقف عليه ، بل سيحرر له حتى أجوبته وتصريحاته ، فهل في الامكان أبدع من هذا ؟ ان من نكران الجميل ، أن لايعترف هذا الموظف الجديد بالمعروف المسدي اليه ، ولكن هناك أشخاص ، ذوو طباع خاصة يريدون أن يطيروا بأجنحتهم ، ويمضغوا غذاءهم بأسنانهم ، ويجيبوا بأفكارهم ، ويحرروا تصريحاتهم بأقلامهم ، أشخاص خلقوا للعمل ، وللحركة وللطموح الى أخذ نصيبهم من المسؤولية ، وللجهر بآرائهم ، وان كانت مخالفة لآراء محدثيهم ، فكيف الحال اذا كان من بين المندوبين أحد هؤلاء الافراد شواذ الطبع ، ان حياتهم ستكون صعبة اذ سيصطدمون ولاشك مع الادارة ، ومع موظفيها ، ومع رئيسها ، وستكون النتيجة أن ينسحب ، أو ينسحب المندوب وتبقى الامور جارية على مجراها ، وتبقى الحكومة المغربية ذات شطرين ، شطر عصري منظم مجهز ، مستوفى الشروط ، هو الادارة ، وشرط هرم بال مضطرب ، هو المخزن ، ولكن ألم يشمل النص الجديد ، المخزن القديم ، ألم يشر الى تنظيم

اجتماعات تضم الوزراء والمديرين ، ان هاته الاجتماعات هي نواة الحكومة المغربية ، ففيها سيكتسب المغاربة التجربة الضرورية لتسيير الامور ، وسيمرنون على الحياة العصرية ، وما تضعه من مشاكل عمويصة ، غير أن هذه الاجتماعات ، مع الاسف ، لم تعقد الا بضع مرات في سنتين أو ثلاث ، وليس لدينا جدول مداولاتها ، اذ لو اطلع عليه الملاحظون ، لادركوا ماذا ينتظر من هذا الاجتماع ، الملقب بالمجلس الوزاري اذ في الواقع ، لم يدخل الظهير الجديد تغييرا محسوسا على سير المخزن ، وعلى حياته ، بل بقى كما كان من قبل ، يتحمل عبأه صاحب الجلالة ، الذي يفنى قوته ، ويصل ليله بنهاره في مراجعة مشاريع الظواهر والقرارات ، وملخص القضايا المخزنية ، التي تشمل القضايا المعروضة على الصدارة العظمى ، وعلى وزارتي العدالة والاحباس ، وعلى المحكمتين الشرعية والعليا ، زيادة على القضايا المعروضة عليه مباشرة ، ويقضى العرف المخزني أن لا يكون مفعول لامر صادر من المخزن الا اذا أبدى صاحب الجلالة رأيه مقدما وتسمى هذه الكتابة (التوقيع) ، والسلطان اذا أراد الاحتفاظ برأيه ، وقع (صار بالبال) ، ومن ثم ترى العمل الجبار المطلوب من السلطان المضطر الى استيعاب كل القضايا المعروضة عليه ، وابداء رأى فيها ، انه حقا عمل فوق طاقة البشر .

اللجان المخزنية

نعم ، كان ينتظر من تعيين المناديب تخفيف وطأة هذا العمل بعض الشيء ، ولكن الادارة تخشى التجديد

وتريد للمخزن أن يبقى كما كان ، ولكن لاضير ،
فليحاول السلطان نفسه أن يستثمر المشروع ، ولو
بالرغم عن مقترحيه ، وليكون لجانا مخزنية يختار
أفرادها من المثقفين المغاربة ، يجتمعون مع كل مندوب
والمستشار القانوني ، لدراسة مشروعات الظهائر
والقرارات ونقدها ، وبسبب الثقة التي سيضعها في
هذه اللجان ، سيتمكن صاحب الجلالة من تخفيف عمله
اليومي شيئاً ما ، وفعلا تكونت اللجان واجتمعت
للتداول ، وطبعاً كانت خطواتها ككل خطوات المبتدئين
لا تخلو من ضعف وخطأ ، غير أنها لم يمر عليها زمن
طويل حتى اكتسبت تجربة لا بأس بها ، فصارت تبدي
ملاحظات نفيسة ، وتقترح ادخال تعديلات موفقة ،
وتبدي في بعض الاحيان رأياً مخالفاً تمام المخالفة
للمشروع المعروض

ولاعجب في ذلك اذ كان ياتى مشروع الظهير أو
مشروع القرار الى المخزن وقد هيباه ودرسه وحرره
فرنسيون مخلصون لمهمتهم ، ولكنهم بطبيعة الحال
متأثرون بالسرغم عنهم بدافع المحافظة على مصالح
الجمالية الفرنسية ، ياتى النص الى المخزن فيحاول هذا
أن يبت فيه روحاً مغربية ، ويوجهه الى حفظ الحقوق
والمصالح المغربية ، فيكون ذلك ممكناً حيناً مع صعوبة
ويستحيل أحياناً

ولكن الادارة لم تألف من قبل أن تترد اليها
مشروعات الظهائر ، اذ تعتبر أن مسألة المجادلة في
الظهائر قد انتهت في الادارة المختصة بمجرد ارسال

النص الى المخزن ، ولذا لم تفكر في انشاء مصلحة أو مكتب للجواب على ملاحظات المخزن ومقترحاته ، بل هي تعتبر كل ما يبدو من المخزن تأخيرا وعرقلة مقصودين لذاتهما وموجهين ضد محاولة الاصلاح الذى يقوم به المقيم ، وهكذا تكدست بين الادارة والمخزن جملة من مشروعات الظهائر ، اعتبرها السلطان ومخزنه ولجانه ، غير مستكملة الشروط الضرورية لضمان مصالح الامة المغربية وأفرادها ، فاقترحوا ادخال تعديلات عليها حتى تفى بالمقصود منها .

ورأت الادارة على العكس من ذلك ، أن هاته النصوص ، هي أحسن ما يمكن أن يطبق فى الظروف الحاضرة ، وهي لا تقبل تعديل مشروعات درسها فنيون كبار ، اجابة لرغبة جماعة من الشباب ، يتجرأ على أن يهرف بما لا يعرف .

ان الادارة أحرص الناس وأعرفهم بمصالح الامة المغربية ، أما محاولة اللجان ، فهي محاولات مغرضة ، يقصد بها عرقلة عمل فرنسا أو خدمة مصالح فردية أو حزبية ، وفوق هذا فهل من حق السلطان ، أن يجادل فى مضمون المشاريع المعروضة عليه ؟ ان عقد الحماية قد منح لفرنسا فيما يرجع للاصلاحات المنوى ادخالها فى المغرب حق الاقتراح ، وهذا الحق يصير عديم الجدوى ، اذا كان للسلطان أن يمتنع من التوقيع على ظهير قدم طبقا لهذا الحق ، فالسلطان اذن حينما يرد مشروع ظهير ، يخرج عن ميدانه ويهدد أسس

معاهدة الحماية التي لا تبغى الاقامة بها بديلا ، وهكذا نشأت فكرة ارغام السلطان على توقيع ظهائر يتيقن في قرارة نفسه ، انها غير صالحة لوطنه ولا مته ، ومن هذه الظهائر نصوص تريد أن تمنح للفرنسيين حقوقا لا تتلاءم وروح الحماية ولفظ معاهدتها ،

حقوق الاجانب بالمغرب

فالحماية على ما أظن ، تحفظ للبلاد المحمية سيادتها وكيانها ، فمواطنو الدول الاخرى ، بما فيها الدولة الحامية ، هم أجانبا لا يستتعون الا بالحقوق التي يسمح بالتمتع بها القانون الدولي ، المطبق في العالم العصري فليس للفرنسيين اذن في المغرب أن يطالبوا بالتمتع بحقوق يحرمهم منها القانون الدولي ، نعم ، ان الحماية تقتضى أن يسمح للفرنسيين في المغرب باحتلال الوظائف الفنية ، التي لا يقوى المغاربة على تحمل أعبائها ، وباحتلال وظائف المراقبة على الاعمال حتى تسير على هدى وبصيرة ، وتقتضى الحماية أيضا أن يتمكن الفرنسيون من مزاولة المهن الحرة ، والتجارة والفلاحة ، ولكن هل لهم أن يطمحوا الى اكتساب حقوق ذات صبغة سياسية ، يجب أن يختص بها أرباب البلد وهم المغاربة دون غيرهم ، يرى المغاربة أن الفرنسيين يجب أن يحرموا في المغرب من كل حق سياسى ، فليس لهم أن يكونوا أعضاء منتخبين في مجلس بلدى له حق التقرير في الامور المحلية ، وليس لهم أن يعتبروا أنفسهم نوابا شرعيين في مجلس استشارى كمجلس شورى الحكومة ، يدافعون لا عن

حقوق جاليتهم فحسب ، بل يتكلمون باسم المغرب ، ويوجهون سياسته التجارية والفلاحية ، ولايتورعون فى بعض الاحيان عن خوض معامع السياسة العامة وليس من حقهم أن يكون لهم نواب فى مجلس الجمهورية أو المجلس الوطنى ، يمثلون فيه المغرب ، ويدافعون عن مصالحه .

الحالة المدنية والمجالات القانونية

ولكن الفرنسيين طبعاً ، لا يروقههم هذا الرأى ، فهم أوجدوا المغرب من العدم ، وخلقوا قطعة قطعة كل ما يشاهده الزائرون ، فقبل الحماية لم يكن هناك شىء يذكر ، فكيف يريد المغاربة أن يمنعوا الفرنسيين من الاستفادة من نتائج جدهم واجتهادهم ، أن العنصر الفرنسى قد أصبح بفضل أعماله عنصراً أصيلاً من سكان هذا البلد السعيد ، يجب اعتباره ، والاعتراف له بما يستحقه من تقدير وامتياز ، جزاء له على احسانه ، ولا وسيلة لذلك الا بطبع الظواهر التى تثبت مركزه باعطائه فى المجالس البلدية ، وفى المجالس الاستشارية بل وفى المجلس الوزارى نفسه عدداً من المقاعد مساوياً على الاقل للمقاعد المخصصة للمغاربة ، ولكن المغاربة يقدر عددهم بثمانية أو تسعة ملايين ، بينما لا يبلغ عدد الاوربيين عشرهم ، فكيف يريد الفرنسيون أن يكون عدد نواب العنصرين متساوياً ، هذا اذا سلمنا أن للعنصر الاجنبى حق التمثيل ، ولكن يظهر أن نظرية المغاربة ، لاتخلو من البساطة ، فالمغاربة لزالوا لم يتفهموا

الروح التي سادت خلق هذه المجالس ، انها مجالس استشارية اقتصادية ، لا غير ، واذا فهمنا هذا ، أدركنا السر ، واعترفنا بأن للفرنسيين حق الاغلبية في هذه المجالس ، اذ أغلبية المصالح الاقتصادية هي بين أيديهم ، غير أن صاحب الجلالة السلطان يريد ويعمل على أن تكون أغلبية المصالح الاقتصادية بيد المغاربة ، لا بيد غيرهم ، ولو كانوا أصدقاءنا الفرنسيين ، ولذا فهو لا يضع الطابع على مشاريع مشبعة بهذه الروح ، نعم ، لا يزعم أحد أن جميع ما قدم للمخزن قد تأثر بهذه الروح ، فلقد درس مشروع هام متعلق بتنظيم الحالة المدنية ، وجعلها بالتدريج اجبارية ، ولقد كان المشروع موضوع أخذ ورد ، انتهى بالوصول الى حل وسط ، أرضى الطرفين ، وطبع الظهير وجرى به العمل ، كما درست دراسة وافية المشاريع التي ترمى الى تهيين مجلات للقانون الجنائي والاجراءات ، اذ يجب أن تعرف أنه الى حد سنة ١٩٥٠ ، أي الى منتصف القرن العشرين ، لم يكن للمغرب أية مجلة تضمن لسكانه ولزائريه حقوقهم ، وتبين لهم واجباتهم ، وهذا يذكرني بتلك الكلمة المنسوبة للدكتور محمود عزمي ، الذي حينما أخبر بعدم وجود مجلة للقانون بهذا البلد ، صرح بأنه لا يآمن على نفسه ، ويفضل الرجوع الى وطنه ، يحتمي بقانونه ، نعم ، لقد تم أخيرا الوفاق على نشر المجلة الاولى ، واذا تأخر صدورها فما ذلك الا بسبب الترجمة ، اذ يجب أن تفهم أيضا أن هذه المشاريع ،

هياهما فرنسيون ، حرروها بلغة فرنسية . ولا أريد الكلام على عشرات بل مآت الظهائر التي تنشر أسبوعيا بالجريدة الرسمية ، اذ لم تكن ملاحظات السلطان ومخزنه متوجهة الا الى المهم من هذه المشاريع وقد قدر لكاتب هذه السطور ، أن يتابع بجانب صديقيه الاستاذ محمد اباحيني ، العضو بالمحكمة العليا ، والاستاذ مسعود الشيكو ، الكاتب الخاص للمصدر ، حياة مشروع ظهير مهم ، متعلق بنظام المعادن في المغرب ، حينما اقتضى النظر الشريف نقل كاتب هذه السطور ، من نيابة وزارة الاوقاف ، الى مندوبية المعادن ، فعند هذه التسمية ، كانت ادارة الانتاج الصناعي والمعادن ، قد قدمت الى المخزن مشروع ظهير ، متعلق بجمع وتوحيد النصوص المبعثرة ، التي تطبق في هذا الميدان ، وبادخال زيادة على الضرائب المفروضة على الرخص الممنوحة للبحث أو الاستغلال أو التحصيل على امتياز .

نظام المعادن

ومع أن بحث مثل هذه المواضيع ، من الصعوبة بمكان ، حيث يتطلب استعدادا وتهيئا فنيا خاصا ، فقد انكبت اللجنة على دراسة النص ، ولخصت نظريتها في تقرير رفعته الى الجناح العالي فحظى برضاه وموافقته ، ونظرية المخزن هذه ، تتلخص في ثلاث نقط :

أولا ، مساهمة الدولة المغربية في استغلال المعادن ان المعادن بالمغرب ، كثيرة متنوعة ، وهي تبعث على

النظر الى مستقبل المغرب الاقتصادي ، بتفاؤل كبير ،
ولذا ، فينبغى أخذ جميع الاحتياطات ، لكيلا تمتد
أيدي أصحاب رؤوس الاموال الاجانب الى هذه الخيرات
تستغلها ، ولا تتكرم الا بالنزر اليسير من أرباحها
على صندوق الدولة الشريفة .

لقد أحسنت الحماية صنعا ، عندما احتفظت
للمغرب بحق البحث عن الفوسفاط ، واستغلاله ،
ذلك المعدن الذي يدر على الصندوق المغربي العام ،
مبلغا لا يستهان به ، فعليها اذن أن تتابر في هذا
الاتجاه ، وتعمل كل ما في وسعها للاحتفاظ للدولة
المغربية بأغلبية ٥١ ٪ من أسهم شركات استغلال
المعادن بالمغرب ، وبالاخص منها الشركات المتجهة
نحو استغلال الرصاص ، سواء في شرق المغرب أو
جنوبه .

ثانيا ، مساهمة الدولة المغربية في الارباح .
نعم ، ليس بإمكان الدولة أن تجد من الاموال ما
يكفيها للمحافظة على المساهمة بالاغلبية في جميع
الشركات المعدنية ، ولكن بإمكانها أن تلزم كل شركة
شركة ، بتخصيص جزء من أرباحها لصندوق الدولة ،
زيادة على تلك الضرائب البسيطة ، التي ان ضوعفت
مرارا فلا يزيد منتوجها عن ستين أو سبعين مليونا
من الفرنكات ، وهذا مبلغ تافه بالنسبة للارباح التي
حققتها شركة شهيرة وأذيعت أرقامها على الجمهور
في الاحصائيات الرسمية .

ثالثا ، مشاركة المندوب فى منح الرخص للبحث
أو الاستغلال .

ان المخزن الشريف لايتدخل الا عند ما يراد منح امتياز ، يمتد مفعوله طويلا ، أما رخصة البحث ، ورخصة الاستغلال ، فهما من اختصاصات الادارة يعطيها ويوقع عليها رئيس مصلحة المعادن الفرنسى . والمخزن يود أن يسمح لمندوب الصدر بالمعادن ، أن يشارك رئيس هذه المصلحة فى منح الرخص والتوقيع عليها ، واذا أضفت الى هذا رغبة المخزن فى السعى لتحسين حالة العامل المغربى ، تكونت لديك فكرة عن وجهة النظرية المغربية فيما يرجع للسياسة المعدنية ، وهى نظرية مخالفة شيئا ما لنظرية الادارة التى ترى أولا ، ان استغلال معادن المغرب يتطلب رؤوس أموال باهضة ، يعجز الصندوق العام المغربى عن دفعها ، فنحن مضطرون الى جلب أموال من الخارج وهذه الاموال الاجنبية ، لاتقبل على المغرب الا اذا توفرت لها شروط ، وأخشى ما تخشاه رؤوس الاموال الاجنبية ، وجود مساهمة دولية رسمية ، كيفما كانت نسبتها ، ومن العسير بل من المستحيل ، أن تجد مساهما أجنبيا ، يلقي بأمواله فى هاوية شركة تختص فيها الدولة بأغلبية الاسهم ، اذن ، فاذا أردنا أن لانضطر الى قفل أبواب المناجم ، فلنقلع عن فكرة تخصيص الاغلبية المطلقة فى شركة من الشركات ، ولنكتف فى أحوال خاصة لاينبغى تعميمها بنسبة

٣٤ ٪ ، وهي نسبة كافية لتمكين الدولة من مراقبة حركة الشركات .

أما حفظ حظ من الأرباح للدولة ، فللادارة ملاحظة وهي أن هاته المسألة ذات صبغة متعلقة بالضرائب ، تجب دراستها على حدة اذ هي أجنبية عن موضوع نظام المعادن ، فعلينا أن نستشير الفنيين من ادارة المالية ، ولكن الادارة من الان ، تلفت نظر المخزن الى أن الضرائب المفروضة على الانتاج المعدني ، لا تقتصر على ما يدفعه طالب الرخصة ، أو طالب الامتياز ، بل هناك ضريبة ٥ ٪ المفروضة على كل الصادرات ، والصادرات المعدنية تدر على الصندوق العام مبالغ هامة ، فهناك في الواقع مساهمة في الأرباح ، وانما الخلاف في التسمية ، نعم ، ان بالامكان أن تزيد أو تنقص من نسبة ٥ ٪ المشار لها ، اذ يجب ألا ننسى أن المنتوجات المعدنية خاضعة للاثمان العالمية ، اذا ارتفعت هذه ، كما وقع ذلك بالنسبة للرصاص ، نتجت أرباح طائلة واذا هبطت الاسعار ، أو شكت الشركات على الافلاس لذا ينبغي الاحتفاظ بنظام مرن قابل للتعديل المناسب لكل ظرف .

أما مسألة توقيع المندوب على الرخص ، فهي مشكلة عويصة شائكة ، اذ تتناقض أولاً مع مبدأ وحدة الادارة ، ووحدة المسؤولية ، فهب أن المندوب قد امتنع من التوقيع على رخصة وقع عليها رئيس مصلحة المعادن ، فكيف الحل ؟ هل ستتوقف حركة البحث المعدني في المغرب ؟ ان الادارة لا تقبل ذلك بأي حال

من الاحوال ، ولتلافيه تلح وتصبر على أن يكون لرئيس
المصلحة وحده ، حق التوقيع على هذه الرخص دون
المندوب ، ولكن اذا كان صاحب الجلالة ، يأبى الا أن
يرى توقيعاً مغربياً على هذه الرخص ، فلننزل عند
ارادته ، ولكن بشرط أن يكون من حق مدير الانتاج
الصناعي والمعادن ، أن يستغنى عن المندوب متى
امتنع ، أو اذا تعذر له التوقيع على الرخصة ، ثم انه
من جهة أخرى ، يجب الانتباه الى أن هذه المسألة
جوهريّة ذات صبغة سياسية هامة .

فاذا ما أعطينا لمندوب المعادن حق التوقيع ، فإن
المندوبين الآخرين ولاشك سيطالبون بنفس هذا
الحق ، وهذا الحق لم يحرزه التونسيون أنفسهم الذين
سبقوا المغاربة في خوض ميدان الادارة والتعمرن على
تسيير دولها .

ثم بعد هذا ، هناك رؤوس الاموال الاجنبية ، وهي
سوف لا تنظر باطمئنان الى توقيع مغربي ربما يكون
مبدأ سياسة ترمي الى التأميم ، ان كل الظروف تحتم
أن يبقى لرئيس مصلحة المعادن حق التوقيع على
الرخص دون غيره .

سير الادارة في نظر المخزن والاقامة

وهكذا نرى تناقضا وتضاربا بين وجهة نظر المخزن
ووجهة نظر الادارة ، فالمخزن يريد مغربية الادارة ،
وتقديم المصالح المغربية على غيرها ، وفتح الابواب
أمام موظفيه ، وتسليحهم بحقوق تمكنهم من القيام
بمهمتهم ، ويريد السير الحثيث نحو ادارة المغاربة

لشؤونهم بأنفسهم ، بينما تعمل الادارة على حفظ الحقوق المكتسبة ، وعلى احترامها وعلى الاحتفاظ للموظف الفرنسي بما له من امتيازات ، وعلى السير بتؤدة ورزانة ، وعلى عدم المغامرة بتسليم مصالح هامة لا يد لازالت ليس لها من التجربة قليل ولا كثير . ان مهمة الاقامة ، هي في السهر على مصالح المغرب ضد كل أحد ، ولو ضد المغاربة أنفسهم ، اذ أن من الحقوق ما يكون ضرره أكبر من نفعه .

ظهير النقابات

أليس من الخطر بمكان ، كما يقول رجال الحماية ، ان ينصت المخزن ويعطف على تلك الحركة الرامية الى خلق حياة نقابية في المغرب ، ألا يدرك المغاربة أن النقابة هي باب الشيوعية ؟ أضعف ايمان المغاربة الى درجة أنهم أصبحوا يطالبون بتنظيم الشيوعية بين ظهرا نبيهم ؟ وذلك بمحاولة الاذن للعملة في التجمع في نقابة يقولون انها للدفاع عن مصالحهم المهنية ، ولكنها في الواقع لتهدى ثورة اجتماعية يكون الدين الاسلامي وتكون نظم الحكم التقليدية من أول ضحاياها ؟ لقد كان الجيل المغربي السابق ، أكثر تعقلا ورزانة حينما صفق لذلك الظهير الصادر في سنة ١٩٣٨ ، والمانع المغاربة من الانخراط في سلك النقابات .

ولكن حيث أن المخزن يتأثر بنزق الشباب ، فلقد اضطرت الادارة أولا الى التغاضي عن المخالفات العديدة لهذا الظهير ، ثم بعد ذلك الى تقديم مشروع ظهير

لتنظيم النقابات ، ووجهة نظر المخزن فى هذا الموضوع كما هى فى جل المواضيع ، مخالفة للإدارة ، فالمغاربة اليوم يرون أن ظهور ١٩٣٨ غلط فادح ، يجب إصلاحه فى الحين ، ويرون أن النقابة شىء والشيوعية شىء آخر ، فللعلمة المغاربة حق التجمع فى نقابات مغربية ، يسيرونها بأنفسهم للدفاع عن مصالحهم المهنية ، ويؤملون أن يقدم مشروع واف بهذه الأهداف .

ولكن المشروع المقترح ، ان كان يعترف بالحق النقابى ، فهو يجعل له حدودا وقيودا ، اذ الإدارة كما تقول ، لا تريد أن تتحمل مسؤولية إيقاد نار فتنة عنصرية دينية ، بالسماح للمغاربة بالتجمع فى نقابات لا ينخرط فيها الا المغاربة ، بجانب نقابات لا ينخرط فيها الا الاجانب .

ان التجربة التونسية كافية فى هذا الميدان ، فاذا أراد العامل المغربى أن تكون له نقابة ، فيجب عليه أن يقبل فى المجلس الإدارى للنقابة عددا من الأعضاء الفرنسيين مساويا لعدد الأعضاء المغاربة ، ولكن أعضاء النقابة لهم حرية التصويت فى اختيار المجلس الإدارى ، فكيف يراد إلزامهم بقبول أعضاء لا يرتضونهم نوابا عنهم ؟ ان مصلحة المغرب العليا ، كما تقول الإدارة ، تقتضى ذلك ، ولكن المخزن يرى أن مصلحة المغرب العليا لا تقتضى ذلك ، وهكذا بقى مشروع ظهور النقابات موقوفا بين الإدارة والمخزن ، وبقى العملة المغاربة محرومين قانونيا من حقهم النقابى ، بينما تنابع النقابات الأجنبية اللادينية منها والمسيحية ،

حركاتها في الدفاع عن مصالح العملة بهذا البلد
السعيد .

اتصال المديرين بالملك

وتعددت الخلافات ، وتضاربت النظريات ، وضاعت
الادارة ذرعا بهذه المعارضة الجديدة التي تتجراً على
النقد ، وعلى الحكم بعدم صلاحية مشاريع جلييلة ،
درسها وقدمها فنيون لها فيهم الثقة المطلقة ، ينبغي
وضع حد لهذه العرقلة ، ولكن ياترى ما هو موقف
السلطان من هذا كله ؟ وما هو نظره في هذا التعصب
البادى من المخزن أمام مشاريع ، لا يقصد منها الا
خدمة مصلحة مملكته ؟ تحب الادارة معرفة ذلك قبل
الرجوع الى أية وسيلة عنيفة ، ولهذا الغرض على كل
مدير أن يتصل مباشرة بالسلطان ، ليبين له وجهة
نظر الادارة ، ويستفهمه عن نظره ، وفعلاً ، كانت
هناك مقابلات بين السلطان وبين المديرين ، خرجوا
من بعدها مشدوهين من سعة اطلاع السلطان على
القضايا الادارية ، وعلى طرق الدفاع عن مصالح
رعاياه ، وعلى قوة عارضته ، وعلى تفانيه في خدمة
وطنه .

ولقد قدر لكاتب هذه السطور ، أن يحضر بصفته
مندوب الانتاج الصناعي والمعادن ، احدى هذه
الجلسات ، اقتبل فيها الكولونيل بومرى ، مدير
الانتاج الصناعي والمعادن ، من طرف السلطان .
وكانت دهشة المدير ليس لها حد ، حينما أنصت الى
السلطان يحدثه عن مختلف وسائل استغلال المعادن

فى العالم ، وعن الانفاقات المبرمة بين الملك ابن
السعود والامريكان . والحكومة العراقية أو الفارسية
والانجليز ، وعن نسبة مساهمة الدولة المغربية فى
الشركة الشريفة للبترول ، وفى شركة الرصاص ،
وعن أهمية المانغيز ، واحتياج الامريكان اليه ، وعن
مختلف المعامل التى شيدت أخيرا بين الرباط والدار
البيضاء ، مما لا يستحضره الا الرجال المتتبعون لحركة
المعادن ، المتفرغون لها ، وعند ما انقض الجمع ،
وخرجت لوداع المدير لم يملك نفسه من أن يبثنى
التأثير الذى أحدثته فى نفسه هذه المقابلة ، ان لكم
ملكا عظيما ورئيسا خبيرا ، فعليكم أن تكونوا
جديرين به .

والكولونيل بومرى ، أحد أولئك الرجال ، الذين
يقولون ما يعتقدون ، فهو لا يخفى شيئا فى نفسه ،
سواء كان ذلك يسر أو لا يسر ، وقد كان كاتب
هذه السطور ، يقضى الساعات الطوال ، فى مجادلات
عنيفة معه ، لا فى موضوع السياسة المعدنية فحسب
بل فى السياسة العامة كذلك ، واذا كنا فى أكثر
الاحوال ، تتضارب نظرياتنا ، فان كل واحد كان
يقدر صراحة الآخر ووفاءه لمبادئه .

واقتنعت الادارة بعد التجربة ، أن روح الحركة ،
ومسير دولب المخزن هو السلطان نفسه ، فكل
الملاحظات المقدمة هى اما صادرة عنه ، واما اطلع
ووافق عليها .

اذن الامر أشد مما كان ينتظر ، فكيف الخروج من
المأزق وكيف التوصل الى التغلب على هذا الحاجز .

مجلس شورى الحكومة

ان هناك مجلسا استشاريا يسمى مجلس شورى
الحكومة ، بقسميه المغربى والفرنسى ، يضم قسمه
المغربى ممثلين عن أرباب التجارة والفلاحة ، وعن
المصالح المختلفة ، فحيث أن ظهير (١٣) أكتوبر
(١٩٤٧) قد نظم الغرف الاستشارية المغربية ،
التجارية والفلاحية ، وسمح بشبه انتخاب لاختيار
أعضائها ، فلم لا يكون هذا المجلس أداة فعالة للقضاء
على هاته المعارضة المتتابعة من لدن السلطان ومخزونه .

موقف الاحزاب الوطنية من مجلس شورى الحكومة

ولكن ما ذا كان موقف التجار وموقف الفلاحين
من هذا الانتخاب وبالاخرى ما ذا كان موقف الاحزاب
المغربية التى تقوم بدعاياتها فى هذه الاوساط؟ لم يكن
موقف الاحزاب الوطنية واحدا امام ظهير ١٩٤٧ فاذا
كان الشوريون وزعيمهم الاستاذ ابن الحسن
الوزانى يرون أن هذا الانتخاب المشوه ، لا ينبغى أن
يؤبه له ، بل يجب اهماله ومقاطعته ، فان
الاستقلاليين مع اعترافهم بضآلة هذه المحاولة
الانتخابية ، يفضلون المشاركة فى هاته الانتخابات
وذلك :

اولا - ليبرهنوا على استعدادهم .
وثانيا - ليقتلعوا من هذا المجلس اولئك الافراد ،
الذين تختارهم الادارة وتلقنهم اقوالهم وحركاتهم ،
فيصرون باشياء لايرضاها المغاربة . على ان حزب
الاستقلال لا يقدم الى هاته الانتخابات احدا من
شخصياته البارزة . وفعلا كانت الانتخابات ،
وبالرغم عن مختلف التاثيرات الادارية ، كان النجاح
حليف مرشحي حزب الاستقلال في اغلب الجهات ،
وبالاخص في الرباط ، والدار البيضاء ، وفاس . حيث
نرى على رأس لائحة الناجحين السيد محمد الزغاري
والسيد احمد اليزيدي اخ الاستاذ محمد اليزيدي ،
والسيد محمد العراقي ، والسيد محمد الغزاوي .
وبمجرد دخول الاعضاء الجدد الى قاعة فيلا لوريش ،
ومساركتهم في النقاش متكلمين باسم الغرف
التجارية المنتخبة ، شعرت الادارة بأن عهدا جديدا
قد ابتداء في حياة مجلس شوري الحكومة فاذا كانت
الادارة فيما مضى الفت أن تهىء الاجتماع ، وتحرر
كل ما سيقال او يلقي فيه ، فانها قد لاحظت الان أن
بعض الاعضاء يريدون أن يهيئوا قراراتهم بانفسهم
مبدين نظريات قد تخالف نظريات الادارة .

ولكن ذلك لم يهل الادارة كثيرا ، اذ هي تعتقد
أن مرتبات ، ولو بسيطة ، مخصصة لاعضاء المجلس
وتسهيلات تجارية ، موزعة يمينا وشمالا ، وكلمات
طيبة ينطق بها رئيس المجلس كافية لاعادة المياه الى
مجاريها ولتلافي كل اصطدام تحت سقف القاعة
الجميلة ،

غير أن الادارة كانت مخطئة فاذا كان بعض
الاعضاء قد استفادوا مما افاءت عليهم من خيرات

فان الرجال المخلصين لم يعقهم عائق عن القيام بما يعتبرونه واجبهـم الوطنى . وهكـذا قدمت جامعة الغرف التجارية ، لائحة اقتراحات ترمى الى تغيير اتجاه السياسة الاقتصادية فى المغرب ، والى اقناع المسؤولين من رجال الحماية ، بضرورة السهر على مصالح المغاربة دون غيرها كما قام اعضاء بتحرير نقد عام للميزانية فى تقارير ذات مستوى رفيع ومع انه لم يسبق لهؤلاء النواب ان شاركوا فى اجتماعات عامة ، ولم يتمرنوا على حياة المجالس النيابية فقد برهنوا على استعداد كبير لخوض معمة الجدل بالكتابة والقول . ولم تكن حجج الادارة تقنعهم دائما . واطهر احدهم وهو الاستاذ محمد الزغارى تفوقا ملموسا حينما حرر تقريراً عاماً فى سنة ١٩٤٩ كتبه فى اسلوب عال ، وطرق المواضيع الشائكة بقوة ولباقة فى آن واحد ، مما جعل رجال الادارة انفسهم يشهدون بخصال نائب فاس ، الذى كان ولاشك افضل مقرر انصت اليه لحد الان اعضاء مجلس شورى الحكومة

وإذا كانت الامال فى اول الامر كبيرة فى أن ياتى هذا النوع من الاتصال بين المغاربة والادارة الفرنسية بنتائج محمودة ، فقد بدأ اليأس يتسرب الى النفوس حينما شاهد المغاربة الشهور والدورات تتوالى من دون أن يظهر اثر لتحقيق المطالب التى قدمتها جامعة الغرف الاستشارية . فهل تحسب الادارة أن فى امكانها ان تضحك على ذقون هؤلاء النواب فتجمعهم منصتة الى ثرثرتهم ، ثم تلقى عرض الحائط بكل ما يقولون ، انها فى ذلك مخطئة . فاما أن تحل اقتراحاتهم محل اعتبار ، واما أن ينسحبوا من هذا

المسرح الذى يمثلون فيه أدوارا جوفاء عقيمة النتيجة
واشتد الجدل وارتفعت الاصوات ، وانتهى الامر
بانسحاب نواب الغرف التجارية المغربية فى دورة
يوليوز سنة ١٩٥٠

مذكرة حزب الشورى والاستقلال

وبينما كان حزب الاستقلال بواسطة الغرف
التجارية بين جزر ومد ، مع الاقامة العامة . كان حزب
الشورى والاستقلال ، يهىء مذكرة سياسية يقدمها
لجميع المسؤولين محاولا ايجاد حل للمشكل المغربى .
والشوريون يعتقدون أن حل ازمة العلاقات المغربية
الفرنسية ، لا يمكن أن يبدأ من اسفل . فما بمثل
انتخابات مجلس شورى الحكومة ولا بمثل مجادلاته
يمكن أن تتبدل الاحوال السياسية فى المغرب بل ان
ذلك لا يمكن الا بادخال تعديل جوهرى على عقد
الحماية نفسه ، وبتسليم مقاليد الامور حقا
الى المثقفين الكفاء من المغاربة والسير بجد نحو الغاية
المنشودة ، استقلال المغرب

نعم ، ان للفرنسيين مصالح مشروعة فى هذه
البلاد ، تجب مراعاتها ، وتلافى كل اضطراب يلحقها
ولاعطائهم تطمينات كافية تعلن المذكرة انها لا ترى
مانعا من المرور بمراحل قبل الاستقلال التام ، مراحل
يتسلم فيها المغاربة زمام الامور طبقا ل ضمانات
دستور مغربى ديمقراطى .

وقدمت المذكرة الى صاحب الجلالة ، والى المقيم
العام ، ووقعت اتصالات تبودلت فيها الاراء وتقابلت
النظريات . ولكن المحاولات باءت بالفشل ، بسبب
معارضة لقيتها فى اوساط مختلفة خشيت أن لا يكون
الاستعداد الذى اظهرته الاقامة العامة لقبول المذكرة

والتفاهم على اساسها الا لعبة سياسية ، ترمى الى تشتيت الافكار ، وتخدير الاعصاب ، اذ كيف يمكن الجمع بين سياسة الشدة التي تسلكها الاقامة مع القصر السلطاني ، وسياسة الاهمال التي تتبعها مع اعضاء مجلس شورى الحكومة ، وبين التفاوض على اساس مذكرة حزب الشورى والاستقلال وطويت المذكرة ، وقد ترك فشلها حزازة في قلوب الشوريين

حق تعيين الموظفين وعزلهم

ومع انه كان من المنتظر ومن المعقول أن يحدو فشل التجربة في مجلس شورى الحكومة وفشل المفاوضات مع حزب الشورى والاستقلال ، برجال الاقامة العامة الى السعى للتفاهم مع سلطان المغرب ، لم يشاهد من طرفها اى تغيير فى خطتها مع سيدنا ايدى الله ومع مخزنى الشريف لم يزد لها هذا الفشل الا اقتناعا بضرورة متابعة سياسة التضييق بالسلطان وبالتقليل من نفوذه ، وبالاخص فيما يتعلق بتعيين الموظفين الكبار ، اذ لم يبق امل للادارة أن تجد عضدا لسياستها الا لدى الباشوات والقواد .

فلقد قلب لها ظهر المجن مندوبو الصدر الاعظم الدين رشحتهم وشجعتهم ، كما لم يف لها اعضاء مجلس شورى الحكومة الذين افاضت عليهم مما افاء صندوق المغرب عليها . فهل ستخسر كذلك معركة الباشوات ؟

ينبغى تلافى ذلك بكل ثمن ، واول احتياط يجب اتخاذه ، هو التعرض لتعيين كل موظف يقترحه صاحب الجلالة ، واقناع القواد والباشوات باعمال ملموسة بأن حق اقتراح الموظفين الكبار وتعيينهم هو اليوم

كما كان بالامس بيد الاقامة العامة ، وبالاخص بيد مدير الداخلية

وسنحت الفرصة لتدشين هذه الخطة عندما توفي سعادة مندوب طنجة السيد محمد التازي وذهبت وفود من القصر السلطاني ومن الاقامة العامة للحضور في جنازته . فلقد اشيع في ذلك الحين أن موظفا من الاقامة العامة ، بعد تقديم تعزيتته الى ابن المندوب وخليفته ، اخبره بتعيينه في منصب ابيه بمندوبية طنجة

ولكن التعيين هو من اختصاصات السلطان . فهلا تحترم الادارة حتى هذا الجزء من نفوذ صاحب الجلالة ذلك النفوذ الذي تعهدت بحمايته وتنميته والسهر على كل مظاهره

ربما تكون هذه مجرد اشاعة ، لكن حينما ورد المقيم على السلطان طالبا طبع ظهير بتسمية السيد احمد التازي في منصب ابيه ، من دون أن يقدم لائحة بأسماء ثلاث شخصيات يختار السلطان من بينها من يرضيه ، اقتنع السلطان بأنها لم تكن مجرد اشاعة ، وتمسك بحقه في الاختيار ، وحيث أن الاقامة العامة لم تقم بدورها ، فهو يقترح لمنصب طنجة احد اثنين ، اما مولاي العربي العلوي مندوب المعارف سابقا وباشا سطات في ذلك الحين ، واما السيد احمد بر كاش مندوب المعارف سابقا الذي أبعد عن وظيفه على اثر حوادث سنة ١٩٤٤ .

وأبت الاقامة الا أن يعين السيد احمد التازي في منصب ابيه ، وطالت المناقشات بين الطرفين ، ولم يتوصل الى حل الا في آخر شهر يبرابر من السنة الماضية (١٩٥٠) ، وذلك باقرار السيد احمد التازي

في منصب أبيه بطنجة وتعيين السيد احمد بر كاش
وزيرا للاوقاف في المنصب الذي كان يشغله منذ
ثلاث وعشرين سنة السيد محمد ملين ، وتعيين ولده
كاتب هذه السطور مندوبا للانتاج الصناعي والمعادن
ولكن اذا أمكن الوصول الى حل لمندوبية طنجة ،
فان وظائف أخرى بقيت شاغرة كباشوية الرباط ،
وذلك بسبب تشبث السلطان بحقه في تعيين موظفيه
واصرار الإقامة على تعيين مرشحها .

وكانت الحجة التي تعمد اليها الإقامة العامة لابعاد
من يرشحهم السلطان ، أن تتهمهم بالانتساب الى
حزب الاستقلال ، ذلك الحزب الذي يناوىء أعضاؤه
الادارة في مجلس شورى الحكومة ، ولو اكتفت الإقامة
بالتعرض لدخول أعضاء وطنيين جدد ، في سلك
الموظفين ، لقلنا انها رجعت الى تلك السياسة البالية ،
سياسة ما قبل الحرب ، التي كانت تعتبر كل وطني
مغربي عدوا لفرنسا ، ولكنها تجاوزت ما عرفناه من
قبل ، فقد اقدمت على ايقاف باشوات ، وخلفاء
باشوات ، واصدار أمر الى قواد بمزاولة أعمالهم من
دون انتظار وصول ظهير السلطان بطابعه الشريف .
وهكذا أوقفت باشا أكادير السيد الحيحي ، بتهمة
نهب سكان مدينة أكادير ، واستبداده بهم ، ولكن
الرأى العام المغربي ، اعتقد أن للصدقة التي تربطه
مع بعض الاميركان ، وبالاخص الجنرال كلارك ،
ولموقفه يوم كان باشا وجدة يربط الصلة بين السلطان
وعدد من الضباط الاميركان ، ان لهذا كله دخلا في
ابعاده عن وظيفه ، وأوقف كذلك السيد عبد الحفيظ
ملين خليفة باشا الرباط ، بتهمة أن رئيس الناحية
قد استدعاه لحضور حفلة فلم يجب الدعوة ، وحقيقة

جريمته ، هو أنه برأ شابا رباطيا وقف فى المسجد خطيبا يوم اعلان استقلال أندونيسيا .

ان نفوذ السلطان قد سرى حقا فى دماء جميع المغاربة ، فما حاولت سلطة الحماية محاولة الا واصطدمت بتشبيث المغاربة بعاهلهم العظيم ، وثباتهم على مبدئهم واستعدادهم للتضحية فى سبيله بوظائفهم بل وبأموالهم وبأنفسهم ، ولكن هل سيقنع هذا الوفاء الادارة بالاقلاع عن سياستها ، وبالرجوع الى الحطة الرشيدة الوحيدة ، حطة التفاهم مع السلطان ، ومد اليد للسير بالمغرب الى هدفه الطبيعى ، استقلاله الداخلى ، ثم استقلاله التام ،

أبت حكومة الحماية الا أن تتمادى فى الحطة التى رسمتها لنفسها ، فاقترحت ادخال تعديل على نظام باشوات المدن ، وذلك بالاضافة الى خلفاء الباشا خلفاء جددا يكونون تحت مراقبة رئيس البلدية خاضعين لاوامره ،

وطبعا رفض السلطان هذا التنقيص من نفوذ ممثليه فى المدن ، فلم يأذن باصدار القرارات الوزيرية التى طلبتها الاقامة العامة ، بتعيين مرشحيها فى هذه الوظائف الجديدة ، ولكن الاقامة جعلت القصر أمام الامر الواقع ، بتنصيب هؤلاء الموظفين بدون قرار وزيرى ، وبعد أشهر طويلة ، واثر مجادلات عنيفة ، صدرت القرارات بعد تغيير فى لائحة المرشحين ،

القواد والباشوات

وكان لمقاومة السلطان ودفاعه عن نفوذه وسيادته أثر فى نفوس الموظفين ، وبالاخص فى نفوس القواد والباشوات ، فاذا كانت الاقامة تعدهم وتمنيهم فان القصر ثابت على خطته ، وهو لامحالة ناجح فى الاخير ،

اد السلطان هو العاهل الشرعى لهذه البلاد ، وسياتي
مقيمون ، ويذهب آخرون ، ولكن العاقبة لارباب
البلاد وملكهم المخلص ، والمدافع عن مصالحهم ،
فالمصلحة والحق في آن واحد ، يحضان على التشبث
بالاعتاب الشريف ،

وهكذا بقي الباشوات والقواد يتواردون على جلالة
الملك يلتمسون رضاه ، ويتفانون في التقرب اليه ،
وآخر حادث من هذا ، هو ما شوهده في تلك الزيارة
التي قام بها سيدى محمد نصره الله لمدينة مراکش
في أبريل من سنة ١٩٥٠ ، بطلب ملح من
باشاها ، الحاج التهامى الجلاوى ، فطيلة شهر كامل ،
أقام صاحب الجلالة ومعه كل حاشيته بعاصمة الجنوب ،
وكانوا موضع ترحاب واکرام ، لا من المراكشيين
فحسب ، بل من طرف رجال القبائل الجنوبية ، وان
أنس لا أنسى تلك المظاهرة التي أقامتها هاته القبائل
على طول عشرات الكيلومترات ، يوم خروج السلطان
وحاشيته لزيارة أغبلوا ، مسقط رأس باشا مراکش ،
فكانوا صفوفاً متراسين ، يحيون بخشوع وخضوع ،
ملكهم العربى القرشى ، وامامهم الشرعى ، ومتبوعهم
الوحيد ، ولو كان لدعاة تقسيم المغرب الى شطرين ،
بربرى ، وعربى ، أعين يبصرون بها ، لادرکوا عقم
محاولتهم ، ولعلموا أن المغاربة جميعهم ، فى الشمال
وفى الجنوب ، فى الشرق وفى الغرب ، لا يدينون الا
بدين واحد ، هو الاسلام ، ولا يخلصون الا لعاهل واحد
هو سيدى محمد بن يوسف أيده الله ، ولكنها لاتعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور ،
ومن الملاحظ أيضا فى هذه الزيارة ، أن باشا المدينة
الحاج التهامى الجلاوى ، قد تفنن فى أنواع التقرب

والترحاب ، لا للملك وعائلته فحسب ، بل كذلك
لافراد حاشيته ، مرسلا لهم هدايا ثمينة ،

المكتب الملكي ، الديوان

اذن ، ما من حركة حركة ، الا وكانت نتيجتها زيادة
نفوذ السلطان ، ونمو تأثيره على جماهير الشعب
المغربي ، المخلص الوفي للملكه ، وما كان ذلك ليسر
خصوم المغرب من المعمرين الرجعيين ، الذين أصبحوا
ينظرون الى هذا النفوذ الناشئ ، نظرة تخوف وحقد ،
اد هو خطر على مصالحهم ، وعلى امتيازاتهم ، لاسيما
وقد أصبحت كما يقولون احتجاجات السلطان متوالية
ومطالبه متتابعة ، فهو يريد انشاء حكومة منفصلة
تماما عن الاقامة ، ومستكملة لجميع الشروط ، ألم
يطالب بتطبيق ذلك المشروع الموضوع في عهد المسيو
لابون ؟ والرامي الى انشاء مكتب للسلطان ، يضم
منقفيين من الشباب ، يسهرون على تحرير مراسلات
السلطان ، والادهي من هذا ، هو أنه يريد أن يختار
أعضاء هذا المكتب بحرية مطلقة ، من دون أن يكون
للاقامة رأى في هذا التعيين ، ان على الادارة أن تقوم
بواجبها في تلافى هذا الخطر ، والا فلنقرأ السلام على
النفوذ الفرنسي في المغرب .

وفعلا ، قامت الادارة بواجبها ، اذ بالرغم عن
تسجيل الاعتمادات اللازمة لهذا المكتب في ميزانيتين
لم يتمكن السلطان من فتح مكتبه الا في شهر شتنبر
سنة ١٩٥٠ ، أي قبيل سفره الى فرنسا ،

وحجة الاقامة في التعرض لارادة السلطان ، هو
ان العادة المغربية ، التي جرى بها العمل منذ قرون ،
لم تعرف هذا النوع من الوظائف ، وموظفو المخزن

الكبار ، سوف لا يرتاحون الى هذا التعديل الذى يقلب ما ألفوه رأساً على عقب ، نعم ، ان مهمة الاقامة هى ادخال روح عصرية ، ونظم عصرية على المخزن ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك بتدرج ، ومن دون صدم أى أحد وقبل هذا وفوق ذاك ، يجب أن يكون هؤلاء الموظفون الجدد ، محرزين على رضا الجميع وثقته ، والسلطان يقترح أفراداً لا يتمتعون بثقة أحد ،

ألم يجد من بين الشباب المثقف الا السيد محمد الزغارى ، ذلك الرجل الذى ساهم بحظ فى انشاء حزب الاستقلال ، والذى ناوأ الادارة فى مجلس شورى الحكومة ، ان لدى الادارة مرشحين أكفاء ، هى مستعدة لتقديمتهم لصاحب الجلالة ،

ولكن صاحب الجلالة كان يرى أن فى موقف الاقامة هذا ، تجراً على مركز السلطان ، وتعدياً على حقوقه ، اذ كيف يعقل أن يرغم الملك على قبول موظفين لا يرتضيهم بمكتبه ، بينما أصغر رئيس فرنسى للناحية وللبلدية ، يختار بحرية مطلقة موظفى مكتبه ، ان للاقامة فى تفهم روح الحماية وفى تطبيق نصوصها وجهة نظر يضيق بها المغاربة ذرعاً ،

اننا نتساءل هل يراجع موظفو الاقامة الفينة بعد الفينة قراءة فصول معاهدة ١٩١٢ ، وزيادة على هذا فماذا ينقمون على السيد محمد الزغارى ، انهم بالامس القريب ، كانوا كلهم السنة مدح للباقة الزغارى وكفاءته ، فكيف أصبح بين عشية وضحاها لا يليق لاحتلال وظيف بسيط ، بالرغم عن هذه الضجة المثارة حوله ، ان المسألة تتعلق بتنقيص نفوذ السلطان ، ومقاومة تأثيره على شعبه لا مسألة وظيف وأشخاص فليقبر اذن هذا الجزء من تركة عهد الم لا بون

ولكن الظروف وبالاخص ورود رسالة رئيس الجمهورية باستدعاء صاحب الجلالة لزيارة فرنسا أرغمت على ارجاع هذا المشروع الى الحياة ، فقد اضطرت الاقامة الى الاعتراف بأن تهييء برنامج السفر واحتياج السلطان فيه الى معاونين مختصين به يتطلب السماح بالوجود لمكتب السلطان ، ولكنها ان قبلت التخلي عن حقها في ترشيح الموظفين ، فلقد أصرت على أن يتخلى السلطان عن مرشحيه الاولين ، ويقدم لائحة مرشحين جدد ، وبعد أخذ ورد ، توصل الى حل وسط ، ونشرت أسماء أعضاء مكتب السلطان فاذا هم الاستاذ محمد ابا حنيني ، عضو بالمحكمة العليا والاستاذ مسعود الشيكو ، الكاتب الخاص لدولة الصدر الاعظم ، والاثنان عضوان في اللجنة المكلفة بدراسة مشاريع الظهائر ، والاستاذ محمد بلعباس القباچ ، عضو بالمحكمة العليا ، والاستاذ بناصر بنعمر ، ترجمان ، وفي الوقت نفسه ، أعلن أن الفقيه السيد محمد المعمرى مدير الديوان الملكي ، قد رقى الى رتبة وزير ، وعين وزيرا للقصور السلطانية .

الرحلة الى فرنسا

وبينما كان السلطان ومخزنه يدرسون في اجتماعات متوالية ماذا ينبغي انتظاره من رحلة صاحب الجلالة الى فرنسا كان المكتب منهما في تهييء السفر

غير أن هذا السفر قد اثار مسائل اخرى لها اهميتها ان صاحب الجلالة بعد أن درس مع مخزنه موقف المغرب من الوحدة الفرنسية ومن تصريحات الوزراء الفرنسيين بالمجلس الوطنى لم يقدم على

السفر الا بعد أن تم الاتفاق مع المستشار على الحلة
التي ستكتسيها هذه الرحلة
ان سلطان المغرب سيسافر الى فرنسا بقصد
عرض القضية المغربية على انظار الحكومة الفرنسية
فيجب اذن ان يخصص في برنامج السفر يومان أو
ثلاثة يلتقى فيها الوزراء الفرنسيون المختصون
بصاحب الجلالة للتعاهم معه على ما يؤمله من تعديل
وتحسين للعلاقات الفرنسية المغربية ولقد اخبر
المستشار صاحب الجلالة أن رئيس الجمهورية ورئيس
الوزراء ووزير الخارجية مستعدون للمذاكرة مع
العاهل المغربي في موضوع المسألة المغربية فهل
سيكون هذا الاتصال المباشر والمذاكرة الصريحة سببا
في انقاذ حياة العلاقات الودية ما بين فرنسا والمغرب؟
ذلك ما كان يؤمله سلطان المغرب وحاشيته وجميع
الذين كانوا يؤملون خيرا في سياسة التعاون من
الجانبين ولكن من سيكون له حظ مصاحبة السلطان
في سفره الى باريس وشرف المساهمة في المذاكرة
التي ستجرى والتي ينتظر منها كثيرون نتائج حسنة
راجت اشاعات مختلفة منها ما يزعم ان جميع
الهيئة الوزارية سترافق السلطان ومنها ما يقول
ان السلطان سيقصر على وزيرين هما الصدر الاعظم
ووزير الاحباس ومندوبين هما مندوب المالية
ومندوب المعادن ولم تخدم هاته الاشاعات الا عندما
نشرت رسميا لائحة الحاشية فاذا اعضاؤها الصدر
الاعظم ووزير الاحباس والمستشار القانوني وباشا
مراكش الذي سيلتحق بالوفد عند رجوعه من الحجاز
وقائد الرحامنة وطبعا سيكون بجانب السلطان
وزير قصوره الفقيه السيد محمد المعمرى ، واعضاء

المكتب الجديد ، وحيث أن جورج ليك لا تتسع لنقل جميع الحاشية ، فان الوفد سينقسم الى قسمين ، الصدر الاعظم ، ووزير الاحباس ، والمستشار القانوني ، والقائد العيادي ، سيمتطون متن السفينة مراکش ، التي تربط ما بين البيضاء وبوردو ، والقسم الاخر يرافق صاحب الجلالة على ظهر جورج ليك وذهب السلطان الى قصره بالبيضاء ، ومنه خرج متوجها الى الميناء ، وصعد الى الجواله بعد وداع الشخصيات المغربية والفرنسية ، كما راينا ذلك صدر هذا الكلام .

وها هي الان جورج ليك تمخر عباب المحيط الاطلسي ، حاملة ملك المغرب الذاهب الى فرنسا ، وقلبه ممتلىء عزما وتفاؤلا ، مرت المرحلة الاولى من السفر في هدوء شامل ، ولكن عندما اقتربت جورج ليك من الشواطىء البرتغالية ، هاج البحر هيجانا عظيما ، فكانت الجواله تلتطم بالامواج ، وترقص يمينا وشمالا ، والتجأ كل مسافر الى غرفته طالباً للراحة الا صاحب الجلالة ، سلطان المغرب ، فقد انسته الزوبعة الفكرية التي كان ذهنه ميدانا لها ، روبعة البحر ، فاذا كان جسمه على ظهر جورج ليك فان روحه كانت تروح وتغدو بين الحوادث التي تعاقبت على المغرب في السنين الاخيرة ، وبينما ينتظر أن يجده لدى حكومة باريس ، وكانت كلمات معاهدة فاس ، الوحدة الفرنسية ، ولاية عهد المملكة المغربية ، حقوق المغاربة السياسية ، ترن في اذنيه صباح مساء .

معاهدة فاس الوحدة الفرنسية ولاية العهد حقوق المغاربة

ماذا سيكون مصير معاهدة فاس ، لقد اراد لها
واضعوها ان تمتد جياتها اطول ما يمكن ، فلم
يجعلوا لمفعولها مراحل ولا حدودا ، وكانهم يريدون
لها الدوام ، ولكن هل على الارض شىء يدوم !؟

ستخضع هاته المعاهدة لقانون الطبيعة ، فتفسخ
وتمحى كما محيت قبلها معاهدات واوقفة ، ولكن
متى ؟ نعم ، لو ترك للمستفيدين من نظام الحماية
امر تحديد اجلها ، لجعلوا لها عمر نوح ، وما كفاهم ،
ولكن ما رأى المسؤولين من رجال فرنسا ؟ ان ممثل
الدولة الصديقة ، يعترف بان للمغرب الحق فى
الطموح الى تحقيق استقلاله ، والقضاء على معاهدة
الحماية .

صرح بذلك الجنرال جوان مرارا وتكرارا ، وفى
مناسبات مختلفة ، واجتماعات عدة ، غير انه يزيد
قائلا : ولايمنع الوطنى المغربى من تحقيق مطمحه
الاعدم نضوجه وتوفر الرجال الاكفاء لديه ، فمتى
ياترى سيكون هذا النضوج ؟ أبعد ربع قرن ؟ ام
بعد قرن كامل ؟

لقد سبقتنا الى الحماية الشقيقة تونس ، ولازالت
لحد الان فى نظر طائفة من المعمرين غير جديرة
بالاستقلال الذاتى .

وعرفت الشقيقة الجزائر الاستعمار قبل اختيها
ولم تنفك لحد الان عاجزة كما تقول الجالية الفرنسية
المستوطنة بها ، عن الاشراف على تسيير شؤونها
الادارية .

واستلمت الهند الصينية منذ عهد بعيد ، لكل من
الاستعمار والحماية ، وهما هي الان في نضال مسلح
لتحقيق مطامحها
فهل المغرب لا قدر الله سائر الى نهاية شبيهة
بهاته النهاية المحزنة ؟

ذلك ما يخشى اذا ما اصر الرجعيون على تشبثهم
بمعاهدة ١٩١٢ ، واعتبارها وحيا منزلا لا يقبل
التعديل والتغيير ، انهم يطالبون بترك الامد الكافي
لها لكي تعطى كل ثمارها ، ولكن ما هي الثمار التي
أعطتها بعد منذ التوقيع عليها؟ أى منذ ٤٠ سنة تقريبا
نعم ، ان بفضلها تمكن الفنيون الافرنسيون من
بناء طرق تربط ما بين وجدة ورودانة ، ومد سكة
حديدية تصل الشرق بالغرب ، والشمال بالجنوب ،
وتشييد مرسى البيضاء ، ذلك الميناء العظيم ، الذي
يفخر به المغرب ، واقامة سدود ، تحفظ المياه الضرورية
لسقى الاراضى وتلافى المجاعات .
ان هذا كله جميل يستحق التنويه والاعجاب ،
ولاسيما اذا تذكرنا الامد القصير نسبيا الذى كفى
لانجازه .

ولكن ، بعقد الحماية نقط أخرى من اهمها ، ويمكن
أن نقول اهمها : اصلاح المخزن الشريف ، واعداده
لحياة سياسية وادارية عصرية ، فما هي الجهود
التي انفقتها الحماية فى سبيل هذا المخزن ؟ لقد وجد
الفرنسيون يوم اتوا ادارة مركزية مغربية لا ندعى
انها كانت جديرة بالقرن العشرين ، ولكنها مهما يكن
من امر ، اكثر حيوية واكثر مسؤولية ، واجدر
بالاحترام من هذا الهيكل المشوه ، الذى يسمونه
بالمجلس الوزارى ، فاذا كان للمخزن فيما قبل

الحماية ، بعد الصدر ، وزراء للعدلية وللأملاك ،
وللبحر ، وللشكايات ، فان عددهم اليوم لا يتجاوز
الثلاثة ، ولا تسأل عن حقيقة ما يتمتعون به من نفوذ
فلقد ابتلع المراقب الفرنسي ، روح الوزير المغربي
وتركه جسما بلا روح ، نعم ، قد ادخل اخيرا تعديل
على تركيب الهيئة الوزارية ، بضم مندوبين اليها ،
غير أن رؤساء الادارات الفرنسيين ، لا ينظرون الى
هؤلاء الشبان ، الا كدخلاء لا يستحقون اكثر من فتح
اعينهم للفرجة .

واذا ظن ظان ان الحالة المادية للمخزن ، قد
تحسنت فليرجع عن ظنه ، فان بعض الظن اثم وليعلم
انه بعد أربعين سنة من عقد الحماية ،
لا زال موظفوا المخزن بالقصر السلطاني العامر يجلس
بعضهم على لحف صغيرة

وبالجملة ، فما على الذي يرغب في المقابلات
والمقارنات ، الا أن يرجع الى دفتر من دفاتير الميزانية
المغربية ، وليضع جنبا لجنب الاعتمادات المخصصة
للمخزن ، واعتمادات ادارة من الادارات الفنية ، اي
الادارات الفرنسية باغلبية موظفيها ، ير في مشروع
ميزانية ١٩٥٠ ، انه خصص لرواتب موظفي المخزن
اي ثلاث وزارات ، وسبع مندوبيات ، ومحكمتين
استينافيتين ، ومحاكم الباشوات والقواد والقضاة
في المغرب باجمعه ، ومحاكم الاسرائيليين ، مبلغ
لا يتجاوز ٢٤١ مليوناً ، بينما خصص لموظفي ادارة
الداخلية وحدها ٧٩٧ مليوناً ، من دون اعتبار
ميزانيات المؤسسات الملحقة بها ، يجب الاعتراف
بان مجهود الحماية فيما يرجع لاصلاح المخزن كان
ضئيلاً ، فلو أن الاهتمام الموجه للداخلية مثلاً ، وجه

ما يقاربه للمؤسسات المغربية الصرفة ، لكانت حالة العلاقات الفرنسية المغربية غير ما هي عليه الان ، تلك العلاقات التي كانت ادارة الداخلية هذه حجر عثرة فى طريق تحسينها وتوجيهها توجيها رشيدا ، اذ كان الاصطدام بين القصر وهذه الادارة مستمرا ، ومنشؤه ، هو زعمها أن لها الحق فى الاشراف على الموظفين المغاربة كبارهم وصغارهم ، وفى اختيارهم ونزولهم ، وتأخيرهم ، وعزلهم

لقد تعاقب على رأس هذه الادارة موظفون فرنسيون من كل نوع ، فيهم العسكري ، وفيهم المدني ، وفيهم المراقب ، وفيهم المدرس سابقا ، وما من تغيير وقع فيها ، الا وانتظر المغاربة أن يكون له أثر فى سياستها ، ولكن بدون جدوى اذ لم تكن المسألة مسألة أشخاص ، ولكن مسألة خطة مبيتة وسياسة محكمة انه لاسبيل الى تفاهم حقيقى بين الإقامة والقصر ، ما دام المقيم قبل الشروع فى اية مذاكرة مع السلطان ، يستقى معلوماته وارشاداته من هذه الادارة ، التى لا يكفيها ما فى روح الحماية ونصها ، من اضعاف للسيادة المغربية ، فتريد أن تقضى عليها نهائيا وذلك باتباع سياسة الحكم المباشر ، فهل تتصور ياترى وزارة الخارجية الفرنسية ، كيف يطبق موظفو هذه الادارة مبدأ المراقبة على السلطات المغربية .

انهم جعلوا من كل باشا وقائد ءالة صماء ، سميعة مطيعة ، تأتمر وتنتهى بأمر سيدى الحاكم ، ان المراقب الفرنسى فى مدينة أو قرية ما هو الحاكم الحقيقى الوحيد ، يستحيل أن يقع فى مدينته ما لا يشاء ، فهو المسير لجميع شؤونها المدافع عن مصالح

سكانها ، القابض على زمام ادارتها وسياستها وهذا يبين لنا لماذا لا تريد هذه الادارة تعيين شباب مثقف في هذه الوظائف ، اذ هؤلاء الشباب ربما يدفعهم غرورهم الى محاولة اغتصاب جزء من سلطة الحاكم ، بدعوى أن الموظف المغربي ، والمراقب ، الفرنسي ، قد تخرجا من مدرسة واحدة ، او هما يحملان نفس الشهادات الدراسية ، ولذا من الافضل ان يبقى ما كان على ما كان ، ويحتفظ بتلك العادة الطيبة التي تحتم ان يكون جل الباشوات والقواد اميين لا يقرأون ولا يكتبون ، كما يمكن أن يتحقق من ذلك كل واحد ، ولو كان الامر منحصر في البوادي لسهل شيئا ما ، ولكن المراقبة ، تتدخل في الشاذة والفاذة حتى في العواصم ، بل وحتى في وظائف القصر المتعلقة بالامور الدينية ، الا يجلس بجانب وزير العدالة الاسلامية ، ووزير الاحباس ، ورئيس محكمة الاستئناف الشرعي ، مراقبون هم المسيرون الحقيقيون لكل الشؤون

نعم ، ان المغاربة لا زالوا في حاجة الى اكتساب تجربة ، ولكن كيف يكتسبون هذه التجربة اذا كان بجانبهم في كل الاحوال موظفون ذوو تجربة يكفونهم مؤونة التفكير ، ومسؤولية التقرير ، وخطر الوقوع في الخطأ

ان من الضروري ادخال تعديل على روح الحماية ، وعلى طرق تطبيقها ، اذا كانت النية متجهة الى تكوين المغرب تكوينا عصريا ، وامداده بثلة من الموظفين المغاربة الذين سيشفون على ادارته ، اما اعتبار المغاربة دائما قاصرين ، والحيلولة بينهم وبين اخذ

نصيبهم من المسؤولية ، فان ذلك لا يوصلنا مهما طال الزمن الى هدفنا المنشود .

نعم ، منذ الحرب الاخيرة قامت الحكومة الفرنسية بوضع اسس ذلك النظام الذي سمته الوحدة الفرنسية ، وهي تود ان ترى المغرب عضوا في هذه الوحدة ، ولكن ما هي الفوائد التي ستجنيها بلادنا من الانخراط في هذه المجموعة

يقولون اننا سنخطو بذلك خطوة نحو استقلالنا غير اننا لانراها الا خطوة الى الوراء ، فاذا كان نظام الحماية يضمن للمغرب رياسة دينية ، وسياسة مستقلة ، ويجعله في مستوى اعلى من مستوى المستعمرات ، بربطه بوزارة الخارجية الفرنسية ، فان نظام الوحدة الفرنسية ، يجعل للمغرب بتقديره عضوا فيها ، رئيسا غير مسلم ، هو رئيس الجمهورية الفرنسية ، ويسوى بين المغرب والمستعمرات السابقة التي لا تربطها ببلادنا ، اذا استثنينا الجزائر اية رابطة دينية او جنسية او لغوية بل او اقتصادية .

ان المغاربة مسلمون عرب ، اما باصلهم ولغتهم ، واما بعواطفهم وميولهم ، اننا نعلم أن هذا يسوء الفرنسيين ، ولكن ليس بإمكان الافراد أو الامم ، ان تملى ارادتها لتحويل اتجاه ناتج عن قرون طويلة

ان هناك تيارا فكريا وعاطفيا ، يدفع المغاربة نحو اخوانهم المشاركة ، وليس ذلك التحجير ولا تلك الرقابة الموضوعية على حرية التنقل ، وعلى حرية النشر هي التي ستحدو بالمغاربة الى تبديل قبلتهم ، فاذا كان مقص الرقابة يحذف كل مالا يتلاءم وخطة الادارة

فانه لاسبيل له الى العواطف يكتبها والى الافواه يكلمها والى الحياة يوقفها .

ان احتفاظ الإقامة بالرقابة على الصحف ، بعد مضي سنين على انتهاء الحرب ، هو اعظم برهان على فشل سياستها ، فالمغرب هو القطر الوحيد الذي لازال الى ذلك اليوم ، يضطر قراؤه الى دفع ثمن جريدة نصفها ابيض ، ومن المؤلم حقا ، ان تكون الجريدتان المغربيتان ، العربيتان الوحيدتان ، العلم والرأى العام ، هما اللتان تفعل فيهما الرقابة مفعولها ، بينما تتمتع الجريدة العربية لادارة السعادة ، وكل الجرائد الفرنسية ، بالحظ الاوفر من الحريات والتسهيلات

ان سياسة الميز بين العنصرين المغربي والفرنسي سياسة مناقضة فيما يظهر لروح الحماية ، ولهدفها ولكن هذا الميز ، لا يقتصر على حرية النشر ، بل يتعداه الى حرية التنقل ، فبينما ترى الفرنسيين يتنقلون بحرية مطلقة ما بين فرنسا وأقطار الشمال الافريقي كلها ، يكفيهم الادلاء بورقة تعريف ، نرى المغربي لايسمح له بالتنقل مثلا من منطقة من مناطق المغرب الى منطقة أخرى الا بعد بحوث وتحريات ، واحتياطات ، فماذا ياترى تخشاه الادارة من المغاربة وما هي الاخطار التي تريد تلافيتها او الحوادث التي تريد اخفاءها ؟

ان الحق والحقيقة تخرقان كل السدود ، وكل الحواجز ، فكل محاولة لاختفائهما وطمسهما محاولة فاشلة ، ومن الافضل للجميع أن نرى الحقيقة وجها لوجه ، ونسعى بصراحة واخلاص الى أن نحل المشاكل حلا يحترم كل الحقوق ، يضمن لضيوفنا واصدقائنا

الاوربيين حقوقهم المشروعة ، ويرد للمغرب منزلته وكرامته في بلاده ، ان المغربي يخشى أن يصبح يوما ما اجنبيا في وطنه ، اذا ما تمادى العمل بسياسة الحماية الحاضرة ، أليس من حقه أن يتألم حينما يرى الادارة ترفض الاذن له باصدار جريدة ، او تنظيم اجتماع ، او السفر الى الخارج

اليس من حقه ان يغضب ويحتج حينما يرى ابنه المنفج المتخرج من كلية الطب بباريس ، والراغب في مزاولة مهنته بالرباط ، اى بعاصمة وطنه ، أو باية بلدة أخرى ، مضطرا لتقديم طلب للجنة الهجرة ، يضم الى طلبات التشيكيين او اليوغسلافيين الراغبين في الهجرة الى المغرب

نعم ، انه لحد الان لم يرفض طلب قدمه طبيب مغربي لمزاولة مهنته بالمغرب ، ولكن اللجنة لها الحق اذا اقتضى نظرها أن تمنعه من العمل في بلاده

ان هناك اشياء في المغرب يجب أن تعرفها الحكومة الفرنسية ، فعلى السلطان أن يكون صريحا جاهرا بكل ما يختلج في فؤاده ، فهذه هي الوسيلة التي تنقذ العلاقات الفرنسية المغربية من الدمار ، لا ما تعمد الى نشره الصحف الاستعمارية أمثال (لاباطاي) ، التي وقفت صفحة من كل عدد من أعدادها لمحاربة كل ما هو مغربي ووطني مسلم ، ولتقديم الحركة المغربية والنهضة السلطانية في أبشع صورة وأقبح وجه ، لقد تعدت وقاحتها كل حد ، فتجرات على نشر مفتريات وأكاذيب ، تلمز بها حياة السلطان الخاصة ، وحياة أبنائه وبناته ، مفتريات تصلها من فرنسيين قاطنين بمملكة السلطان ، يستنشقون هواءها ، ويعيشون من خيراتها ، بل

وربما يتقاضون مرتباتهم من خزينتها ، كل هذا والرقابة لا تحرك ساكنا لصد هاته الهجمات على مقام السلطان الذي تعهدت فرنسا بحماية شخصه ونفوذه وكرامته ، ومن يدري لعلها كانت مرتاحة ان لم نقل محرقة لهذا الهجوم ، اذ المغاربة لازالوا لم ينسوا تلك المناشير الدنيئة التي كانت تصلهم مع البريد بنظام ، والتي تتضمن قذفا فادحا في حق ملكهم العظيم ، وفي حق عائلته كلها ، ألم يتبين للجميع أن محرر هذه المناشير وموزعها هو موظف فرنسي بالاقامة العامة ، اضطرت هذه الى نقله لوظيف آخر تقاديا للفضيحة ، اننا نخشى أن تكون مهمة الرقابة هي المساهمة في تلك الحملة الواسعة الرامية الى القضاء على نفوذ السلطان بجميع الوسائل ، بالنصوص التشريعية ، وبالدهايات في اوساط الموظفين ، وبالكاذب والمفتريات في الاوساط الشعبية ، فهل بهذا ومثله يؤمل الرجعيون اطالة حياة معاهدة ١٩١٢ ،

ان كل هذا على العكس يقيم الدليل على ضرورة الغاء هذه الحماية ، وتعويضها بميثاق يعطى كل ذي حق حقه ، ويحفظ للمغرب كرامته ونفوذه وسيادته ، ويضمن له مستقبلا زاهرا مجيدا ،

وأخشى ما يخشاه السلطان ، هو أن لاتنبت تلك البذور الطيبة ، التي ألقاها في هذا البلد الطيب ، وأن تضيع جهوده الجبارة التي أنفقها في سبيل انهاض أمته النبيلة ، انه يود أن يحيط مستقبلا بكل ما من شأنه أن يعين على توالي السير ، وتتابع النهوض ، حتى يتوصل الشعب الى هدفه الاسمي ، ولذا تشغل باله ولاية العهد ، اذ هو يعلم أن المجد الذي يريد بناءه للمغرب ، يتطلب أعواما وأحقابا متوالية كما يتطلب

أن يظل هذا العرش العلوى سائرا فى الطريق الذى رسمه الجالس عليه اليوم ،

ان السلطان قد أعد ابنه الامير مولاي الحسن اعدادا حصريا ، وهياه فكريا وعاطفيا واجتماعيا ، لمتابعة المهمة التى أخذها على عاتقه ، فهل ستقتنع الحكومة الفرنسية بعدالة حق السلطان فى تعيين ولى عهده ؟ ان الاقامة العامة بالرباط لازالت لحد الان لم تحدد موقفها بوضوح من هذا الموضوع ، اذ بينما جريدها (السعادة) ، لاتذكر أبدا الامير مولاي الحسن بلقبه (ولى العهد) ، نرى الرقابة تارة تحذف هذا اللقب من الصحف الوطنية ، وتارة تغض الطرف عنه بحسب شدة العلاقات بين القصر والاقامة العامة أو رخائها ، فهل سيكون حل هذه القضية من نتائج رحلة السلطان الى فرنسا ؟

لقد اقتربت الان جورج ليك من التراب الفرنسى ، ولم يعد يفصلها عن بوربدو الا بضعة ساعات ، واجتمع حول جلالة السلطان سيدى محمد بن يوسف ، ولى عهده الامير مولاي الحسن ، وأعضاء حاشيته ، يتذاكرون ويتباحثون فى برنامج حفلات بوربدو ، وبالاخص فى الحفلة التى ستقام بكلية الحقوق ، والتى ستسلم فيها شهادة البكالوريا فى الحقوق للامير مولاي الحسن .

النزول الى بوربدو

وبقدر ما كانت تقترب السفينة من الشاطيء ، كان منظار السلطان ، يوضح صور الشخصيات البارزة التى كانت تنتظر وصوله وسط جماهير سكان بوربدو البادين السرور ، من اجابة العاهل المغربى للدعوة الموجهة له من طرف رئيس الغرفة

التجارية لزيارة الميناء الفرنسى الكبير ، أما الحكومة فقد أوفدت أحد أعضائها ، هو المسيو لوفيل وزير التجارة والصناعة ، للنيابة عنها فى تقديم عبارات الترحاب لجلالة الملك عند نزوله بالتراب الفرنسى ، وكان بجانبه الجنرال جوان المقيم العام بالمغرب ، أما المغاربة فقد تواردوا على بوردو من كل أطراف فرنسا ، فجاء عدد من الطلبة ، ومن العملة ، ومن التجار ، تحملهم سيارات عديدة ، وانضم اليهم عدد من الجزائريين والتونسيين ، أبوا الا أن يساهموا فى الاحتفال بمقدم عاهل المغرب الشقيق ، وبينما كان البردليون يزينون واجهات دكاكينهم ومنازلهم بالرايات المثلة الالوان ، كان الافريقيون الشماليون يحملون الرايات الحمراء ، ويسيرون وراء لافتات ، حاملات لصورة الملك ، ولعبارات الاحترام لسيدى محمد نصره الله ،

وكان عدد الواردين من المسلمين يتزايد ساعة بعد ساعة ، يتقدمهم قسم الحاشية المغربية السابق الى بوردو والسيد قدور بن غبريط ، مدير التشريعات ورئيس المعهد الاسلامى بباريز ، وعندما ألفت الباخرة مرساتها تهافتت الشخصيات للحظوة بالتقديم لصاحب الجلالة والسلام عليه ،

اصطدام

ونزل السلطان فى وسط الهتافات المتوالية ، وتركب الموكب تترأسه سيارة تقل صاحب الجلالة والمسيو لوفيل ، وتلتها سيارة ولى العهد والجنرال جوان ، ثم بقية السيارات ، ولما تحركت القافلة ، ارتفعت هتافات المغاربة واخوانهم الافريقيين الشماليين ، واشتعل حماسهم ، واشتاقت نفوسهم

الى القرب من ملك المغرب وتحيته عن كذب ، فحاولوا خرق الصفوف للوصول الى السيارة الملكية ، ولكنهم اصطدموا بقوات البوليس تصدهم عن مبتغاهم ، وكان الاصطدام عنيفا ، اذ بقدر ما كان يزيد تصميم المغاربة على الاتصال بسطانهم ، بقدر ما كانت تقوى صلابة البوليس الذى تلقى معلومات صارمة ، وارتفعت صيحات عدائية ضد بعض الشخصيات الفرنسية ، ورميت حجارات ، ومزقت لافتات ، ومر الموكب وقد عاد الامن الى نصابه ، بعد أن جرح من البوليس ومن المتظاهرين بعض الافراد ، وألقى القبض على عدد من المغاربة ، أطلق سراحهم فيما بعد اجابة لرغبة صاحب الجلالة ،

وهكذا ، فى أول يوم من الرحلة السلطانية تأبى الظروف الا أن تبرهن على قوة العواطف ، وعلى سعة الآمال التى تضطرم فى أفئدة المغاربة عند وصول ملكهم المفدى الى الديار الفرنسية لمفاوضة حكومتها فى مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية ،

انهم كانوا يودون أن يشعروه أن المغربى بأرض الوطن أو بالمهجر مخلص لملكه ، متشبث بمبادئه ، ثابت على خطة الوفاء والولاء له ، فاذا ما تكلم ، أو طالب ، أو احتج ، فانه يفعل ذلك معززا بايمان جميع المغاربة وثقتهم أين ما كانوا ، فهل ياترى سيجد صوت هذا الشعب وصوت ملكه الاذن الصاغية من طرف الحكومة الفرنسية ؟

حفلات بورديو

لقد ألقى المسيو لوفيل فى الحفلة المقامة على شرف السلطان كلمة ترحاب وتنويه بالزائر العظيم وبالعلاقات الاقتصادية ، الرابطة بين المغرب وبين

بورردو ، ومع أن المسيو لوفيل لم يشر في كلمته هذه ، الى هدف رحلة صاحب الجلالة ، فان روحها كانت تبشر بنجاح مسعى سلطان المغرب ، وبحسن استعداد الحكومة الفرنسية للشروع في محادثة حبية و صريحة للوصول الى حل ينقذ العلاقات المغربية الفرنسية .

وكان برنامج مقام السلطان ببورردو يشتمل على حفلة ثقافية ، تقيمها جامعة بورردو يوم الاثنين (١٠) أكتوبر ، على شرف ملك المغرب وشرف ابنه ولى عهده المحرز على شهادة البكالوريا فى الحقوق ،

ولقد قرر أساتذة الجامعة أن يمنحوا السلطان شهادة الدكتوراة الفخرية ، فى الوقت الذى يسلمون فيه شهادة البكالوريا فى الحقوق الى الامير مولاي الحسن ، فهل هم فى عملهم هذا يريدون أن ينوهوا بالجهود الجبارة التى أنفقها ملك مخلص وفى فى سبيل انهاض شعبه من الجهالة ، وللسير به فى طريق العلم والمدنية ،

ان فرنسا الثقافية العلمية ، لايمكنها الا أن تنظر بعطف و اعجاب ، لهذه النهضة المغربية الناشئة ، وما الحفلة المقامة بالجامعة البردولية ، بما ألقى فيها من خطب ، وما أحاط بها من جو حبي جميل ، الا برهان صريح على ذلك ،

ولقد خرج السلطان وابنه من حفل الجامعة ، وقد امتلأ قلبهما يقينا بوحدة العلم ، وبسموه ، فوق المصالح الضيقة ، وباحتفاظه باستقلاله الذى يجعل من رجاله كنفًا للحق والانصاف ،

وهكذا كان مقام السلطان وحاشيته فى مدينة بورردو ، بالرغم عن قصره ، وبالرغم عن حادث اصطدام

بعض المغاربة مع البوليس ، فاتحة حسنة للرحلة السلطانية .

التوجه الى باريز

ففي وسط حماس كبير ، واعتناء جميل ، غادر صاحب الجلالة الميناء الفرنسي متأثرا أحسن تأثير من كل ما لاقاه من حفاوة واحترام ، ولما تحرك القطار الخاص ، متوجها الى باريز ، حاملا ملك المغرب وحاشيته ، تزاحمت الافكار والتساؤلات في ذهن سيدي محمد بن يوسف ، انه سيصل الى باريز على الساعة الرابعة وأربعين دقيقة من ذلك اليوم الثلاثاء (١١) أكتوبر ، وسيجد في اقتباله الحكومة الفرنسية بأجمعها ، يتقدمها رئيس الجمهورية مسيو فانسان أوريول ،

فمن هم ياترى رجال الحكومة هذه ؟ وما هي الاحزاب التي تدير دفتها ؟ لقد مضت منذ سفر السلطان الى فرنسا في سنة (١٩٤٥) خمس سنوات تعاقب فيها على الحكم عدد من الشخصيات ، عرف بعضهم صاحب الجلالة معرفة خاصة ، وسمع تنويها بسعة أفكار البعض الاخر ، وباستعداده لاحاطة القضية المغربية بكل عطف ،

واذا كان الجنرال دو كول ، لاسباب سياسة داخلية قد انعزل عن الحكم ، فان هناك برياسة الجمهورية ، الرجل الحر صديق السلطان ، المسيو فانسان أوريول كما يوجد دائما برياسة المجلس الوطني المسيو هريو الذي اجتمع بالسلطان مرارا ، والذي تربطه بأحد شخصيات الحاشية الملكية علاقات صداقة متينة ، وزيادة على هذا فعلى رأس وزارة الخارجية ذلكم المفكر الكبير ، والرجل النبيل المسيو شومان ، الشخصية

الكبرى للحركة الجمهورية الشعبية ، والمغاربة بسبب تعلقهم وتشبثهم بالدين يأملون الخير فى كل متدين ، اذ يعتقدون أنه اذا كان قلب الانسان ممتلئا بالايمان فان ذلك سيدفعه الى العدل والانصاف ، ولهذا ، كانوا ينظرون بشيء من الامل الى اتجاه الحركة الجمهورية الشعبية ، الرامية الى الرجوع الى تعاليم الدين ، على أن هذا ، لم ينسهم مواقف الحزب الاشتراكي من مطامحهم ، وتشجيعه وتأثيره ، على حكومات مختلفة لدراسة مطالب المغاربة دراسة عطف وانصاف ، اذن سيجد السلطان أمامه ، أثناء مذاكرات باريز ، رجالا يمثلون أحزابا ونظريات ، لا تتعارض والمبادئ السامية التي يريد تحقيقها لوطنه ، انه سيتمكن من التحرر من ذلك الجو الذى يجده فى مذاكراته مع رجال الاقامة المتأثرين بعامل الدفاع عن مصالح مادية مستعجلة ضيقة ، لجماعة من المعمرين الذين لا يدرسون القضية من وجهتها العامة ، بل همهم الوحيد هو زيادة أرباحهم وتنمية ثرواتهم ، ان فرنسيى باريز ، هم غير فرنسيى الرباط ، فمعهم تمكن المفاهمة ، ويمكن وضع القضية فى مستواها الحقيقى ،

الوصول الى باريز

ووقف القطار الخاص المقل لصاحب الجلالة سلطان المغرب ولاعضاء حاشيته ، فى محطة باريز ، وكانت تعج بكبار المستقبلين ، على رأسهم رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ، وجميع أعضائها ، والمقيم العام ، وعدد من الشخصيات العسكرية والمدنية ، وأقبل السلطان يصافح مستقبله مبتسما فى وجه أصدقائه ، يطفح أملا وبشرا ، وخرج

السلطان من المحطة واقتبله الباريزيون بما عرف عنهم من لطف ومعاملة ووداد ، وكانت الرايات المغربية تتخلل الرايات الفرنسية ، ومن العدل أن نعترف لشعب باريز ، ولحكومة باريز ، بمجهودهما لاعطاء الرحلة السلطانية ، العظمة والابهة اللاثقتين بملك جليل صديق لفرنسا ،

فكان اقتبالهما لسيدى محمد أيده الله ، اقتبال الملوك المستقلين ، كل التدابير وكل الحفلات تدل على ذلك ،

الم يقرر ان ينزل جلالة الملك ضيفا بقصر الاليزى مقر رئيس الجمهورية ، فى نفس الجناح من البناية الفخمة ، التى أقامت به أميرة هولاندة جوليانة ، ألم ينص برنامج السفر على استمرار الحفلات الرسمية طيلة ايام اربعة ، تتوالى فيها الاقتبالات من طرف رئيس الجمهورية ، ومن وزير الخارجية ، ومن رئيس البلدية ومن المقيم العام ، يزور اثناءها جلالة السلطان قوس النصر وصالون السيارات ، وعددا من ماثر باريس

ان حفاوة فرنسا بالسلطان كانت بالغة الحد ، وترحيبها وتكريمها له ، جديران بالشكر والامتنان ، غير ان لرحلة السلطان للديار الفرنسية هدفا خاصا ، فاذا كانت العناية البالغة الموجهة لشخص الملك تدخل عليه ايما سرور ، فان سروره سيكون اعظم حينما يجد نفس العناية ونفس الاهتمام بقضية امته وبمستقبل شعبه

ولقد حمد السلطان لرئيس الجمهورية ، وللحكومة الفرنسية اسراعهما بالدخول الى صلب الموضوع بمجرد وصول سيدى محمد الى باريس ، فلقد قرر أن

يتوجه السلطان من المحطة الى قصر الاليزى مباشرة ،
حيث ستقام على شرفه حفلة عشاء اثرها سيعقد
اجتماع لتبادل الاراء فى مطالب عاهل المغرب

المذاكرة مع رجال الحكومة

وفعلا لم تنته الحفلة الفاخرة التى شاركت فيها
زبدة الشخصيات الباريزية ، حتى انزوى فى قاعة
من قاعات الاليزى الفخمة ، كل من جلالة السلطان
ورئيس الجمهورية مسيو فانسان اريول ورئيس
الحكومة مسيو بليفن ، ووزير الخارجية مسيو شومان
والمقيم العام الجنرال جوان ، وكان يقوم بترجمة
المحادثة الفقيه السيد محمد المعمرى

فماذا كان يا ترى محور الحديث بين هؤلاء الرجال
العظام ؟

ليس بالصعب على المتتبع للحوادث المغربية
والملاحظ لاعمال صاحب الجلالة ، أن يتنبأ بما فاه به
سيدى محمد بن يوسف فى ذلك الجمع الهام ، انه
ولاشك قد عرض بصراحة ووضوح ، القضايا التى
تشغل باله ليل نهار ، قضايا العلاقة الفرنسية
والصدقة المغربية الفرنسية المعرضة لأكبر الاخطار
ان لم تتدارك الحكومة الفرنسية ووزارة خارجيتها
الحالة الراهنة بدرس القضية المغربية على ضوء
التطور الواقع فى عالم ما بعد الحرب ، وعلى اساس
الآمال التى كان وضعها بعض الفرنسيين الاحرار فى
معاهدة فاس ، تلك المعاهدة التى يعلم الجميع الظروف
التى فرضت فيها على المغرب والتى لايجوز بحال أن تكون
مبررة لضياح حقوق المغاربة ، وللنقص من سيادتهم
وتسليم نفوذهم الى الاجنبى ، يستحوذ عليه ويستغله
لتقوية سلطته واصدار أمره ، ونهيه ، لرعية سلطان

المغرب ، بل معاهدة صداقة ووداد ، ونصح وارشاد ،
تفتح لهم ابواب الحياة العصرية ، وتمهد لهم طريق
المدنية الجديدة وتؤهلهم للاستفادة من خيرات البلاد
ولخلق ادارة فنية ملائمة لروح القرن الجديد ، القرن
العشرين وللقبض على زمام امورهم وتسييرها ، طبقا
لمبادئ الحق والانسانية التي تلهج بها دول أوروبا
وعلى راسها فرنسا ، فاذا كان السلطان مولاي حفيظ
قد مد اليد لفرنسا ، ووضع في رجالها ثقته ، فانه
في مدن المملكة وبواديها ، يتمتعون بسلطة الحكم
في مميزات الملك او اقتناعا بالتجربة الفرنسية
بالجزائر ، بل فعل ما فعل مؤملا ان يجد لدى القوات
الفرنسية عوناً على عبور مرحلة انتقالية تسيير بالشعب
المغربي في هدوء وطمأنينة ، من عصر الانقطاع عن
العالم ، والاكتفاء باسباب الحياة الداخلية ، الى عصر
الاتصال بالدول والامم ، واقتباس النظم والمعلومات
الجديدة التي غمرت العالم بانوارها وفوائدها ، يدل
على هذا تلك المراسلات التي تبادلها مولاي حفيظ
مع رجال فرنسا ، فماذا كانت نتائج التجربة الفرنسية
بالمغرب ، لقد ساد الامن البلاد ، ولم يبق مجال لتلك
الدسائس الاجنبية التي كانت تثير القبائل بعضها ضد
بعض ، أو ضد السلطان قصد اضعاف قوته وتبرير
احتلال عسكري كما وضعت أسس ادارة انتشر رجالها
في مدن المملكة وبواديها ، يتمتعون بسلطة الحكم
المباشر ، جاعلين من الموظف المغربي صورة متحررة لا
تضر ولا تنفع ، ولا تستفيد من التجربة شيئاً يؤهلها
للقبض يوماً ما على زمام الامور والاستغناء عن نصيح
الوصي وقوة الحاجر

ان المغاربة يعتقدون ان الحماية كما يفهمها رجال الدولة الحامية او كما يطبقها رجال الاقامة الفرنسية ليست هي الطريق المؤدية الى تحقيق مطمحهم فى ولوج ميدان المدنية العصرية بجميع ما تتضمنه من سعادة ورفاهية وحقوق وقوة وازدهار

انهم يخشون ان يكونوا قد ضلوا الطريق واساءوا اختيار الوجهة ولذا فهم ياملون اليوم اعادة النظر فى بنود ذلك العقد الذى وقع عليه سلطان المغرب منذ اربعين سنة تقريبا ، اعادة نظر تضمن لهم الشروط الضرورية لاحتفاظهم بمركزهم فى وطنهم ، بل ولتقويته واحاطته بسياج كثيف من التعهدات الصريحة الجلية

ان عقد معاهدة فاس بالنسبة للجانب المغربى ، لم يات بالنتائج المتوخاة منه ، فهذا الجانب يعتبر معاهدة (١٩١٢) قد فشلت فى اداء مهمتها التى يجب أن تكون لصالحهم فحسب ان كان صحيحا ما تلهج به السنة الخطباء وتسطره أقلام الكتاب وتفصله تقارير السفراء من حملة مشعل المدنية العصرية

واذا كان فشلها فى هذه الناحية الانسانية الروحية الصرفة فى حاجة الى دليل فانه فى امكان اى مغربى مثقف ، ان يملى عليك الامثلة العديدة ، والحجج القوية على هذا الفشل امثلة وحججا يستمدها من الحياة السياسية ومن الحياة الاجتماعية ومن الحياة الثقافية فهل كانت الاربعون سنة المنقضية كافية لتهىء الموظف المغربى لتسيير وظيفه وتحمل مسؤوليته أم لاعداد المواطن المغربى للتمتع بحقوقه السياسية؟ او للعامل المغربى للاستفادة من العدالة الاجتماعية او للفلاح المغربى لاستعمال وسائل الانتاج العصرية

او للتاجر المغربي للاستيلاء على اغلبية المصالح التجارية في وطنه ؟

حقا ان أربعين سنة ليست بالامد الطويل بالنسبة لحياة أمة بأجمعها ، ولكن ما لم تكن هذه الامة في حاجة ملحة الى قطع المراحل قطعا ، عساها تلتحق بقافلة التقدم والتطور ، ان كل سنة تمضي هي في نظر المغربي خطوة اما الى الامام ، واما الى الوراء ، ان المغاربة مستعجلون ويريدون أن يلمسوا خطواتهم الى الامام ، ويستفيدوا من كل ما من شأنه أن يعينهم على جعل هاته الخطوات عديدة وسريعة .

انهم شاركوا بجانب صديقتهم فرنسا في أيام المحنة ، وفي معارك الحرب ، غير باخلين بدمائهم ومنتجاتهم ، وهم اليوم وقد تم النصر لدول الحرية والعدالة والديمقراطية ، يأملون أن يجازوا أحسن الجزاء ، وأن يعاملوا معاملة الصديق الوفي الناصح . لقد برهن الجندي المغربي النازل من قمم الجبال السماء ، المنعزل في عالمه الضيق الارزاء ، أن بإمكانه أن يكتسب في بضع سنين ، ان لم نقل في بضع شهور ، تجربة عسكرية ، وكفاءة فنية ، تجعله قادرا على قيادة آلات عسكرية دقيقة ، واستعمال أسلحة جديدة عويصة التركيب . فلماذا ياترى لايتكون في المغرب بنفس السرعة في غير الميدان العسكري والحربي ، فنيون في ميادين الانشاء والتعمير بعد ميادين التحطيم والتخريب ؟

ان أبطال الحرب من رجال القوم ، لم يتخرجوا من مدارس حربية منظمة ، ولم يتتبعوا دروس التكوين العسكري ، ولا مراحل التطور الفكري ، وانما ألقى بهم في ميدان التجربة ، ووضعت الثقة في حسن

استعدادهم الطبيعي ، فكانت النتيجة فوق ما تصوره المتصورون ، وأمله المؤملون ، فهل كان ذلك باعثا على توسيع ميدان التجربة ؟ وعلى فسح المجال للامكانيات المغربية باعطائها الفرصة للظهور وللنمو والتفوق ؟ ان ذلك ما جاء يريده السلطان من فرنسا بادخال تعديل على معاهدة الحماية لضمان هذه الفرصة لافراد رعيته .

فهل في طلبه هذا شيء يناقض أسس الصداقة المغربية الفرنسية ؟ ان المغربي يتوق الى الحياة ، الى التطور ، الى السرعة ، نعم السرعة ، ولا يظن أن في أمله هذا خروجا على نظام الطبيعة ،

فأمثلة الشعوب التي نهضت بسرعة ليست بالنادرة ، فهناك ترجمة الشعب الياباني الذي ان كان في سنة (١٨٢٠) ، أي في السنة التي نزلت فيها القوات الفرنسية بالجزائر ، ان كان هذا الشعب حينذاك منكشما منعزلا متأخرا ، فانه كان بلغ عند اعلان الحرب العالمية الاخيرة قمة المجد والازدهار والقوة ، بل قمة العتو والتعدي . مهما يكن من أمر ، فانه قطع المراحل قطعاً سريعاً ، ولانريد المقارنة بين سير الشعب الياباني ، والشعب الجزائري ، ولا بين مستوى الحياة في البلدين ، ولا بين انتشار التعليم فيهما ، أو زيادة عدد سكانهما ، نعم ان اليابان وجد في نفسه من العزم والقوة ما كفاه للنهوض من دون التخلي عن شيء من سيادته ، وهذا يجعلنا نتساءل هل ليس من الضروري لنهضة الامة نهضة حقيقية ، أن تكون حاملة لجميع مسؤوليتها ، مدركة لخطر المهمة الملقة على عاتقها ؟ ان ذلك شرط ضروري لاكتساب

التجربة ، ولكتوين رجال الدولة القادرين على تسيير الامور .

لقد بقيت انكلترا قابضة بيد من حديد على حياة الهند الاحقاب الطويلة ، أحقابا قطعت فيها أشواطا نذكر في ميدان المدنية والتطور ، ولكن السير كان بطيئا مملا ، فلما قررت انكلترا تحت قيادة حزب العمال الاشتراكي ، اعطاء الهند استقلالها ، لم تمر بضع سنين حتى كانت الهند تحتل في صف الامم مركزا من المراكز الاولى ، وصار صوت رجالها ، وبالاخص صوت الزعيم نهرو تلميذ غاندى العظيم ، يرن في أرجاء العالم ، يملئ عليه دروس الوطنية والانسانية والعدالة ، ويعمل لتقريب الشعوب والمحافظة على السلام . لقد كان المتنبؤون يصرحون جازمين بأن الهند بمجرد تغلي القوات الانجليزية عنها ستمزقها الحروب الاهلية ، وستتوالى فيها المجاعات ، وستنمو فيها الاوبئة ، ولكن الواقع أظهر أن الهند منذ استقلالها لم تسر من حسن الا الى أحسن ، ولم يزد مستوى الحياة فيها الا ارتفاعا والامن الا ثباتا ، والمدنية الا تقدما ، والتسامح الديني الا اتساعا .

لقد قلت أو كادت تنعدم ، تلك الاصطدامات الدموية التي كانت تقع بين المسلمين والهندوس أيام الاحتلال الانجليزي ، بظهور الباكستان ، تلك الدولة الفتية الاسلامية التي يتجه اليها اليوم نظر العالم الاسلامي محييا ومعجبا . ولم البحث عن أمثلة في الشرق الاقصى ؟ وليبيا بجانبنا ، ذلك القطر العربي الذي ذاق مرائر الاستعمار الايطالي ، وتحمل الاهوال والشدائد ، وكاد ييأس من الحياة ، انه اليوم بفضل نظام الامم المتحدة ، يرجع له أمل في الحياة ،

ويتشوف الى عصر يتمتع فيه بحقوقه كاملة غير منقوصة . ان الامم المتحدة اعتبرت أن بضع سنوات كافية لاعداد هذا الشعب حياة مستقلة عصرية ، فهل تعتقد الحكومة الفرنسية أن أجلا مساويا لهذا غير كاف لاعداد الشعب المغربي ؟ ولم ياترى ؟ لأن عقلية المغربي أخط من عقلية أخيه الليبي ؟ أم لان الطقس المغربي يخالف الطقس الطرابلسي ؟ أم لان المصالح الاجنبية فى المغرب أوسع وأقوى منها فى القطر الليبي ؟

نعم ان الاستقلال المغربى مهما ادعى خصومه ، ليس معناه القاء الاوربيين الى البحر أو تخييرهم بين (القبر أو الحقيقة) فان المغرب يعترف للفنيين الاوربيين بما قاموا به فى هذه البلاد من منشآت عمرانية ، طرق ، وسكك حديدية ، ومراسى وسدود ، كما يعترف لهم بحقهم فى العيش آمنين فى هذا البلد السعيد فى حدود قانون انساني يضمن للاجنبى جميع ما تواضع الناس على منحهم اياه فى العالم المتمدن ، من دون أن يكون فى ذلك مس بعنصر من عناصر السيادة المغربية .

ان المغرب ينتظر من الحكومة الفرنسية أن تنظر الى القضية المغربية على ضوء هذه الاتجاهات لتجعل أجلا محدودا تثمر فيه جهودها ، وتجنى ثمارها ، باعلان استقلال المغرب الذى سيكون أعظم برهان ، وأكبر دليل على نجاح فرنسا فى مهمتها ، وعلى وفائها للعرش العلوى المغربى الذى وضع فيها ثقته للنهوض بالامة المغربية فى أقرب وقت ممكن .

المذكورة الاولى

هذه ولاشك كانت من جملة الافكار التي عرضت من طرف الجانب المغربي فى اجتماع الاليزى ، نعم انه لم ينشر مضمن المذاكرات ، ولا نص المذكرة وملحقاتها التي قدمها سلطان المغرب لرجال الحكومة الفرنسية فى نهاية حديثه معهم ، لم ينشر ذلك حتى تتمكن من الاطلاع بالضبط على جميع ما راج ، وعلى رد الفعل من طرف الجانب الفرنسى .

على أن الشخصيات التي شاركت فى حفلة العشاء كلها متفقة على أن البشر كان باديا على جميع وجوه المتفاوضين ، بما فيهم سلطان المغرب ، ورجال الحكومة الفرنسية ، والجنرال جوان المقيم العام ، ان عدالة القضية المغربية ، ووفاء السلطان ، ودفاعه عن مصالحها ، ووطنيته الوقادة ، كل ذلك كان له ولاشك أعظم الاثر فى نفوس رجال فرنسا ، أثر بدا فى وعود جميلة فاه بها على ما قيل وزير الخارجية الفرنسية المسيو شومان ، الذى قدر نضال ملك المغرب فى سبيل شعبه حق قدره ، وأعجب بهذا الامام الدينى ، والرئيس السياسى ، الذى جعل سعادة شعبه شرطا أساسيا لنمام دينه وعقيدته .

أما الجنرال جوان ، فانه ولاريب سجل نبيل الملك الذى عرف كيف يرتفع فوق تلك الحزازات والاصطدامات التي توالى بين القصر الملكى والاقامة العامة طيلة سنين ثلاثة ، فلم يعرج على هذا الموضوع ونم يصرح ، بل ولم يلوح الى تغيير فى رياسة الاقامة العامة ، اذ كان يعتقد أن المسؤول عن سياسة فرنسا بالمغرب هو وزير الخارجية ، لامثلها بالرباط ، ولذا كان يعتقد أن تبديل رجل باخر لايقدم القضية أو

يؤخرها في شيء ، اذ المسألة مسألة مبادئ ، لامسألة أشخاص ، واذا كان وزير الخارجية يتعهد بادخال تعديل جوهرى على روح العلاقات الفرنسية المغربية ، فان معارضة بعض رجال الاقامة العامة المتأثرين برجعية المعمرين ، سوف لا يكون لها أى مفعول ، نعم كان المغاربة يتساءلون هل فرنسا ورجال حكومتها على علم بجميع ما يجرى فى المغرب ، وبالاخص بما يلاقه ملكها من تعنت وشدة ، ولكن ذلك كله يهون بجانب ما بعثته مذاكرة الاليزى من آمال جسام ، فلينتظر صاحب الجلالة ، ولينتظر معه شعبه جواب الحكومة الفرنسية ، الذى لا يمكن الا أن يكون مطابقا وموفيا بالوعود التى أعطيت للامة المغربية بواسطة ملكها ، تلك الامة التى جعلت كل أملها وكل ثقتها فى حكمة سيدى محمد ، وفى حسن تدبيره ، فلم تكثف بمظاهر الاخلاص والولاء لملكها عند مغادرته تراب مملكته ، بل تابعت مراحل سفره باهتمام شديد ، مرسله برقيات الثقة والولاء لسفيرها الجليل ، الذى وقف فى شجاعة نادرة ، وتفان تام ، يعبر أحسن تعبير ويدافع أروع دفاع ، عن مصالح شعب متلهف الى الحياة .

وهكذا وردت برقيات من الاعيان المغاربة ، ومن رجال الاحزاب الوطنية ، ومن الطلبة والعلماء ، ومن مختلف طبقات الامة على سلطان المغرب ، حاملة عبارات الامتنان والشكر والوفاء والولاء .

احتفالات باريز

وبينما كانت النفوس منتظرة مؤملة ، كانت احتفالات باريز بجلالة السلطان تتوالى ، كل حفلة أفخم من سابقتها .

فبعد عشاء الاليزى يوم الثلاثاء ، زار صاحب
الجلالة قبر الجندى المجهول يوم الاربعاء ، حيث
اقتبله الجنرال كونيغ ، ثم حضر حفلة الغداء التى
أقامها على شرفه الجنرال جوان بنزل كريون ، وفى
نفس اليوم تجول بأروقة صالون الاطوموبيل ، حيث
أعجب بتقدم الصناعة فى هذا الميدان ، ثم كانت حفلة
العشاء بقصر المدينة حيث اقتبله المسيو بيير دو كول
أخو الجنرال .

أما يوم الخميس ، فقد خصص نصفه الاول لجولة
بمارلى حيث تمكن صاحب الجلالة بجانب صديقه
رئيس الجمهورية الفرنسية ، والجنرال جوان ، وعدد
من الشخصيات ، من قضاء بضع ساعات فى الصيد
والقنص ، تلتها حفلة غداء بقصر رامبوى .
وخصت أمسية ذلك اليوم لعشاء أعدتها وزارة
الخارجية .

وبالطبع كان يوم الجمعة هو يوم زيارة مسجد
باريز لاداء الفريضة ، والاتصال بالجالية المغربية
والاسلامية بباريز ، على رأسها السيد قدور بن
غبريط ، رئيس المعهد الاسلامى ، والمشرف على
المسجد .

ولقد كان صاحب الجلالة ، وصاحب السموا الملكى
ولى العهد ، وجميع أفراد الحاشية ، يجدون أثناء هذه
الحفلات حفاوة بالغة ، لا من طرف رجال الحكومة
وحدهم ، بل من جميع أفراد الشعب ، الذين اتصلوا
بهم ، وهكذا كانت أيام مقام السلطان الرسمية ،
كلها أفراحا فى أفراح . وفى يوم السبت ودع صاحب
الجلالة ، وولى العهد ، مضيفهم رئيس الجمهورية ،
وانتقل السلطان من قصر الاليزى الى فيلا فخمة

ببكاطيل ، وضعتها الحكومة الفرنسية تحت تصرفه أثناء مقامه الخاص بباريز .

فى انتظار الجواب

وفى هذه الفيلا ، تواردت على صاحب الجلالة وفود المغاربة والمسلمين ، يأملون الخطوة بالمثول بين يديه ، كما زاره عدد من الشخصيات السياسية الفرنسية التى تحيط القضية المغربية بعطفها ، ومن الطبيعى أن يحاول سلطان المغرب اقناعها بوجهة نظره ، على أمل أن يجد لديها عوناً أثناء عرض المسألة على بساط البحث فى المجلس الوزارى الفرنسى ، الذى سينعقد لدراسة المذكرة المغربية ، وكان جميع المغاربة ينتبعون فى الصحف الاخبار بتلهف ، عساهم يجدون ما يدل على تاريخ الاجتماع الوزارى ، ولكن الايام توالى من دون أن يعلن شىء من طرف الحكومة الفرنسية .

نعم ان حادثاً مهما قد وقع فى الهند الصينية ، حدا بالحكومة الى ارسال الجنرال جوان للقيام بمهمة فى تلك الواجهة ، فهل ياترى سيكون غياب المقيم العام هو سبب الصمت وهذا التأخير ؟ ولكننا كنا نظن أن وزارة الخارجية قد أخذت على عاتقها دراسة المسألة بنفسها ، واتخاذ قرار مستقل فيها ، قرار مبنى على نظريتها ، لا على القرارات الواردة عليها من الرباط . أما اذا كان رجال باريز لايجرؤون فى غياب الجنرال على الجهر بالقول فى مسألة جوهرية تهتم فرنسا والمغرب ، فان النجاح فى المساعى المغربية صار من المشكوك فيه ، لقد حاول السلطان منذ تعيين المقيم العام الجديد التفاهم مع الاقامة طيلة سنين من دون

جدوى ، واذا وجد أمامه نفس الرجال ونفس المعاملة
فى باريز فقد ضاع كل أمل .
وبينما كان المغاربة بين اليأس والرجاء ، كانت
الصحافة الباريزية تخوض فى موضوع المذكرة
المغربية ، وفى محتوياتها ، محاولة التنبؤ
بما تنطوى عليه ، ومعلقة عليها تعاليق مختلفة بحسب
اتجاهاتها ، أو الايحاءات المنبثقة فيها ، ومن الانصاف
أن نسجل العطف البادى من بعضها بمطالبتها للحكومة
بارضاء مطامح السلطان ، وبالتفاهم معه على أسس
جديدة ، وبتحوير خطتها بالمغرب . ولقد راجت
اشاعة فى باريز قائلة بأن الجنرال جوان قد أخرج عن
منصبه بالرباط ، وسيخلفه المسيو بارودى ، وهو
شخصية كبيرة تربطها مع صاحب الجلالة أوامر
صداقة متينة ، ونقلت بعض الصحف هذه الاشاعة ،
غير أن الحكومة أصدرت تكذيبا باتا لهذا الخبر .
واتضح أن المسألة سوف لا تثار الا فى أواخر شهر
أكتوبر ، وبقي أمام صاحب الجلالة أسبوع أو يزيد ،
قضاءه فى الاتصال بمختلف طبقات الجالية المغربية
بباريز ، فكانت زيارة العملة المغاربة بجنفيى والجمعية
الخيرية الاسلامية ، وكان اقتبال الطلبة والحفلة التى
أقاموها تكريما لولى العهد المحبوب بأوتيل كريون .
وبالطبع كانت هذه الحفلة ككل حفلات الشباب فى
العالم ، مليئة بالحيوية والنشاط والحماس ، وألقى
فيها صاحب السمو الملكى مولاي الحسن كلمة قابلها
الطلبة بهتاف عال ، وتصفيق حاد ، ولم يخل الاجتماع
من شىء من عدم احترام قواعد البرتوكول الدقيقة ،
فلوحظت عليه من طرف بعض فرنسيى المغرب ، أن
شخصيات عربية ، قد أجلست فى ترتيب لا تخولها

اياه رتبته الرسمية ، بينما جلس بعض الفرنسيين في مقاعد دون ما يستحقون وراح المغرضون يهولون الحادث موهمين أن تلك اهانة مقصودة ، وأن المغاربة يجاهرون الفرنسيين بالعداء ، وأنهم لا يريدون تفاهما وودادا ، بل تعنتا وتصلبا . فاذا ما أشعرتهم الحكومة الفرنسية بشيء من التساهل أو الضعف ، فإن وقاحتهم ستتضاعف ، وستتعرض المصالح الفرنسية في المغرب لأعظم الأخطار ، ان من الحكمة أن تستمد وزارة الخارجية والحكومة وحيها من الإقامة العامة ومن رجالها في كل ما يرجع الى المغرب والمغاربة ، وأن تنتظر عودة الجنرال جوان من الهند الصينية لتحرير الجواب عن مذكرة السلطان

الجواب الفرنسي

وفعلا انتظرت الحكومة يوم السبت (٢٩) أكتوبر لعقد اجتماع يشارك فيه الجنرال جوان بقصد المداولة حول المذكرة المغربية وتحرير الجواب عنها ، ووقع الاتفاق على نص المقترحات التي ستقدم للجلالة الشريفة للقضاء نهائيا على سوء التفاهم الواقع بين القصر والإقامة العامة ولوضع العلاقات بين فرنسا والمغرب على أسس جديدة .

لقد سلم الجواب الفرنسي الى السلطان في يوم (٣١) أكتوبر ، فماذا كان فحواه ؟ انه لحد الان لم ينشر لانص المذكرة المغربية ، ولانص الجواب ، ولكننا اذا صدقنا ما أذاعته شركة الاخبار (فرانس بريس) فان الجواب الفرنسي يتضمن اقتراح اصلاحات تتعلق بالحياة النقابية في المغرب ، وبهدف الرقابة على النشر غير أن هاته المسائل في نظر الحكومة الفرنسية يجب أن تدرس ضمن معاهدة الحماية دراسة وافية تقوم

بها لجان مختلطة ، نصف أعضائها من المغاربة ، ونصف أعضائها فرنسيون ، يعينهم الجنرال جوان ، وتجتمع هاته اللجان بالرباط تحت رئاسة شخصية فرنسية يختارها المقيم ، وتشرع فى العمل فى أقرب وقت ممكن .

أهذا ما كان ينتظره السلطان كنتيجة رحلته الى الديار الفرنسية ؟ أكان من الضروري أن يشد سلطان المغرب الرحلة من الرباط الى باريز ، ويقدم عرضا صريحا ، ومذكرة وافية ؟ ليتلقى هذا الجواب الذى لا يمكن الا أن يفسر بأنه تثبيت لعقد الحماية ، واغلاق لابواب الحكومة الفرنسية فى وجه الوفد المغربى ، واشعاره بأن الحل والعقد فى قضية المغرب بيد الاقامة العامة بالرباط ، فما على السلطان الا أن يرجع الى عاصمته ، وليحاول أن يتفاهم مع المقيم كيف شاء ، أما تعديل الحماية ، أما الاعتراف للمغرب بحقه فى التشوف الى حياة الحرية والاستقلال ، أما ضرب اليد على الرجعيين الذين يكدرون صفو العلاقات بين المغاربة والفرنسيين الاحرار ، فتلک أمور لم يشر اليها الجواب !

أىكون الجانب المغربى لم يفصح الافصاح الكافى عن مبتغاه ؟ أم يكون الجانب الفرنسى لم يدرك تمام الادراك ما يصبو اليه المغاربة ؟

نعم المذكرة قد ارفقت ببعض ملحقات ، ولكن هذه الملحقات ، لم تكن الا أمثلة تبرر ايجاد أسس جديدة للعلاقات المغربية الفرنسية ، وليست هى مطالب قدمت لذاتها ، فهل وقع سوء تفاهم ؟

مهما يكن من أمر ، فان الجواب الفرنسى كان مخيبا للامل وبادرة منذرة بفشل المفاوضات ، تلك ولا شك

كانت احساسات أفراد المخزن الشريف ، عندما جمعهم السلطان سيدي محمد لاتخاذ موقف تجاه الاقتراحات الفرنسية ، ولقد ضم هذا الجمع جميع أفراد الحاشية الرسميين باستثناء باشا مراكش الحاج التهامي الجلاوي وقائد الرحامنة السيد الهاشمي العيادي ، اذ رأى المخزن أن لا داعي يوجب اشراكهما في المداولات ،

المذكرة الثانية

ولم تستمر المذاكرات طويلا ، اذ لم يمض يومان على وصول الجواب الفرنسي حتى أعلن أن صاحب الجلالة قد قدم مذكرة ثانية ، تعزز المذكرة الاولى ، وتوضح الهدف الذي يأمل المغرب تحقيقه ، ألا وهو تعديل معاهدة الحماية تعديلا جوهريا يكون مرحلة الى استقلال المغرب الداخلي ثم الى استقلاله التام . وفي الوقت نفسه نشر المكتب الملكي بيانا أعلن فيه وجود خلاف بين وجهتي النظر المغربية والفرنسية ، وأن الجانب المغربي - بالرغم عن هذا - لا زال يؤمل الوصول الى حل وسط يرضى الطرفين .

الجلالوي والعيادي يباريز

وكانت المذكرة الثانية مفاجأة غير سارة بالنسبة للعناصر الرجعية ، التي كانت تعتقد أن المفاوضات المغاربة ، سيستقبلون الصدمة ، صدمة الرفض الفرنسي من دون أن يتجرأوا على القيام برد فعل مناسب ، غير أن تقاؤلهم قد انتعش عندما روت بعض الصحف أن شخصيتين مغربيتين ، يظن أنهما الحاج التهامي الجلاوي والسيد ابن الهاشمي العيادي ، قد قاما بزيارة أعظم شخصية فرنسية ، للتعبير لها عن عدم موافقتها على روح المذكرة السلطانية ، وعلى

مطالبها ، وينوهان بالسياسة التي تقوم بها الادارة ، سياسة القواد الكبار ، التي برهنت في الماضي على صلاحيتها التامة .

وهاته الزيارة كانت أول سهم رمى به في معركة نفسية عنيفة ، سيكون ميدانها الوطن المغربي العزيز وسيكون من صحاياها هناء المغرب وطمانينته .

فاذا كانت مفاوضات باريز قد فشلت ، أو على الأقل لم تات بنتائج ايجابية ، فان هذا النوع الجديد ، الذي دشن في العاصمة الفرنسية لمحاربة النفوذ السلطاني ، ولقاومة مشاريعه الاصلاحية ، ولتحجيط مساعيه التحريرية ، ذو خطر عظيم .

فكان الاستعمار يريد أن يبرهن على أن تلك الحجة التي تدرع بها منذ أربعين سنة للتدخل في المغرب تدخلها مباشرة ، لازالت قائمة الى الان ، فرجاله يقولون اذا كان السلطان مولاي حفيظ قد اضطر للاستنجاذ ضد القبائل النائرة ، فان نفس هاته القبائل هي اليوم لم تنفك على طرفي نقيض مع السلطان سيدي محمد ، وهل أدل على ذلك من زيارة الرئيسين باشا مراکش وقائد الرحامنة ؟

وأدرك الملاحظون أن مؤامرة خطيرة تدبر في الظلام وان النهضة النبيلة التي يترأسها صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف أيده الله ونصره ، معرضة لضربة قاسية ، يريد لها أعداء التطور والتقدم والانسانية .

وبينما كان أبالسة الشر يحوكون شبكة الخيانة كان جلاله السلطان يستعد لمغادرة باريز بعد وداع شخصياتها ، وقلبه بالرغم عن كل ما حدث ممتلىء أملا وتفاؤلا ، في حسن مصير القضية المغربية ، وفي

امكان الوصول الى تفاهم بين المخلصين من المغاربة والفرنسيين .

ان الحق يعلو ولا يعلى عليه ، غير أن هذا لم يكن كافيا للحيلولة دون استيلاء التشاؤم على قلوب أفراد الحاشية السلطانية ، ومع أن حفاوة الشعب الباريزى عند خروج السلطان ، واحتفالات مرسيليا بمقدمه ، والاعتناء البادى فى المآدبات والامسيات الفنية المنظمة على شرف الزائر العظيم ، لم تكن تنقص فى شىء عما وجده عند نزوله بالتراب الفرنسى ، فان الجو لم يكن نفس الجو ، اذ قد أخذت كفة اليأس تعلو ، وأخذت السحب تكدر صفاء الافق .

نتائج السفر

وعندما أبحر السلطان من ميناء مرسيليا على ظهر (جورج ليك) التى أقلته فى ايايه بعد وداع الشخصيات الفرنسية والاسلامية ، لم يتمالك من أن يفسح المجال لافكار لم يكن يسمح لها من قبل أن تستحوذ على لبه ، لقد تردد كثيرا قبل الاقدام على هذه الرحلة ، وسمع فى شأنها نظريات مختلفة ، وتعليقات متناقضة ، وبالرغم عن كل معارضة ، قرر السفر واضعا ثقته فى حكمة رجال باريز ، وفى روح الانصاف التى كان يعتقدونها فيهم ، فماذا جناه من رحلته هذه ؟ وما هى النتائج التى حصلها من محاولته ؟ لقد رفضت الحكومة الفرنسية الدخول معه فى مفاوضات تمس صلب الموضوع ، (طلب تعديل معاهدة الحماية) بل أفهمته أن هاته المعاهدة ليست جديدة بالتقدير فحسب ، لما حققته من مشاريع عظيمة جليلة ، بل هى فى نظرها لازالت صالحة - كما هى - للاشراف على العلاقات الفرنسية المغربية سنين أخرى طويلة ،

لا يعلم مداها الا الله والراسخون في العلم ! أما اذا أراد السلطان ادخال شيء من التعديل على بعض الجزئيات التي أشار اليها في ملحقات مذكرته ، كمسألة تعيين الموظفين ، أو مسألة الحق النقابي للمغاربة ، أو تعميم التعليم ، فما عليه الا أن يمد اليد لرجال الإقامة فهم أدري بالمغرب وأعرف بالمغاربة !...

ولكن اذا كانت رحلة فرنسا لا يمكن أن تعتبر خطوة هامة الى الامام بالنسبة للمغرب ، فانها على الاقل برهان واضح ، ودليل قاطع على أن المغاربة وعلى رأسهم سلطانهم المقدي ، قد عملوا كل ما في وسعهم من تفاهم وتسامح ، للوصول الى اتفاق مع رجال فرنسا على أسس معتدلة رزينة ، أسس تسيير بالشعب المغربي الى المرتبة اللائقة به .

لقد وهب السلطان قلبه وروحه وقوته وتفكيره لهذا الشعب الذي بادله جبا بجب ، واخلاصا باخلاص ووفاء بوفاء ، فماذا ستكون هدية السلطان الى رعيته؟ لقد كان يؤمل عند نزوله بتراب مملكته ، أن يفوه بتصريح يعلن فيه للمغاربة أسس الاتفاق الجديد المبرم مع الدولة الصديقة الحليفة ، فترفع الهتافات من كل جانب بحياة فرنسا وبحياة المغرب البلدين الصديقين الوفيين ، ولكن هاهي السفينة تخرج من البحر الابيض المتوسط ، بعد الوقوف بطنجة بضع ساعات لتمخر عباب المحيط الاطلسي ، متجهة الى البيضاء ، وليس لدى السلطان فكرة عما يقوله لشعبه ، أيلازم الصمت ، أم يعلن فشل المفاوضات؟ وماذا سيكون رد الفعل ياترى؟؟ هل ستؤثر هاته الحقيقة على معنوية الشعب المغربي وعلى حيويته؟ هل سيدفعه اليأس الى وسائل العنف؟ تلك الوسائل

التي يأبأها السلطان ولا يرضاها لامته ، اذ هو يومن
بامكان نجاح الحق الاعزل الضعيف على الباطل المسلح
القوى ...

اقتبال الشعب المغربي لملكه

وبينما كانت (جورج ليك) تقترب شيئا فشيئا
من ميناء الدار البيضاء ، في صباح يوم الخميس (٩)
نونبر ، كان الشعب المغربي في شرق البلاد وغربها
وشمالها وجنوبها ، قد استعد للاحتفال بمقدم عاهله
المفدى ، الذى تقانى في الدفاع عن مصالح أمته وعن
حقها في التشوف الى الازدهار والعلية ، لقد أصبحت
مدن المغرب كلها من طنجة الى أكادير ، مزدانة
بالاعلام الحمراء ، وأصبح الاجانب يتساءلون عن
سبب هذه الافراح ؟ فلما علموا أن ذلك كله احتفاء
برجوع ملك المغرب الى مملكته ، ازدادوا يقينا بقوة
تأثير هذا الرجل العظيم على نفوس المغاربة .

ولقد كان حماس الرعية عند اعلان خبر وصول
السلطان الى أرض الوطن سالما فوق الوصف ، فلو أن
المغاربة علموا أن اعلان استقلال المغرب قد تم ، لما كان
سرورهم أشد من بهجتهم بروية بطلمهم العزيز ،
وسلطانهم الفذ ، سيدى محمد بن يوسف ، اذ هم
يعلمون أنه مادام هذا القائد العبقري مشرفا على
مصير البلاد ، فكل الآمال مأذون بها ، ومادام قابضا
على السلطة الشرعية في الوطن ، فان المغبة محمودة ،
ولا يمكن أن تؤدى الا الى شىء واحد ، هو الاعتراف
للمغرب بحقه في تسيير شؤونه بنفسه .

لقد هرع الناس من كل أطراف البلاد الى الميناء
المغربى للتعبير لملكهم عن ممنونيتهم الكبرى على

الموقف المشرف النبيل ، الذى وقفه صاحب الجلالة
فى دفاعه عن حقوق شعبه .

ولقد كان اقتبال الدار البيضاء ، ثم اقتبال الرباط
لسيدى محمد - نصره الله - اقتبال الفاتحين الكبار ،
الذين أحرزوا انتصارات باهرة ، وفعلا كان هناك
انتصار اذ سيدى محمد أیده الله قد انتصر فى معركة
تاريخية ، على روح التفرقة ، فجعل من الامة المغربية
بأجمعها وحدة متراسة الصفوف ، قد اتلفت قلوبها ،
وانحدت وجهتها ، وتجمعت آمالها فى هذا الناطق
بلسانها ، المعبر عن متمنياتنا ، المحيى لمواتنا ، الباعث
لعزها ومجدها ، أميرها وسلطانها وملكها المفدى ،
سيدى محمد بن يوسف .

وإذا كانت الاشواك توضع فى طريقه ، والدسائس
تدبر ضد خطته ، والخيانة تهيأ لتجبيط عمله ، فذاك
شأن الرجال العظام ، الذين لا تزيدهم العراقيل الا
عزما ، والمقاومة الاقوة ، والمشاكل الا ثباتا و يقينا .

وكيف لا يمتلىء قلب السلطان فخرا ؟ عندما يرى
أفراد هذا الشعب النبيل ، يتشبثون بسيارته ،
يلتمسون القرب من سيد البلاد ، ورمز أملها ، وعند
ما يرى بريق العزم ونور الاخلاص ، ينبعث من أعين
نخبة المغرب ، علمائه وطلبته ، وسياسييه ومفكريه
وموظفيه ، بما فيهم رجال المخزن المركزى ، والقواد
والباشوات والامناء والنظار والاعيان ، وكل من له
حيثية فى هذا الوطن العزيز ، نعم غاب عن هذا
المشهد رجل ألف الناس أن يروه فى مثل هذه المناظر
واقفا فى الصفوف الاولى ، خاشعا متزلفا ، مسرعا
الى تقبيل راحة ملك البلاد ، والى اظهار امارات

الاخلاص والخنوع ، ذلك هو باشا مراکش الحاج
التهامى الجلاوى ...!
فأى مانع - ياترى - عاقه عن المشاركة فى الحفل
العظيم ..؟

تساءل الجميع عن ذلك ؟ فلما علموا أن الباشا قد
رعب فى البقاء بضع أسابيع أخرى فى باريز ، بعد
رجوع الملك الى وطنه ، لم يتمالكوا من ابداء مخاوفهم :
ان تخلف الباشا عن ركاب سيده ، ليس الا نذير شر ،
فلقد فهم كل واحد أن بقاء الحاج التهامى بالعاصمة
الباريزية لم يكن لتعزيز موقف ملكه ، والسير فى
الطريق الذى رسمه ، بل كان على العكس من ذلك
لخدمة خصومه ، وللوقوف فى صف الذين أعلنوها
حربا شعواء ، على نهضة المغرب وعلى آماله ومطامحه ،
ولكن هل فى امكان الحاج التهامى أو من على شاكلته ،
بل هل فى امكان أية قوة بشرية فوق الارض ، أن تبدل
سنة الله التى وعدت المومنين الصابرين الثابتين
بالنصر المبين ...؟

ان ايمان السلطان ، و يقين السلطان ، واخلاص
السلطان ، كل ذلك سيحقق طال الزمن أو قصر ،
أحب من أحب وكره من كره ، سيحقق أمنية المغرب ،
وبغية المغاربة ، استقلال المغرب ، من دون عنف ولا
عداء ، ولا تعد ولا ظلم .

ووصل السلطان الى قصره بالرباط ، وقد رافقه
الشعب الرباطى الى مشور تواركة ، حيث رفعت
أقواس النصر ، واحتشدت الجماهير الغفيرة من
الرجال والنساء ، وكلها تحيا فى حياة هذا الرجل ،
وتسعد بأقل ابتسامة من فيه ، وتوقن أن نجمة مقرون
برفاهية المغاربة وسعادتهم .

فليدخل السلطان الى قصره آمنا مطمئا ، فان
قلوب شعب بأجمعه ، تحوطه برعايتها وحبها واخلاصها

عيد العرش

ولكن هل سيتمكن السلطان من أخذ بعض أيام
للراحة والاستجمام ، بعد هذا النضال العنيف ، الذى
قاده طيلة شهر كامل ؟ ان الرجال العظام ، لا يجدون
راحة الا فى العمل ، ولا ينتقلون من معركة فى الحياة الا
الى معركة أخرى .

فلقد وصل السلطان الى المغرب فى يوم (٩) نونبر
أى تسعة أيام قبل عيد العرش ، وعيد العرش فى
المغرب ، أهم حادث فى السنة ، بالنسبة للامة المغربية
فهو بمثابة مؤتمر شعبى وطنى ثقافى ، تقنع الامة
فيه نفسها ، وتقنع كل أصدقائها بحيويتها ونشاطها
ونضوجها ووحدتها والتفافها حول مجدد مجدها ،
ملكها سيدى محمد ، الذى يفوه فى هذا اليوم من كل
سنة بخطاب ، يستعرض فيه أعمال السنة الماضية ،
ويرسم الخطط للسنة المقبلة ، ولو لم يكن المغاربة
يقدمون كل ما يفوه به ملكهم ، لقلنا ان اهتمامهم
بخطاب العرش لسنة (١٩٥٠) كان أعظم من اهتمامهم
بخطب السنوات الماضية ، اذ فى هذا الخطاب
سيستعرض ولاشك لرحلة فرنسا ، ولمفاوضات باريز
ولموقف كلا الجانبين ، المغربى والفرنسى ، فأية خطة
اتخذها صاحب الجلالة فى نصيحته لشعبه ؟ ادعاه موقف
الحكومة الفرنسية الى مقابلة الشدة بالشدة ، والعنف
بالعنف ، والرفض بالرفض ؟ لم يفعل من ذلك شيئا ،
انه يريد المسالمة والدفاع بالتي هى أحسن ، فيقول فى
خطابه الشريف (قد جعلنا مقصدنا الاكيد ، بعدما لبينا
الدعوة الجميلة ، التى وجهها لجنابنا الشريف ، فخامة

رئيس الجمهورية لزيارة فرنسا ، أن نعرض القضية على من لهم الحل والعقد من رجال الدولة الفرنسية ، ونسعى معهم فى الوصول الى الحل الذى يرضى الرغائب ويحقق المطامح ، ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية ، التى أجريناها بفرنسا ، أن نظفر بتقوية سلطتنا لغاية شخصية ، وانما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقبيها وتقدمها ، ولم يغب عنا لحظة واحدة ، أن أفضل حكم ينبغى أن تعيش فى ظله بلاد تتمتع بسيادتها ، وتمارس شؤونها بنفسها ، هو الحكم الديمقراطى ، الذى تقوم عليه الدول المعاصرة ، والذى يوافق مبادئ ديننا الحركريم ،

لقد عرضنا مطلبنا على من يهمهم الامر من رجال الدولة الفرنسية ، بالكتابة والقول ، وأضفينا عليه حلة الوضوح والبيان ، وذلك بأن رغبنا فى أن تبني علاقات المغرب بفرنسا على أسس جديدة ، وأن يقع الاتفاق بيننا على الغاية من تلك العلاقات ، وعلى أسباب الوصول اليها بمعونتها ، عرضنا هذا المطلب فى دائرة الود والصدقة ، ومازلنا نؤمل أنه سيظفر فى مستقبل الايام ، بالاذن الصاغية ، والقبول الجميل ، لاننا مقتنعون بأن الاساس الذى تركز عليه العلاقات السياسية بين الدول ، يجب أن يجرى على سنة الكون ، ويساير تطور الاحوال ، ويراعى تبديل الظروف ، ونحن عازمون بحول الله على مواصلة السعى وموالاتة الجهود .

أليس من الواجب على كل أحد ، أن يعترف لملك المغرب بجهوده الجميلة ، فى تلافى كل ما من شأنه أن يعكر الجو ، وأن يفسد الحطة السليمة فى صراحتها ،

الودية في قوتها ، والتي يأمل بواسطتها ، أن يقنع كل المنصفين من رجال الدولة الفرنسية ؟

النتيجة النهائية للرحلة

لقد ذهب صاحب الجلالة الى أبعد من هذا ، اذ حاول أن يجس نبض الاقامة العامة ، على أمل أن يجد لديها تغييرا في سياستها كنتيجة لرحلة فرنسا ، ولمذاكرة باريز ، فأشعر المقيم العام بواسطة المستشار ، أنه يود أن يعرف هل تلتق الاقامة تعليمات جديدة ، في شأن المذكرة المغربية ، المقدمة لرئيس الجمهورية الفرنسية ؟ فكان الجواب أن وصلت الى صاحب الجلالة رسالة من المقيم العام ، أعلن فيها أن الجانب الفرنسي مستعد للدخول في مفاوضات مع المخزن الشريف في النقط التي أشار اليها جواب الحكومة الفرنسية ، وهي الرقابة والحق النقابي واصلاح العديلية ، وتعميم التعليم ، وأن تعيين الاعضاء الفرنسيين للجان المختلطة قد تم ، وللسلطان أن يعين الاعضاء المغاربة ، الذين يمكنهم أن ينضموا الى زملائهم الفرنسيين ، تحت رئاسة شخصية فرنسية ، للشروع في المداولات .

ولكن المخزن لاحظ أن نقط الرسالة المقيمة جميعها قد كانت موضوع أخذ ورد بينه وبين الادارة ، وأن هذه على بينة من وجهة النظر المغربية ، ومن مقترحات اللجان المخزنية ، فما حاجتنا الى لجان مختلطة ، لا يمكنها أن تضيف جديدا الى ما قررته سابقاتها ؟ ان المخزن لا يرى هذه البدعة مفيدة في دراسة مشاريع تفصيلية بل يرى أن اللجان المختلطة لا يمكن أن تكون ذات فائدة الا في دراسة مشاريع جوهرية ، كادخال تعديل على معاهدة فاس ، اما اذا كانت الاقامة لا يمكنها أن تطرق مثل هذه المواضيع ، فان المخزن يفضل أن يبقى العمل

جاريا بما اعتادته ، من ارسال مشاريعها الى القصر بواسطة المستشار ، وهكذا طويت صفحة من تاريخ العلاقات المغربية الفرنسية ، صفحة كان من الممكن ان نحمل في سطورها عملا ايجابيا جليلا ، ونواة وفاق ووئام ، بين شعبين يقدر كل منهما الآخر وقيمه ، ولكنها الاغراض والاهواء والدسائس والخيانات ، تعمى الافراد ، فتضيع بينها مصالح الجماعات .

رجوع الجلاوى من فرنسا

هذا وبينما كانت فرنسا أو ممثلوها بالرباط ، يقطعون شيئا فشيئا الصلات ويحطمون الجسر الرابطة بينهم وبين صاحب السيادة الشرعية في هذه البلاد ، كانت بعض الاوساط الاستعمارية تواصل تمتين علاقاتها مع باشا مراکش الحاج التهامي الجلاوى ، مصفقة لموقفه ، وحاملة راية التنويه والتمجيد بأعماله ، فلقد بقى الجلاوى بفرنسا بعد رجوع صاحب الجلالة ، ما يقرب من شهر ، قام أثناءه بزيارة عدد من الشخصيات الفرنسية ، وشارك في كثير من الحفلات والاجتماعات ، وزينت عدد من المجالات صفحاتها الاولى بصوره ، فماذا ياترى يقصد بهذا كله ؟ ان من حق الافراد والجماعات أن تختار أصدقاءها بحسب ميولها وشهواتها ، ولكن اذا اتخذت هذه الصداقة المظاهر المثيرة ، ووسائل الاشهار وجلب الانظار ، صار من حق الناس أن يتساءلوا عما تخفيه هذه الصداقة وراءها ؟ وعما يريد الاستعماريون من هذه الحفاوة برجل له أهميته حقا ، ولكن لا يعدو أن يكون موظفا من موظفي المغرب وخادما من خدام العرش العلوى والجالس عليه ، فهل يدور بخلد بعض الافراد ، أن يخلقوا شيئا من لاشيء ،

فيجعلوا من باشا مراکش ، خصما للنهضة المغربية ،
ولقائدها الاعظم ، وزعيمها الموفق ، سلطان المغرب ،
سيدي محمد أيده الله ونصره .

كان الملاحظون يستبعدون ذلك ولكن الشك اخذ
يساورهم عندما شاهدوا اعوان الباشا بمراكش
يحثون الناس ، بل يرغمونهم على الخروج لتلقى الحاج
التهامي على بعد عشرات الكيلومترات من العاصمة
الجنوبية ، ولكن الجلاوي رجل ذو خبرة بالحالة في
المغرب ، مارس المخزن ، وعرف قوة نفوذه ، وكبير
تأثيره ، ولقد برهن في الماضي على انه يضع نفسه
في منزلتها ، اى في منزلة الخادم المطيع ، الذي يامل
الجزء على خدمته ، وهو يعلم ولاشك أن من العبث
الصبياني ، ان يحاول احد في المغرب ، مهما كان غناه
ومهما كانت التشجيعات والوعود التي يتلقاها يمينا
او يسارا ، الوقوف في وجه هذا التيار الفكري وهذه
العاطفة الجياشة ، وهذه الحيوية المتزايدة ، التي
غمرت قلوب المغاربة أجمعين بربرهم وعربهم ساكن
جبلهم وساكن سهلهم ، فكيف سمح لنفسه بالمشاركة
في لعبة يتيقن جازما انها خاسرة ؟

لقد تحدث الناس منذ زمن عن تلك الازمة العصيبة
التي صارت تعتريه منذ سقوط ابنه المهدي في
ساحة الوغى ، بالميدان الايطالي ، تحت قيادة
الجنرال جوان ، فهل ستكون هذه الازمات اثرت شيئا
ما في اعتدال مزاجه ؟ مهما يكن من امر ، فلقد اتضح
للجميع أن حادثا يهيا ، وأن الحاج التهامي الجلاوي ،
سيكون احد ابطاله ، وابت الحوادث الا أن تتوالى
بسرعة ، فقد تعاقبت الفرص الواحدة بعد الاخرى ،
لكشف القناع عن الخطة المدبرة ، اذ دخل شهر دجنبر

شهر اجتماع مجلس شورى الحكومة ، لدرس مشروع ميزانية سنة ١٩٥١ ونحن نعلم ان اعضاء حزب الاستقلال المشاركين فى المجلس كانوا قد انسحبوا احتجاجا على عدم مبالاة الادارة بمطالبهم ، وعلى عدم ادخال تغييرات ملموسة فى توزيع الاعتمادات على مختلف فصول الميزانية ، فهل سيستمرون على اضرابهم ام سيستأنفون الكرة عساهم يرجعون بنتيجة حسنة ؟ لقد فضلوا الحل الثانى ، فشاركوا فى اللجان التمهيدية للاجتماع العام ، وبالاخص فى اجتماع لجنة الميزانية ، ذلك الاجتماع الذى يعتبر صورة مصغرة لاجتماع آخر السنة ، ولقد اظهر فيه الاعضاء الوطنيون ، شيئا من التحفظ مكتفين بالتصريح بان رجوعهم الى المجلس لاينبغى أن يفسر كتنازل عن مطالبهم ، أو كاعتراف بجهود قامت بها الادارة ارضاء لرغباتهم ، بل رجعوا لانهم لا يريدون ان يتركوا المجال فارغا امام معارضيهم يستغلونه ، حسب شهواتهم ، ولكن بالرغم عن تبادل بعض الكلمات الانتقادية مر الجمع فى جملته هادئا مشبعا بروح المجاملة ، مما جعل الكاتب العام ، المسيو بارادوك ينوه بعدم تطرف اعضاء حزب الاستقلال ، متمنيا أن يسود نفس الجو فى الاجتماع العلنى العام ، الذى يترأسه المقيم ، ويحضره الصدر الاعظم ومندوبوه بمختلف الادارات ، وكان هؤلاء من جهتهم فى حيرة وارتباك ، فماذا سيكون موقفهم فى اجتماع المجلس ؟ هل سيلعبون دور الببغاء الذى يعيد أقوال سيده ؟ ام يلزمون الصمت ؟ اذ فى الصمت السلامة ، وهب ان احدا منهم اراد الكلام للتعبير عن افكاره ، فما هى الوسائل التى وضعت بين يديه ، للاستعداد قصد

أخذ نصيبه في المجادلات والمداولات ؟ نعم لقد كان المخزن طالب بالحاح في السنة الماضية ، بامداد كل مندوب بجميع الوثائق والمعلومات المتعلقة بادارته وبفسح المجال امامه للحضور في الاجتماعات التي تعقد داخل الادارة ومع ادارة المالية ، حتى يتمكن هذا الموظف المغربي من تمام الاطلاع على كل مراحل تهييء مشروع الميزانية ، فاذا ما تكلم في المجلس تكلم عن بينة وبصيرة ، ولكن هل وفقت الادارة بما وعدت به ؟

موقف المخزن

مجلس شورى الحكومة

لقد جمع صاحب الجلالة مخزنه الشريف ، للتحقق من ذلك ، فأخبر أنه باستثناء مندوبين اثنين ، ليس لدى اعضاء المخزن اية معلومات عن مشاريع ميزانيات الادارات التي يعملون فيها ، وانهم ليس بإمكانهم أن يتحملوا مسؤولية النقد او الدفاع عن هاته المشاريع التي هيأت في غيابهم ومن دون اخذ رأيهم نعم ان المدير الفرنسي يريد من المندوب المغربي أن يدافع امام اعضاء المجلس عن مشروع الادارة ، ولكن هذا المشروع مشروع المدير واعوانه وليس للمندوب فيه اى نصيب ، فلم يطالب هذا الاخير أن يعرض افكارا ليست هي افكاره ومقترحات قد لا يكون هو نفسه موافقا عليها ، وزيادة على هذا ان المدير رفض أن يقسم نفوذه مع المندوب ، فاحتفظ لنفسه بحق التمتع طيلة السنة بسلطة الامر والنهي والتقرير والتحويل فلماذا يريد عند المجادلة والمحاسبة ان يعرض المندوب لنسهم النقد ، وأن يضطر للجواب عن مسائل لا يد له فيها ، ان المنطق يحتم أن يبقى المندوب الى أن تحدد اختصاصاته ملازما الصمت تاركا القول للمدير ، غير

أن هذا الصمت لا يخلو من أضرار فهو أولا يظهر الموظف المغربي بمظهر العجز ، وثانيا قد يفسر هذا الصمت بالرضا ، لاسيما واجتماع المجلس لا يخلو من كلام يروج حول المشاريع الاصلاحية ، فتعذر الادارة عن عدم صدور الاصلاحات بالتأخر المزعوم الواقع فى دراستها والموافقة عليها من طرف المخزن

فهل سيتحمل اعضاء المخزن هذه الصفحة من دون الجهر بالحقيقة ووضع الامور فى نصابها ، ليس ذلك بممكن ، ولذا قررت الهيئة الوزارية ان على اعضائها المشاركين فى مجلس شورى الحكومة أن يلازموا الصمت فيما يتعلق بمشاريع الميزانية ، لعدم مشاركتهم فى تهيئتها ، وأن يردوا الامور الى نصابها كلما تعرض احد لموقف المخزن ، وعلى هذا الاساس انفض الجمع الوزارى .

خطاب المقيم والاشارة الى موقف الملك فى فرنسا

وحدد تاريخ اجتماع مجلس شورى الحكومة قسمه الفرنسى أولا ثم قسمه المغربى ثانيا
ومن المعلوم ان المقيم العام الذى يتراس القسمين معا يلقي فى الافتتاح خطابا يستعرض فيه منجزات سلطات الحماية فى غضون السنة ، وربما يعرج فى بعض فقرات على الحالة السياسية فى المغرب ، وكان الرأى العام ينتظر بتشوق هذا الخطاب ، اذ سيكون فى جزئه السياسى بمثابة جواب على خطاب العرش ، وفعلا كان كذلك ، فلقد وقف الجنرال جوان امام ممثلى الاقسام الثلاثة للجالية الفرنسية خطيبا على عادته ، فلم يكتف بالكلام على الفلاحة ومشاريع الرى والانتاج المعدنى والصناعى الى غير ذلك من المواضيع التى يطرقها كل سنة ، بل اهتم بموضوع الرحلة

الملكية الى الديار الفرنسية ، ففاه بكلمات فهم منها أن صاحب الجلالة فى نظر المقيم قد ادخل تغييرات على موقفه اثناء مقامه بباريز فيما يرجع لمعاهدة فاس والعلاقات الفرنسية المغربية ، اى انه كان فى الاول مقتنعا بضرورة الاحتفاظ بعقد الحماية ، ولم يقرر المطالبة بفسخه الا تحت تاثير عوامل خارجية وطبعا احتج صاحب الجلالة على هذا الادعاء الذى لا يستند الى شىء ، وكان احتجاجه قوى اللهجة ومصحوبا باشعار للمقيم ان السلطان سوف لا يسمح لمخزنه باجابة استدعاء المقيم للمشاركة فى القسم المغربى من مجلس شورى الحكومة ، اذا لم يقع تكذيب لهذا التغير المزعوم فى موقف السلطان ، وبعد اخذ ورد وقع الاتفاق على ان الجنرال جوان سيقوم هو بنفسه برد الحقيقة الى نصابها فى افتتاح القسم المغربى .

موقف نواب الجالية الفرنسية

وفى هذا الاثناء كانت جلسات القسم الفرنسى تتوالى ، ولوحظ أنها خلافا للسنوات الماضية خالية من كل جدال عنيف ، بل فى كثير من المشاريع اكتفى بسرد التقرير من دون الدخول فى درس تفاصيله او التعليق عليه ، وكان الاعضاء متفقين على وضع الثقة التامة فى رجال الادارة ، وبالاخص فى المقيم العام الذى يرون فيه رمز الحضور الفرنسى فى هذه البلاد ، وأحسن ضامن للمصالح الفرنسية فى المغرب

افتتاح دورة القسم المغربى

وهكذا خلت فيلا لوريش للاعضاء المغاربة الذين كانوا منهمكين فى تحضير قرارات كانوا يريدونها متقنة مزودة بمعلومات متينة ، ولذا طالبوا بتاخير

موعد الاجتماع ، غير أن مدير المالية الح في الاحتفاظ بالتاريخ المحدد ، اذ هو حريص على صدور ظهير الميزانية قبل افتتاح السنة ، واضطر المقررون المغاربة الى الاسراع ، وكانوا في الغالب يكتبون تقاريرهم بالعربية ويضعون منها نسخة بالقصر الملكي العامر ، ونسخة بالادارة المختصة بقصد الترجمة

وفى اليوم المعين ، تواردت على الرباط من كل اطراف المغرب وفود أعضاء المجلس ، وعند الافتتاح كانت قاعة الاجتماع غاصة بالشخصيات المغربية والفرنسية التي كانت تشعر بأهمية هذه الدورة في تاريخ مجلس شورى الحكومة

وجلس المقيم على كرسى الرياسة وجلس عن يمينه الصدر الاعظم الحاج محمد المقرى ، وعن يساره المعتمد المسيو دبلسون والكاتب العام المسيو باردوك وجلس فى الصف الثانى عن يمين ويسار مكتب الرئيس رؤساء الادارات ، وبجانب كل مدير مندوب الصدر الاعظم بالادارة ، وكانت الجهة اليمنى للقاعة مخصصة للباشوات فكنت ترى الحاج التهامى الجلاوى باشا مراكش والقائد العيادى وباشا فاس الحاج الفاطمى بن سليمان وباشا سطات مولاي العربى العلوى وباشا صفرو البكاى وغيرهم ، اما الجهة اليسرى فكان يحتل مقاعدها رؤساء النواحي ، ولوحظ من بينهم المسيو بونيفاس رئيس ناحية الدار البيضاء ومدير الداخلية سابقا والمسيو برونييل رئيس ناحية وجدة وغيرهما

أما أعضاء المجلس فقد جلسوا فى وسط القاعة : عن اليمين ممثلو الفلاحة وعلى رأسهم السيد عبد الله الزواوى والسيد محمد المرينسى ، وفى الوسط

نواب التجارة ويقودهم السادة اليزيدي والاغزاوي والعراقي ، وعلى اليسار ممثلو المصالح المختلفة ويمتاز من بينهم الاستاذ زروق والاسرائيليان بردوكو وابن دهان ، وكان مكاتبو الصحف يجلسون في مقاعد أعدت لهم ، وكان للصحافة الفرنسية والمغربية مراسلوها .

وعند ما أعلن المقيم العام بصفته رئيسا للمجلس افتتح الدورة لدراسة مشروع ميزانية (١٩٥١) ساد القاعة صمت عميق .

وكان كل واحد يشعر في أعماق قلبه بوجود كهربية في الجو ، ولكن لم يكن بالامكان أن يتنبأ بما سينتج عن اتصال العناصر المختلفة التي اجتمعت تحت سقف هاته القاعة الجميلة .

عناصر المجلس

فهنا في فيلا لريش جلس جنبا لجنب رجال الادارة الفرنسيون القابضون على زمام الامور في مختلف ميادين الحياة بالمغرب ، وأعضاء المخزن الراجيون في أخذ نصيبهم من تسيير الشؤون المغربية ، كما تقابل وجهها لوجه كبار الباشوات والقواد الذين يتمتعون بامتيازات جديرة بالقرون الوسطى ، وأعضاء حزب الاستقلال المطالبون بوضع نظام للمغرب يضمن للمغاربة حريتهم الفردية ، وحقوقهم الديمقراطية .

وفوق هذا وذاك كان خبر سوء التفاهم الواقع بين القصر السلطاني والاقامة العامة في شأن تعليق الجنرال جوان على رحلة الجلالة الشريفة ، كان هذا الخبر بلغ الى علم الاعضاء فزاد الجو حرارة وكهربية ، وبالجملة كان الجمع منذ بدايته مستوفيا لشروط

معركة حامية الوطيس ، ستترك وراءها ضحايا وأشلاء .

وافتح النضال الجنرال جوان باصدار أمره الى ترجمانه السيد جرموش بقراءة ترجمة الخطاب الذي ألقاه في القسم الفرنسي من مجلس شورى الحكومة ولم يكن صوت هذا الترجمان بالجمهورى الملائم للظروف ، فكان المقيم العام من حين لآخر يصرخ فى وجهه : ارفع صوتك . واستمر السيد جرموش فى قراءته الى النهاية .

وبما أن جل الاعضاء قد طالعوا منذ أيام فى الصحف نص الخطاب ، لم يعيروه كبير اهتمام ، ولكن عندما نهض المقيم العام معلنا بأن لديه كلمة يريد اضافتها الى نص الخطاب ، اتجهت الانظار كلها اليه مترقبة ماذا سيقول ، وفى كلمات متقطعة عبر الجنرال جوان عن أسفه للمعنى الذى فهم من بعض جمل خطابه ، وصرح أنه لم يقصد اشعار المستمعين بوقوع تغيير فى موقف صاحب الجلالة سلطان المغرب أثناء سفره الى فرنسا ، فكان هذا التصريح بمثابة انتصار للجانب المخزنى فى الشوط الاول من هذه المعركة . فهل سيكون هذا الانتصار حاسما أم ماهو من طرف القائد العام الا انسحاب ستراتيغى لتهيبه هجوم منظم قوى عند ما تحين الفرصة ؟

التقرير العام

وحانت الفرصة حينما انتهى السيد احمد اليزيدى من تلاوة تقريره العام الذى لخص فيه مختلف التقارير المقدمة ، ووجه انتقادا مرا للسياسة الاقتصادية والسياسة العامة المتبعة من طرف سلطات الحماية ، فلقد وقف المقيم العام محنقا غاضبا ، وفى جمل قوية

وجه تعنيفا شديدا للمقرر العام على روح تقريره الذي اعتبره مهينا لفرنسا ولاعمالها ، ونصح السيد احمد اليزيدي وأصدقاءه بأن لايعودوا لمثل هذه الوسيلة ، والا سيضطر المقيم لاخذ التدابير التي يراها ضرورية للمحافظة على شرف فرنسا ، وسجل الجانب المقيمي نقطة في صالحه .

وهكذا كانت السهام تتبادل بين الجانبين طيلة الجلسات التي طرقت فيها مسائل ذات أهمية كبرى بالنسبة للحالة السياسية والاقتصادية في المغرب .

هوية المجلس

ومن هذه المسائل تحديد هوية مجلس شوري الحكومة ، أهو مجلس استشاري للحكومة المغربية ، أم هو مجلس خاص بالمقيم . يرى المقرر العام أن هذا المجلس الذي لم يصدر في شأنه لاظهر شريف ولا قرار وزيرى ، لايمكن أن يعتبر مجلسا للحكومة ، وانما هو مجلس المقيم ، فيجيب هذا قائلا : لو كان الامر كما يزعم المقرر العام ، لما رأيتم دولة الصدر الاعظم الذى هو رئيس الحكومة وأصحاب السعادة المناديب الذين هم أعضاءها ، جالسين في طليعة هذا المجلس . ان المقيم يرفض أن يرى في هذا الاجتماع مجلسه الخاص ، ولكن يلاحظ على هذه النظرية أنها تتناقض مع نفسها ، فاذا كان رئيس الحكومة هو حقا دولة الصدر الاعظم ، فلم لايتأس بنفسه جلسات المجلس ويشرف على تسيير المداولات تاركا ذلك لوزير خارجية الدولة المغربية وممثل فرنسا ومقيمها العام . ثم بعد هذا بماذا نصف القسم الفرنسى من مجلس شورى الحكومة ، الذى لايحضر فيه صاحب الدولة ولا أصحاب السعادة ، ان صبغة المجلس

ليست تامة الوضوح ، غير أن هذا لم يحل بين الاعضاء وبين التعبير فيه عن نظريتهم ورغباتهم ، يدل على ذلك هذا التقرير العام الذي أثار كثيرا من التعاليق في الاوساط الفرنسية والمغربية على السواء ، فاذا كان بعض المغاربة المحافظين قد تخوفوا من نتائج هذه اللهجة القوية التي عمد اليها المقرر العام ، فان المغاربة في مجموعهم ، حمدوا للسيد احمد اليزيدي وضعه القضية بوضوح ، وتعبيره عن احساسات وأفكار لايجرؤ كل واحد على الجهر بها ، أليس من مصلحة الطرفين أن يكون كل واحد منهما على بينة مما يعتقدده الاخر ، ذلك ما كان يرجوه الجانب المغربي ، ولكن رجال الادارة لم يكونوا يرون هذا الرأي ، فلقد سمعنا جواب المقيم العام وتعنيفه ، ثم ان بعض المديرين راحوا يهاجمون هذا التقرير بوسائل مختلفة موهمين أن السيد احمد اليزيدي ليس هو محرره ، فمحرره في نظرهم هو تارة أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ، وتارة موظف فرنسي سابق ناقم على الادارة أراد أخذ الثار منها بهذه الطريقة ، ولكن أيا كان محرر التقرير ، فانه وضع جملة مسائل جوهرية فما نظر الادارة فيها ، ماذا يقول مثلا المسؤولون عن العدالة الشريفة بالمغرب ، وما رأيهم في ذلك العرض الذي قام به محاموا المغرب في سنة (١٩٤٧) والذي فاه فيه عميدهم بتصريحات هامة ، تصريحات ساق بعضها السيد احمد اليزيدي ، وطبعا أثار التعرض لهذه المسألة اهتمام الباشوات والقواد . وكان كاتب هذه السطور بصفته مندوبا للصدر الاعظم جالسا في أقصى يمين القاعة ، أي قرب الجهة المخصصة للباشوات ، فتمكن من ملاحظات انفعالاتهم للانتقادات

الموجهة لهم ، وكان أكثرهم تأثرا باشا مراکش الحاج التهامي الجلاوي ، الذي لم يمتنع من مقاطعة المقرر الا اجابة لاشارة المقيم العام الذي وعد بالجواب الشافي ، ولكن غضبه كاد ينفجر عند ما سمع المقرر العام يعيد جملة الاستاذ نيجل عميد المحامين: فالباشوات والقواد يتولون الاحكام لابصفتهم قضاة ، ولكن بصفتهم رؤساء ، وليسوا مستقلين ولو شيئا ما عن السلطة العليا ، وهذا شيء واقع يلزمنا أن نتذكره دائما ، وهم يتعمدون جهل تلك القوانين القليلة البسيطة التي تجعل حدا ما لسلطتهم القضائية ، لانهم يأبون الا أن تكون كلمتهم هي العليا ، كما أنهم لا يعصون للادارة أمرا .

ولم يكن جواب المقيم كفيلا بارضاء باشا مراکش فاذا كان الجنرال جوان قد انحنى باللائمة على المقرر الذي تجرأ في نظره على رؤساء البلاد التقليديين ، فانه اضطر الى الاعتراف بسوء نظام المحاكم المغربية ، وبالفوضى السائدة فيها ، وعدم وجود ضمانات كافية للمتقاضين .

ومع أن السيد احمد اليزيدي قد لفت نظر الباشوات والقواد الى أنه لم يزد على نقل كلام عميد المحامين ، وان انتقاده موجه الى النظام المعمول به لا الى الموظفين المغاربة ، فان حنق الحاج التهامي الجلاوي لم يضعف ، بل تجلى واضحا عند ما وقف الباشا يصفق بحماس للاسرائيلي بردوكو الذي انبرى للجواب على التقرير العام معلنا أنه لا يوافق فيه الا على صفحة واحدة من صفحاته ، وهي المتعلقة بمطالب لجنة الميزانية، وأنه يعتبر الباقي كله خروجاً عن الموضوع

وهكذا توالت الاصطدامات بين العناصر المختلفة المتركب منها هذا المجلس ، وكان الجدل تارة يكتسى حلة التعقل وقرع الحججة بالحجة ، وتارة يصطبغ بالعنف والشدة ، فبينما نرى براهين السيد محمد العراقي وملاحظاته الدقيقة ومعلوماته الواسعة ، تتقابل مع قوة عارضة المسيو لامي واستحضاره للشاذة والفاذة من مشروع الميزانية ، ومن مختلف النظريات المالية ، نشاهد حماس السيد احمد اليزيدي وقوة يقينه ترتطم ببرودة مدير الداخلية المسيو فالأ ، ومن الباعث حقا على كبير الامل أن تستمع الى مغاربة لم يكتسبوا خبرة الا من تجربتهم الخاصة ، يقفون في وجه فنيين اختصاصيين متخرجين من المدارس العليا ، ومتوفرة لديهم شروط الاطلاع ، فيجادلونهم مجادلة دقيقة لا تنتهي دائما بانتصار الادارة ، بل كثيرا ما كانت حجج النواب المغاربة تعلق على حجج الادارة ، فيضطر المدير الى الاستنجد بالمقيم العام الذي يتدخل بقوة وعنف حاملا على الاعضاء الذين لا يستمعون الى حجة ، ولا يقنهم دليل ، بل هم كما يقول المقيم ، يريدون كل شيء وفي الحين ، ولا يعترفون أبدا حتى بما هو واضح للعيان ، ولا تمكن المجادلة فيه .

النفقات الاقتصادية والنفقات الاجتماعية

ولكن النواب لم يكونوا يريدون كل شيء ، بل أهم ما كانوا يطلبونه ، هو جعل توازن بين النفقات ذات الصبغة الاقتصادية ، والنفقات ذات الصبغة الاجتماعية ، وهم يؤاخذون رجال الادارة بتفضيلهم للناحية الأولى على الثانية ، فاذا كانت الادارة قد أعدت برنامجا واسع النطاق للتجهيز الاقتصادي ، وجدت واجتهدت للتحصيل على الاموال الضرورية لتنفيذه ،

وجعلت له مراحل ، واتخذت الوسائل للوصول به الى غايته فى أقرب وقت ممكن ، فانها لم توجه الى المشاريع الاجتماعية جزءا ولو يسيرا من هذا الاهتمام فلم هذا الحيف؟ لأن المشاريع الاجتماعية يستفيد منها المغاربة أكثر من غيرهم؟ أم لأن رؤوس الاموال المنفقة فى المشاريع الاجتماعية لاتنتج أرباحا؟

يصرح رجال الادارة أن مصلحة المغاربة هي دائما نصب أعينهم ، واذا كانت عنايتهم كبيرة بالتجهيز الاقتصادي ، فلذلك أسباب ، منها أولا ، أنه من الصعب جعل حد واضح بين ما هو اقتصادى وما هو اجتماعى ، وثانيا ، أن للميدان الاقتصادي أثرا لاينكر على الميدان الاجتماعى ، فان المشاريع الاقتصادية الكبيرة تعين على استخدام اليد العاملة وعلى رفع مستوى حياتها ، وثالثا ، أن برنامج التجهيز الاقتصادي قد مول باعانة برنامج مرشال ، وهذا البرنامج لايسمح باستعمال أمواله فى ميادين غير اقتصادية .

برنامج مرشال

ولكن السيد محمد العراقى يرى غير هذا مصرحا بأن المغرب لو كان مشرفا بنفسه على الدفاع عن مصالحه ، لحصل على ما حصلت عليه انكلترا ، حيث أذن لها باستعمال اعتمادات مرشال حسب مصالحها غير أن المسيو لامى يذكر السيد العراقى أن الاعتمادات التى يتمتع بها المغرب من برنامج مرشال انما توصل اليها بفضل فرنسا ، التى قبلت أن تتخلى عن جزء من الاعتمادات المخصصة لها للاقطار التابعة لها ، حيث أن برنامج مرشال لايستفيد منه مبدئيا الا البلاد التى تضررت من الحرب ، ولكن اذا كان المغرب

ليس له نصيب فى برنامج مرشال ، فهل سيكون له حظ من النقطة الرابعة من تصريح ترومان ، الواعد بتقديم الاعانة للبلاد المحتاجة الى تشجيع للتطور الاجتماعى والاقتصادى . ذلك ما يريد أن يعرفه العراقى ، الذى يحرص حرصا كبيرا على تغيير اتجاه الادارة واقناعها بالحنو على المواضيع الاجتماعية ، وبالاخص على تطور التعليم وتعميمه .

التعليم

نعم ان ادارة المعارف ورئيسها المسيو طابو قد قدما لاعضا المجلس سفرا جميلا يفصل مجهوداتها فى سبيل مقاومة الجهل . ولكن اذا كان قسط من المغاربة يعترفون للمسيو طابو باخلاصه لوظيفه وسهره على القيام به احسن قيام ، فانهم يتألمون لضعف الوسائل الموضوعه تحت تصرفه لانجاز مهمته ، فما بمثل الاعتمادات المخصصة للتعليم ، يمكن للمغرب أن يقطع المراحل قطعاً ، نعم ان رجال الادارة يقولون أن التلاميذ فى المدارس العصرية يزيد كل سنة عددهم بعشرة الاف ، ولكن اذ اكتفينا بهذا السير فيجب علينا أن ننتظر أكثر من قرن كامل لتعليم أبناء المغرب أجمعين فهل هذا هو ما تؤمله ادارة المعارف ؟

ان المغاربة يطالبون بصرف مجهود خاص حقيقى لتعميم التعليم ، وهم مستعدون للمساهمة فيه ، ولو بدفع ضرائب جديدة ، ان مشكل التعليم فى المغرب لا يحل بالاسفار الجميلة ، ولا بالدعاية المبالغ فيها ، ان النواب ليسوا موافقين على ذلك التصريح الذى فاه به ممثل فرنسا فى الامم المتحدة ، والذى يزعم أن ٢٠ ٪ من الميزانية المغربية قد خصص للتعليم ، فهذه النسبة مبالغ فيها ، والنسبة الحقيقية نفسها

لايخصص منها الا جزء للمغاربة ، والباقي يصرف لتعليم أبناء الجاليات الاوربية التي طبعا تستفيد من نظام التعليم الاجبارى ، ولهذا يلح المغاربة على الادارة أن تجعل نصب عينيها هدفين : أولهما تخصيص أكبر نسبة ممكنة من الميزانية للتعليم ، وثانية عدم نسيان أن المغرب بلاد عربية اسلامية ، وأن لغة التعليم الطبيعية هي العربية ، اذ تعليم العربية ناقص جدا فى مدارس الحكومة ، كما يقول المقرر العام السيد احمد اليزيدى ، ولكن المقيم العام يحتج على هذه التهمة الموجهة للمدارس الحكومية ، ويسائل المقرر : وأين تعلمت العربية ؟ أليس فى هذه المدارس التى تنتقدها اليوم ، فيجيب المقرر بأنه ليس براض عن معلوماته العربية ، واذا كان بعض المتخرجين من هذه المدارس ، قد برز فى اللغتين كالمقرر العام السابق السيد محمد الزغارى ، فما ذلك الا بفضل مجهودات شخصية ، لم يتمكن السيد احمد اليزيدى من القيام بها ، لانه كان منخرطا فى الجيش الفرنسى .

المدارس الحرة واعانتها

ان العربية قد أصبح ملاذها الوحيد فى تلك المدارس الحرة التى أحاطها صاحب الجلالة سلطان المغرب أيده الله برعاية خاصة ، وكان من حق مديري هاته المدارس وأساتذتها أن يجدوا لدى ادارة التعليم تشجيعا واعانة ، حيث أنها تساهم فى انجاز المهمة التى أخذتها هذه الادارة على عاتقها ، نعم لقد تمكن مندوب المعارف الاستاذ عبد السلام الفاسى من التحصيل على نتيجة سارة هى تخصيص مبلغ (٥٠) مليوناً اعانة للمدارس الحرة ، غير أن الادارة تأبى أن تمكن مندوبية المعارف من هذا المبلغ الا اذا سمح

لها بالاشراف الادارى والمالى والفنى على سير المدارس الحرة كما تريد أن يكون توزيع الاعتمادات بحسب نظرها وهذا ما يأباه المسؤولون عن هذه المدارس الحريصون على الاحتفاظ لها باستقلالها ، اذ بذلك وحده يمكن الدفاع عن مركز اللغة العربية فى التعليم بهذه البلاد .

ولو أن ادارة التعليم لم تقع فى غلط فاحش عند وضع الاسس ، لكانت حالة التعليم غير ما هى عليه اليوم . لقد كان بالمغرب عند توقيع معاهدة الحماية عدد من المدارس فى مختلف المدن والبوادى ، فهل اعتبرت الحماية هاته المدارس نواة لتعميم الثقافة بالمغرب باستغلالها لما هو موجود وادخال التعديل والاصلاح عليه .

لم تفعل من ذلك شيئاً ، بل اهملت هذا التراث الذى لم يكن يخلو من قيمة مفضلة تاسيس تعليم جديد فرنسى اللغة فرنسى البرامج فرنسى الروح . نعم لم يقبل المغاربة فى بادىء الامر على هذا التعليم الاجنبى ، وذلك ما يؤاخذنا به المسؤولون من رجال الحماية ، ولكن أليس هذا التحفظ ، وهذا الابتعاد ، رد فعل طبيعى من طرف أمة متشبثة بلغتها وبتاريخها وبطرق تعليمها ؟ أجل تكون المؤاخذة فى محلها ، لو أن الشبان المغاربة رفضوا الاستفادة من الاصلاحات المدخلة على مدارسهم الوطنية ، لكن مهما يكن من أمر ، فانه ليس فى الامكان رفع الواقع ، وانما المهم الان ، أن يتوفر لدى الجيل الحاضر ، والاجيال التى تليه الوسائل الكافية للكرع من جياض المعارف . فهل ستعمل الادارة على تحقيق هذه الرغبة ؟ انها تعد خيرا

وسيرى الناس عند دراسة الميزانية المقبلة النسبة المخصصة لتعليم أبناء المغاربة .

الفلاحة

وإذا كانت سلطة الحماية مضطرة كما تقول الى ترتيب الحاجيات بحسب أهميتها ، اذ ترى مثلاً أن تموين المغاربة بما يحتاجون اليه من مواد غذائية ، وتحسين الانتاج الفلاحي يجب أن يقدم على بناء المدارس والكليات ، فما هي جهودها يا ترى في هذا الميدان ، ان مدير الفلاحة المسيو سولمانيون ، يذكر بالعطف والحنان اللذين وجدتهما المغرب لدى فرنسا عام (١٩٤٥) عام المجاعة ، حيث تنازلت حكومة باريز عن جزء من ذهبها ، استعمل في شراء القمح الضروري لتموين المغاربة ، ولكن هذا اذا كان يستوجب شكر فرنسا على انسانيتهما ، فانه لا يدل على أن جهودا جبارة قد صرفت في الميدان الفلاحي ، بل ربما يكون على العكس من ذلك حجة على أن المغرب بعد أربعين سنة من الحماية ، لازال معرضاً لآخطار المجاعات . وزيادة على هذا ، فاذا كانت فرنسا كما قال السيد محمد المرينسي ، تجود على المغرب بذهبها ، فان المغرب لم يبخل بدم أبنائه للدفاع عنها .

نعم ان الادارة قد حاولت تحسين وسائل استغلال الارض ، بتنظيم دعاية ، وعرض أمثلة ، وتقديم نصيحة للفلاحة المغاربة ، ولكن هذا لم يكتس السعة والاهمية الجديرتين به ، فالجهود ضئيلة وبطيئة لا تؤتي أكلها ، ان لم تقو وتعمم ، الا بعد الاحقاب الطويلة ، ومما يزيد في الصعوبة أن هاته المحاولة الاصلاحية ، كانت مصحوبة بنزع ملكيات أراض

خصبة ، طرد منها أربابها ، ووضعت تحت تصرف المؤسسات العامة المكلفة بالسهر على نجاح المشروع .
اننا نعتزف أن الاكراه ضرورى فى بعض الحالات للوصول الى الغاية المتوخاة ، ولكن بشرط أن تكون هذه الغاية واضحة جلية وعاجلة ، حتى لا تتسرب الريب الى النفوس ، وتنفر القلوب من المشروع ، فيبوء بالفشل والخيبة ، وهذا ما نخشاه على مشروع التجديد الفلاحى الذى وضعت فيه آمال عظيمة ، لتحسين حالة الفلاح المغربى الجدير بكل رعاية واهتمام ، أليس هو المصدر الاساسى لمداخيل الميزانية العامة ؟ ان الترتيب المقروض على الانتاج الفلاحى وعلى الماشية يثقل كاهل الفلاح المغربى ، لاسيما وقد احتفظ فى جبايته بذلك الاسلوب العتيق المخالف لكل منطق وانصاف ، والذى يجعل أجر القائد المشرف على هذه الجباية ، بنسبة محصول الترتيب ، يزيد بازدياده ، وينقص بنقصانه ، ومن الطبيعى أن تحدو هذه الطريقة بالقواد الى المبالغة فى تقدير المحصول ، لتنمية أجورهم . واذا كان أعضاء المجلس قد طالبوا فى الدورات السابقة باعادة النظر فى نظام الترتيب فان الادارة لم تتجرأ على ادخال تعديل مهم فيه ، لانها تتشبث بالمحافظة عليه ، محتجة بأنها لم تخلقه ، وانما وجدته معمولا به ، وقد اكتسب من أقدميته استسلام الفلاحين له ، واعتباره نظاما طبيعيا ، ولكنها أمام الهجمات العنيفة المتوالية ، اضطرت الى عمل شئ ، فأعلنت عدولها عن الزام الفلاحين بأداء أجور المشرفين على جباية الترتيب ، غير أنها احتفظت فى تقدير الاجور بقاعدة النسبية مما جعل عملها عديم الجدوى .

ولقد وقف المجلس بأجمعه يتزعمه السيد محمد المرينسى والسيد عبد الله الزواوى ، ضد المظالم التى تتسبب فيها جباية الترتيب ، ملحا فى ايجاد وسيلة عادلة لقبض هذه الضريبة ، وفى توزيع الضرائب على العموم ، فمن الملاحظ أن الادارة كلما اضطرتها الظروف الى البحث عن مصادر جديدة للايرادات ، لاتتجه الا الى العنصر المغربى الذى يؤدى الاغلبية الساحقة من الضرائب ، مع أن المصاريف المخصصة لانسبة بينها وبين مساهمة المداخيل ، فهل من العدل أن ينفق المغربى من جيبه على الاجنبى النازل ببلاده ؟ وهل من حسن السياسة أن تعتمد الادارة دائما الى تلك الضرائب الغير المباشرة التى تتحملها الطبقات الفقيرة من الشعب عوضا عن أن تبحث عن الاموال حيث توجد كما يقولون أى عند الطبقات الغنية ؟

الضرائب

تجيب الادارة عن هذا السؤال بتقديم احصائيات ورسمها بيانيا يبرهنان فى نظرها على أن الاجانب الساكنين بالمغرب ، والذين هم أقلية ، يؤدون من الضرائب مبلغا مساويا للمبلغ الذى تؤديه الاكثرية المغربية ، ولكن ملاحظة قدمها السيد محمد العراقى قد كشفت عن غلط وقع فى أسس هذه الاحصائيات . فلقد جعلت الادارة جميع الضرائب التى تؤديها الشركات فى المغرب ، كما جعلت المبالغ التى يدفعها مكتب الفوسفاط كلها فى جدول ضرائب الاجانب ، مع أن المنطق يحتم أن تجعل فى جدول ضرائب المغاربة وهاته الملاحظة جعلت احصائيات المسيو لامي لاتدل

على شيء . أما الضرائب الغير مباشرة ، فانها فى نظر الادارة بسبب توزيعها على جميع المستهلكين تكون وطأتها أخف .

ولكن النواب يجيبون بأنهم قد يكونون متفقين مع الادارة فى نظرها ، غير أنهم يودون أن لاتتجه هذه الضرائب الى المواد التى يستهلكها المغربى أكثر من غيره ، كالسكر مثلا ، بل تشمل كذلك المواد التى يستهلكها الاجنبى ، كالخمور والجمعة بنفس الاهمية . أما الزام العنصر المغربى دائما بالاداء فذلك ما لاترضاه العدالة .

وهكذا فى جو تزداد حرارته فى كل جلسة ، طفق الاعضاء يستعرضون المسائل المغربية ، والمشاريع المقدمة ، مشروعا مشروعا ، يناقشون فصوله مناقشة دقيقة ، ويبدون نظرياتهم فيما ينبغى السير عليه ، ولقد وزعت المشاريع بكيفية تجعل الاعضاء يبحثون مشروعا اقتصاديا ، ثم مشروعا اجتماعيا ، يتلوه مشروع اقتصادى ثان ، وهكذا ، ولكن لوحظ أن التقرير الذى هياه السيد محمد الاغزاوى حول مشروع ميزانية الاشغال العمومية ، قد أجلت دراسته مرتين ، فلم ياترى هذا التأخير ؟

أهناك سوء تفاهم واقع بين المقرر وبين الادارة ؟ أم ما هى الا اعتبارات عملية اقتضت هذا التأجيل ؟ ذلك ما كان يتساءل عنه الاعضاء من دون أن يتوصلوا الى جوابه .

تدخل المخزن

وفى انتظار حل اللغز ، تابع الاعضاء مناقشاتهم للمشاريع الاخرى ، ولكن حادثا جديدا أثار اهتمام الجميع ، فقد لوحظ تدخل عنصر من عناصر المجلس

فى ميدان المعمعة ، فقد لازم الصمت لحد الان جميع أعضاء المخزن ، فلم يتخذوا موقفا لابجانب الادارة ، ولا بجانب النواب ، ذلك ولاشك طبقا للخطة المرسومة فى المجلس الوزارى التمهيدى ، ولكن هذه الخطة كانت تنص على أن من واجب أعضاء الهيئة أن يردوا الامور الى نصابها كلما وجهت اتهامات الى المخزن ، أو حاول أحد جعل المسؤولية عليه فى تأخير الاصلاحات . ولقد كانت مناقشة مشروع ميزانية ادارة الشغل والشؤون الاجتماعية سببا فى نزول أعضاء المخزن للميدان ، وكما كان منتظرا فلقد أثرت فى دراسة هذه الميزانية مسألة الحق النقابى للمغاربة ، وانبرى النواب يطلبون ملحين فى طلبهم ، صدور ظهير شريف يعترف للعملة المغربية بحق التجمع فى نقابات مغربية تدافع عن مصالحهم المهنية ، وعن مستوى عيشهم ، وراحوا يوجهون اللوم العنيف للمسؤولين من رجال الادارة الذين لم يمكنوا العامل من حقه الطبيعى هذا ، تاركين فى زاوية الاهمال كل المشاريع التى لاتهم الا المغاربة ، موجهين عنايتهم الكبرى الى المشاريع المفيدة للجاليات الاجنبية .

وهنا تدخل المقيم بقوة محتجا ومصرحا بأنه اذا تأخر صدور ظهير النقابات أوغيره من الظواهر المهمة ، فان مسؤولية ذلك يجب أن لاتجعل على عاتق الادارة التى قامت بواجبها أحسن قيام بل المسؤولون ينبغى البحث عنهم فى بنائق المخزن الشريف .

ان المقيم العام كما يقول ، قد قدم منذ تعيينه بمنصبه بالرباط عدة مشاريع اصلاحية ، منها المتعلق بالعدلية الشريفة ، ومنها المتعلق بالفلاحة ، ومنها هذا الظهير الراجع الى الحق النقابى ، ولم

تصادف اقتراحاته من طرف المخزن الا الاهمال والتقاعس .

فاذا أراد النواب كما يقول المقيم ، أن تصدر هذه الظهائر ، فما عليهم الا أن يذهبوا الى البنائق يوقظون الكتاب من نومهم ، ويهزونهم هزا عساهم يقومون بواجبهم .

كانت الضربة قاسية بالنسبة الى المخزن ، وكانت التهمة خطيرة ، فهل سيتحملها الوزراء والمناذير صامتين ، يستحيل ذلك ، فلقد وقف مندوب الشؤون الاجتماعية السيد عبد اللطيف التازي مصرحا بأن جلالة السلطان قد عرض اقتراحا منذ سنتين في شأن تاسيس نظام للنقابة المغربية ، ولكنه لم يحظ بالجواب وبعده بقليل سنحت فرصة للمستشار القانوني السيد محمد الناصري ، فعضد موقف زميله باظهار الحقيقة فيما يرجع لسبب تأخير صدور الاصلاحات العدلية ، وفوجئت الادارة مفاجأة غير سارة بهذا الموقف من طرف رجال المخزن ، الذين كانت تؤملهم عونا لها لرد هجمات النواب .

ان الحالة في المجلس تتطور بكيفية لاتدعو الادارة الى الارتياح ، فماذا ستفعل لايقاف هذا السيل ؟ انها ولاشك تبحث عن وسيلة تسترجع بها هيبتها في النفوس ، وبينما كانت تفكر في التدبير الذي ينبغي اتخاذه ، كان المجلس يتابع مناقشاته ، فبعد ميزانية ادارة الشؤون الاجتماعية ، انتقل الى الانتاج الصناعي والمعادن ، وبما أن كاتب هذه السطور ، كان حينذاك مندوبا للصدر الاعظم بالانتاج الصناعي والمعادن ، فقد ارتأى أن يفتح هو المذاكرة حول مشروع ميزانية الادارة بتقديم بيان عن موقف المخزن ، وعن مجهوداته

فى هذا الميدان ، حتى لايبقى مجال لتوجيه اتهامات لامبرر لها ، وكاتب هذه السطور يستأذن القارىء فى سرد هذا البيان مؤملا أن يجد فيه القراء فكرة عن حقيقة الامر ، فاليه نصه : (ليس فى نيتى أن أدافع أو أعلق على مشروع ميزانية ادارة الانتاج الصناعى والمعادن ، فتلك مهمة المدير أتركها له ، وانما أتناول الكلام لاشكر السيد عباس القباج مقرر هذه الميزانية على بعض الملاحظات التى أبداها فى نهاية تقريره ، هذه الملاحظات تتعلق بنقطتين ، الاولى مستوى حياة العامل الصناعى والعامل فى المناجم ، الثانية مشروع ظهير نظام المعادن .

وفى كل من هاتين النقطتين يسرنى أن أحدد بوضوح موقف المخزن الشريف الذى يهتم كثيرا بهذه المسائل النقطة الاولى ، ان أعضاء المجلس يذكرون ولاشك تلك الفقرة من الخطاب الذى فاه به صاحب الجلالة الشريفة سلطان المغرب سيدى محمد أيدى الله بمناسبة عيد العرش السعيد ، ففى هذه الفقرة عبر أيدى الله عن العطف الذى يوليه هذه الطبقة من رعاياه طبقة العملة الفلاحين والصناعيين ، وجلالته مصمم العزم على رفع مستوى حياتهم فى أقرب وقت ممكن ، ومن جهة أخرى فان المخزن الشريف كان قدم تقريرا متعلقا بحالة العامل المغربى فى المناجم ألح فيه على ضرورة الاهتمام به ، وتهيئ وسائل العيش والوقاية الصحية ، والتدريب الفنى له ولابنائه . ان من حق العامل المغربى أن يعيش ، ومن حقه أن يكون آمنا على نفسه ، ومن حقه أن يتقاضى أجرا مساويا لما يتقاضاه غيره ، عملا بمبدأ اذا تساوت القيم يجب أن تتساوى الاجور . ومن حقه كذلك أن يرى جزءا من

الارباح يخص لرفع مستوى حياته ، وبالجملة فمن حق العامل المغربي أن يتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها العامل في العالم العصري .

النقطة الثانية من ملاحظات المقرر تتعلق بمشروع تنظيم المعادن ، ان هذا المشروع كان موضوع دراسة دقيقة من طرف المخزن الشريف دراسة شارك فيها صاحب الجلالة أعزه الله مشاركة لمس الكولونيل بومري أثرها الفعال ، ولقد انعقدت اجتماعات متوالية ضمت ممثلين للمخزن الشريف وفنيين من ادارة الانتاج الصناعي ، تمكنوا اثرها من الوصول الى اتفاق كامل ، الا فيما يخص مسألتين لازال البحث جاريا في بعض تفاصيلهما ، الاولى تتعلق بمشاركة مندوب الصدر الاعظم في منح رخص البحث وتوقيعها وستكون هذه المسألة موضوع مذاكرة بين صاحب الجلالة أيده الله وسعادة المقيم العام ، ونحن ننتظر نتيجة هذه المذاكرة . المسألة الثانية تتعلق بالضرائب المفروضة على الارباح ، وأهمها ضريبة ٥ ٪ المفروضة على الصادرات من الانتاج المعدني ، وأرى من الضروري أن أوضح نظر المخزن في هذه المسألة :

ان مما لا جدال فيه أن مصلحة المغرب هي في تنمية انتاجه المعدني وتقويته ، فكل الجهود يجب أن تتضافر للوصول بالصناعة المغربية الى ازدهار كامل ، وصاحب الجلالة أيده الله لا يألوا جهدا في تشجيع التنقيب المعدني بمملكته ، نعم ان هذا يقتضى اجرا عادلا لرؤوس الاموال المستعملة ، غير أنه ابتداء من الوقت الذي يشرع في الاستغلال ويدير المنجم على صاحبه الربح ، فمن العدل أن يكون للدولة الشريفة حظها في الارباح ، ومن العدل أيضا أن يكون هذا الحظ متناسبا

مع الارباح المحققة ، يزيد بازديادها ، فليس في عزمنا أن نبقي مكتوفي الايدي أمام ثروات ضخمة تتكون في المغرب من دون أن تستفيد الدولة الشريفة منها ، فخدمة المغرب والدفاع عن مصالح الدولة الشريفة حسب توجيهات صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف هما هدفنا الاوحد ، ولاهدف لنا سواهما .

أما فيما يتعلق بمساهمة المغاربة في استغلال خيرات بلادهم ، فإن ممثل المخزن سيتمكن بحضوره في المجالس الادارية للشركات التي تساهم فيها الدولة المغربية الشريفة ، من متابعة الحركة المعدنية بالمغرب عن كثب ، نعم ان هذا لا يهيم الا الناحية الادارية ، ولكن أحسن أمانينا هو أن نرى رؤوس أموال مغربية ، وفنيين مغاربة ، يقبضون على زمام الامر في استغلال خيرات مغربنا العزيز .

وما أن انتهى كاتب السطور من تلاوة بيانه حتى ارتجت القاعة بالتصفيق الحاد المتواصل الموجه لصاحب الجلالة ولاعماله في سبيل صيانة المصالح المغربية ، والدفاع عن مستقبل رعيته ، غير أن اقتبال الادارة لترجمة التصريح بالفرنسية ، لم يكن بنفس الحماس ولا بنفس التحبير .

فاذا كان المجلس على لسان مقرره العام ، السيد احمد اليزيدي والاستاذ احمد زروق قد أعلن ثقته التامة وموافقته الكاملة على نظرية المخزن فالكولونيل بوميرى مدير ادارة الانتاج الصناعي والمعادن ، قد عبر عن بعض تحفظات ترجع الى الحقوق التي يمكن أن تمنح للعامل المغربي في درجة تطوره الحاضرة ، والى مدلول الضمان الاجتماعي الذي يطالب به العملة ، أما

فيما عدا ذلك فلقد صرح أنه على وفاق تام مع النظرية المخزنية .

وحيث أن الادارة قد اعترفت للمخزن بمجهوده ، وأحلت نظريته المحل اللائق بها ، فلم تطل المجادلة ، وانتقل الى ميزانية البريد ، وهنا أيضا لم يكتف مندوب الصدر الاعظم السيد جعفر الناصري بالدفاع ، بل ذكر بالانتقادات الموجهة من طرف المخزن في شأن عدم تعطيل الادارة بمناسبة الاعياد الاسلامية ، وفي شأن برنامج الاذاعة (براديو المغرب) .

وهكذا رنت في جوانب القاعة أصوات جديدة كان يظن أنها سكنت نهائيا ، فماذا ستكون نتيجة هذا التغيير في تنبؤات المنظمين لجلسات مجلس شورى الحكومة ؟

لقد درس عدد كبير من المشاريع ، ولم يبق منها الا القليل ، غير أن من بين الباقي تقريرين هما تقرير عن التجارة ، وتقرير عن الاشغال العمومية ، يقدم الاول السيد محمد العراقي ، والثاني السيد محمد الاغزاوي وهما الخصمان العتيدان لنظرية الادارة ولخطتها ، فهل ستقبل هذه الدخول الى المعركة لقرع الحجة بالحجة ولاعطاء البيانات الكافية ، وللدفاع عن مشروعها ؟ أم سيدفعها موقف المخزن الى تلافى المعركة بأية وسيلة كانت ؟

لقد لوحظ في جلسة سابقة عند مناقشة مشروع ميزانية الداخلية ، أن مديرها قد رفض التنازل الى تبادل السهام مع النواب المغاربة ، فاشترط أن تقدم له دفعة واحدة جميع الاسئلة التي يود الاعضاء المغاربة القاءها ، حتى يتمكن هو من الجواب دفعة واحدة كذلك ، فلايبقى مجال للمناقشة والاخذ والرد

ولقد نجحت الخطة شيئاً ما ، ولكن مدير التجارة المسيو فيليسي اضطر الى نزال مقرر ادارته السيد محمد العراقي وكانت محاوره انقلبت مجادله ، ثم صارت نضالا عنيفا بين المدير الفرنسي الذي يريد أن يبرهن على أن ادارته لاتخضع في عملها الا الى اعتبار واحد ، هو مصلحة المغرب ، وبين النائب المغربي الذي يريد أن يبين أن الادارة تضحى بمصلحة المغرب ولا تعتبر الاقتصاد المغربي الا كمكمل للاقتصاد الفرنسي .

وارتفعت الاصوات ، واحتفظ الطرفان بموقفهما ، وتكهرب الجو ، وزاد في حرارته تدخل المقيم بقوة ضد السيد العراقي ، حاملا عليه حملة شعواء ، حملة اعتبرها المقرر اهانة وسباً له ، ولكنه احتفظ بهدوئه مصرحاً مع زميله السيد محمد الاغزاوي ، أنه اذا كان المقيم يريد أن يدفعهما الى الانسحاب ، فانهما ليسا بفاعلين ، وسيبقيان بالمجلس الى النهاية للدفاع عن مصالح منوبيهما .

تقرير الاشغال العمومية

اذن لم يبق مفر من دراسة مشروع ميزانية الاشغال العمومية ، وفي تلاوة تقرير السيد محمد الاغزاوي ، تقابل هذا وجها لوجه مع مدير الاشغال العمومية المسيو جيرار ، وكان أعضاء المجلس الذين تابعوا دوراته السابقة ، يعلمون ما يحمل هذا التقابل بين طياته من جدال عنيف ، وتصريحات قوية ، وتلويحات خطيرة ، وتعرض لمسؤوليات شخصية ، واذا كان المسيو جيرار بذكائه الممتاز ، وسرعة أجوبته ، وسعة اطلاعه ، قد احتل الصف الاول بين رجال الادارة ، فان السيد محمد الاغزاوي باقدامه

وصراحته ووطنيته واخلاصه ووفرة اتصالاته ، قد اكتسب اطلاقا على سير المشاريع الاقتصادية ، جعله مدركا لدخائل الامور ، ولما يجرى من وراء الستار . ولهذا لم تكن نتيجة الاصطدام محققة الاتجاه ، فهل ستغامر الادارة بالمشاركة في نضال ليست متيقنة بالنجاح فيه ؟ أم ستعتمد الى استعمال العنف عوضا عن المنطق ؟ لقد راجت بين الاعضاء بالمجلس اشاعة مؤداها : أن الاقامة تتفاوض مع السيد محمد الاغزاوي لتقنعه بأحد أمرين ، اما بحذف فقرات من تقريره يعتبرها المقيم ماسة بكرامة فرنسا ، واما بسحب تقريره نهائيا ، ويظهر أن المقرر قد قبل حذف الفقرات ، غير أن جريدة فرنسية تصدر بالمساء ، نشرت هذه الفقرات المراد حذفها ، اذن صار الجميع أمام الامر الواقع .

ورفعت الجلسة بقصد الاستراحة والاستعداد لدراسة ميزانية الاشغال العمومية ، ولكن عندما استؤنفت الجلسة وقعت المفاجأة العظيمة التي لم تكن تخطر ببال أحد من الاعضاء المغاربة ، اذ لم يكده يستوى النواب في مقاعدتهم ، حتى تصدى المقيم العام للكلام موجه الخطاب الى السيد محمد الاغزاوي .

طرد السيد محمد الاغزاوي

ان الجنرال جوان الساهر على كرامة فرنسا وعلى حقوقها في هذه البلاد ، قد أندر في ابتداء الدورة بعد تلاوة التقرير العام كل الاعضاء ، ونصحهم بتلافي الاسلوب الذي سلكه السيد احمد اليزيدي في تقريره ، حتى لا يضطر الى اتخاذ الوسائل التي يراها ضرورية ، ولكن ها هو السيد محمد الاغزاوي ، بالرغم عن هذه النصيحة ، يقدم تقريرا مشبعا

بنفس الروح المشبع بها التقرير العام ، ان ممثل فرنسا لا يمكنه أن يسكت عن هذا ، ولذا فقد اتخذ قرارا قاضيا بطرد السيد محمد الاغزاوي من المجلس ونزلت كلمات المقيم كالصاعقة ، ان هذا التدبير ذو خطورة كبرى بالنسبة لحياة المجلس ، وللتعاون بين الادارة وبين النواب المغاربة ، وكان من الواضح أن الاعضاء لم يكونوا ينتظرون هذا التدبير الحاسم اذ كانوا يعتقدون أن صفتهم الانتخابية ، ونيابتهم عن طبقة من الامة المغربية ، تخولهم ضمانة كافية تقيهم من التعرض لمثل هذا الرفت .

فهل ستكون تلك الانتخابات انما هي مجرد عمليات جوفاء لا تعيرها السلطة أدنى قيمة ؟ ان مهمة النواب كما فهموها هي الدفاع عن مصالح منوبيهم ، وانتقاد الحطة الادارية بحسب اعتقادهم ، فهم خصوم الادارة ومحاسبوها ، فكيف تجعل السلطة من نفسها خصمهم وحكمهم في آن واحد ؟ ان من السهل على أى حاكم أن يسير دواليب الحكم اذا كان يملك حق رفت منتقديه حين يرى ذلك مفيدا لحطته ، أما سب فرنسا واهانتها فذلك ما لم يخطر أبدا ببال مقرر ميزانية الاشغال العمومية المغربية .

وحاول السيد محمد الاغزاوي تناول الكلام للدفاع عن نفسه ، وللتعليق على الروح التي حرر بها تقريره ، ولكن المقيم العام منعه من الكلام صارخا في وجهه : (أخرج انسى أمرك أن تخرج ، اذ لم يبق لك مجال في هذا المجلس ، ان كل شيء له حد ، ولقد تجاوزتم كل الحدود)

وهنا تدخل المقرر العام طالبا رفع الجلسة بقصد التشاور في الموقف ، ولكن الجنرال جوان رفض ايقاف الاجتماع قائلا :

افعلوا ما شئتم ، ان أعمال المجلس ستتابع ، وفهم الاعضاء أن المقيم العام مصمم العزم على اخراج السيد الاغزاوى من المجلس مهما كلفه الامر ، فجمع هذا أوراقه ، وفي وسط صمت رهيب ، خرق صفوف النواب تاركا وراء ظهره فيلا لريش ، التي طالما رددت جدرانها صوت دفاعه عن مصالح منوبيه .

ولكن ما كاد السيد محمد الاغزاوى يصل الى الباب حتى تبعه السيد احمد اليزيدى ، والسيد محمد العراقي ، وأغلبية ممثلى الغرف التجارية المغربية ، وهكذا حفرت هوة سحيقة بين سلطات الحماية وبين نخبة من المغاربة قبلوا أن يقوموا بتجربة عويصة ، تجربة التعاون مع رجال الادارة على أساس النقد الصريح ، والنصيحة الصادقة .

لقد خرج الاغزاوى وأصدقائه من مجلس شورى الحكومة ، فما معنى هذا ؟ تتزاحم التساؤلات في فكر الناظر في هذا المشكل . وقبل كل شئ يتساءل هل من حق المقيم أن يطرد عضوا من مجلس شورى الحكومة ، لقد صرح هو نفسه في بداية هذا الجمع ، أن المجلس هو مجلس الحكومة ، وليس بمجلس المقيم ، وأن لا حكومة الا الحكومة التي يترأسها الصدر الاعظم الحاج محمد المقرى ، فاذا كان الامر كذلك ، فلم يأخذ المقيم على عاتقه مسؤولية طرد مقرر ميزانية الاشغال العمومية بمحضر رئيس الحكومة ، وبدون أن يأخذ رأيه علانية ؟ من المحتمل أن الرفت كان موضوع مذاكرة بين المقيم وبين الصدر ، ولكن المنطق كان

يحتم أن يترك لرئيس الحكومة البت في مثل هذه القضية .

وثانيا لقد اعتبر المقيم هذا التقرير ماسا بكرامة فرنسا ، فعلام اعتمد الجنرال جوان في حكمه هذا ؟ لقد اطلع المغاربة على هذا التقرير ، فوجدوا فيه نقدا عنيفا لسياسة الادارة الفرنسية ، ولكنهم لم يروا فيه ما يمكن أن يعتبر سبا أو اهاناة لفرنسا ، وحيث أن نظرة المغاربة يمكن أن تتهم بالتحيز ، فلقد عرض قرار السيد محمد الاغزاوي على عدد من فرنسيي فرنسا ، بينهم شخصيات حكومية ، فلم يعثروا فيه على فقرة مهينة لكرامة فرنسا ، فهل سيكون فرنسيو المغرب أكثر غيرة على شرف فرنسا من فرنسا نفسها؟ أم ما هي الا خطة اتخذت لاختامد معارضة بدأت تتدرب وتنقوى ، وتجمع المعلومات ، وتحاسب الحساب الشديد؟

مهما يكن من أمر ، فلقد خلت قاعة المجلس من أهم عناصر المعارضة ، تلك العناصر التي كانت تبت فيه الحياة ، وترفع مستواه ، وتعطيه شكلا قريبا من شكل المجالس النيابية العصرية ، نعم لقد قارنت الادارة بين عدد الاعضاء الذين انسحبوا والاعضاء الذين لازموا مقاعدهم فوجدت أن الاغلبية هي لجانب هؤلاء لا أولئك ، ولكن هذه المقارنة تؤثر في الذين يجهلون حقيقة ما يجري في المغرب ، فان المطلعين يعلمون أن جل الاعضاء الذين لم ينسحبوا هم أعضاء معينون ، لامنتخبون ، فهم يتكلمون باسمهم الشخصي .

ان المغاربة ، ولاشك لا يمكنهم أن يوافقوا على سب فرنسا واهانة رجالها ، غير أنهم يعتبرون أن من حق نوابهم أن يتمتعوا ، على الاقل تحت سقف هذه

القاعة التي تؤوى مجلس شورى الحكومة ، بحرية القول الكافية ، للسماح لهم بالتعبير عما يعتقدون ، أما أن تضيق الادارة ذرعا بالانتقادات الموجهة لها ، فتعتمد الى مثل هذا الاجراء ، فذلك ما لا يمكن أن يبرره منطق منصف ، وزيادة على هذا ، فلقد قدم التقرير للادارة أسبوعين قبل الاجتماع ، فكيف لم تنتبه الى ما يشتمل عليه من اهانة الافرادي في آخر ساعة ؟ ان في الامر لغموضا .

لقد فهم البعض أن الطرد انما كان ارضاء لباشا مراکش الحاج التهامي الجلاوي ، الذي استاء شديد الاستياء من ضعف جواب الجنرال جوان ، ولكن على ما يظهر ، كانت المسألة أهم من هذا ، اذ كانت الادارة تريد أن تقنع جميع عناصر المجلس بالوقوف بجانبها صراحة و ضد الانتقادات الموجهة لها ، غير أنها لم تتوصل الى مبتغاها ، فقد لازم المخزن الصمت ، ولم ينبس أحد من أفراده ببنت شفة ، فماذا كان موقف نواب الفلاحة ونواب المصالح المختلفة ؟ لقد تحفظ كل من رئيسيهما السيد عبد الله الزواوي والاستاذ احمد زروق ، فلم يفوها بكلمة ، نعم قام بعض الافراد أمثال رئيس الغرفة التجارية بوجدة ابن الهاشمي والسيد الطاغى ، وغيرهما يرتلان آيات التحبيذ والتقدير للادارة ولرجالها ولاعمالها ، ولكننا عهدنا هؤلاء الافراد منكمشين منعزلين ، فمن أين اكتسبوا بين عشية وضحاها هذا الاقدام ، وهاته الجرأة التي تدفعهم الى التعبير عن وجودهم بعد مرور دورات ودورات لم ينتبه لهم فيها أحد ، ولم يذكر لهم اسم ، ولم يسجل لهم انتقاد أو اقتراح ؟

حقيقة الامر ، ان طرد نواب مغاربة من مجلس شورى الحكومة ، قد أغضب جميع المغاربة ، لافرق بين من ينتمى الى حزب الاستقلال ، أو الى غيره من الاحزاب وبين ساكن مدن وساكن بادية ، اننا نعتقد أنه لم يكن فى صالح العلاقات المغربية الفرنسية ما قام به ممثل فرنسا ، نعم بعد خروج ممثل القسم الثانى ، تمكنت الادارة من الاسراع فى درس بقية المشاريع ، ولكن أزمة مجلس الشورى ، كانت قد افتتحت ، فهل من سبيل الى تلافى تطورها ؟

التجاء النواب الى جلالة السلطان

لقد صرح دولة الصدر الاعظم فى نهاية المجلس بكلمات شكر فيها سعادة المقيم العام ومدير المالية الساهر على الحزينة المغربية ، وكل الاعضاء المغاربة والتراجمة والكتاب ، ودعا بالبقاء لجلالة السلطان حتى يرى فى وطنه ما يسره ، ولكن هذه الكلمات لم تكن كافية لرد الامور الى نصابها ، والمياه الى مجاريها ولا أن تمحو مفعول طرد النواب المغاربة الذين خرجوا ، ونفوسهم ملأى حسرة وأسفا ، فالى أين يتجهون ؟ والى من يشتمكون ؟ لم يكن لهم الا ملجأ واحد ، هو ملجأ المغاربة أجمعين ، سلطان البلاد المفدى سيدي محمد ابن يوسف أيده الله ونصره ، وقف الاعضاء بأعتاب القصر الملكى ملتجئين الاذن بالثول بين يدي الجلالة الشريفة للدفاع عن أنفسهم ، ولتبرير موقفهم ، ولاطلاع الجناب العالى على ما عانوه من شدة .

فبماذا يجيبهم صاحب الجلالة ، هل من الممكن أن يردهم عن بابه ويطردهم من أعتابه ، ان السلطان حريص على حفظ العلاقات الودية المغربية الفرنسية من كل مكدر ، ولا يسمح لاحد من رعاياه أن يسب أو

يهين رجال فرنسا ، ولكن كذلك ينتظر من المسؤولين من رجال الحماية أن يحفظوا لرعاياه كرامتهم مادام هؤلاء لم يخالفوا قانونا ولم يرتكبوا جريمة ولم يكن يعتقد أن شيئا من ذلك وقع في اجتماع مجلس شورى الحكومة ، اذن ليس بإمكانه الا أن يأذن للسيد محمد الاغزاوي وأصدقائه بالمثول بين يديه .

وعرض الاعضاء على متبوعهم شكواهم ، وعبروا عن ألمهم ، وأفصحوا عن عدم ارادتهم سب فرنسا أو اهانة رجالها ، وانما همهم كان ولازال الدفاع عن مصالح منوبيهم ، وأخذ العاهل العظيم بخاطر الاعضاء مهونا عليهم اثر الصدمة وناصحا بملازمة السكينة وبالابتعاد عن العنف واعداء خيرا ، وخرج الاعضاء وقد رجع الامل الى قلوبهم داعين بالنصر والتأييد لملك المغرب الفذ .

هذا ما علم عن اتصال أعضاء المجلس بالجلالة في أوساط الهيئة الوزارية التي كان عليها ان تجتمع مع المديرين للاتفاق معهم على التعديلات التي ينبغي ادخالها على الميرانية ارضاء لمطالب مجلس الشورى .

اجتماع المجلس الوزاري

ولقد حاولت الهيئة الوزارية ان تقوم بعمل يساعد على تقريب وجهتي النظر فقدمت بعد دراسة وافية لائحة اقتراحات راعت فيها في آن واحد بعض رغبات النواب بالمجلس وحجج مختلف الادارات ، وتعلق هذه الاقتراحات بنقص ١٠ ٪ من الاعتمادات المخصصة للميادين الاقتصادية ونقلها الى الميادين الاجتماعية وبالاخص التعليم ، وبالتعجيل باصلاح العدلية وجعل رواتب كافية لموظفيها ، وبالخصوص للقضاة الذين لا يتقاضون اجرا من الخزينة العامة

ولقد عرضت هاته اللائحة فى اجتماع ضم رجال
المخزن وجميع المديرين على راسهم الكاتب العام ،
الذى عمل على تفهم مطالب المخزن وارضائها ، وبفضل
وساطته امكن الوصول الى اتفاق مبدئى عرض على
صاحب الجلالة فنال رضاه ، فلم تمر ايام قلائل حتى
اعلن ان صاحب الجلالة قد وافق على ميزانية سنة
١٩٥١ ووضع عليها طابعه الشريف

انتهت دورة مجلس شورى الحكومة بوضع ايام
قبل عيد المولد النبوى الشريف ، وقد شغلت الناس
مذاكراته ومجاداته ، وكانوا يتتبعونها فى الصحف
العربية والفرنسية ، وبقى اذاعات راديو المغرب ،
فلما انتهت جلساته ظن الناس انهم بعد الحوادث
التي كان المجلس مسرحا لها ، سيقضون اسبوع
العيد النبوى فى اطمئنان وهدوء اذ لم يكن فى امكان
احد ان يتنبأ بما سيجرى فى ايام هذا الموسم
الشريف

عيد المولد

ولعيد المولد بالمغرب مميزة خاصة ، فهو العيد
الرسمى الذى يحتفل به المغاربة أكثر من غيره ،
ويحيطونه بمختلف مظاهر الافراح والابتهاج ، ولقد
جرت العادة منذ القديم ان لاكتفى المدن والنواحي
بارسال خلفاء الباشا او القائد لتقديم عبارات ولائهم
لجلالة السلطان كما يقع ذلك فى عيد الفطر او عيد
الاضحى ، بل ينتقل الى الرباط كل الباشوات والقواد
للمشاركة بانفسهم فى مختلف حفلات العيد بالقصر
الملكى ، فيقيمون ليلة المولد بالمسجد الداخلى مع
سيدنا ايدى الله ، ويسلمون عليه مع الهيئة الوزارية
صبيحة يوم العيد ، وفى اليوم الثانى منه صباحا

يسلم كل واحد منهم على حدة ، وفي ظهره تبتدىء
حفلات الهدية التي تستمر ثلاثة ايام ، ويتناول
الباشوات الغداء على مائدة ولى العهد او على مائدة
الصدر

ولقد سنت الاقامة العامة بدعة ، اذ الفت ان
تستدعي الى حفلة شاي ظهر ثانى العيد الهيئة
الوزارية وجميع القواد والباشوات ينضم اليهم اعيان
مدن المغرب الكبرى

وهكذا فى ليلة العيد تهاطل الناس من كل جهة
على العاصمة المغربية ، ولقد أحييت ليلة المولد بما
هو جدير بالنبي العربي الكريم ، فاستمرت قراءة
الامداح الى الهزيع الاخير من الليل وممرت حفلات
اليوم الاول من العيد على احسن حال ، فلقد اجتمع
الوزراء والباشوات والقواد حول ملك المغرب فى
القاعة الصغرى قرب المسجد الداخلى ، فقدموا للعاهل
العظيم عبارات الولاة والاخلاص وانصتوا بخشوع
وخضوع الى نصائحه الثمينة الداعية الى الاتحاد
والتعاقد والى التآلف والتحاب والى التفانى فى
خدمة المبادئ السامية والمثل العليا التي كان جده
صلى الله عليه وسلم اكبر داع لها ، واقوى مدافع
عنها ، وانفض الجمع وقد امتلات النفوس ايمانا
واطمئنانا

ولكن اليوم الثانى من العيد كان يوما قدر له أن
يسجل فى تاريخ المغرب كمبدأ انفجار ازمة خطيرة
هياها للبلاد خصومها الالداء واعداء هنائها وسعادتها
ووحدها التي تحققت حول ملك عبقرى ، تجسمت
فيه مفاخر الماضى المجيد وآمال المستقبل السعيد

ففى صباح هذا اليوم ، تزاحم الباشوات والقواد على ابواب قاعة القصر السلطاني منتظرين التشرف بتقبيل راحة ملكهم المفدى ، وكان على راسهم كما يقتضيه البروتوكول المخزنى باشوات العواصم المغربية طنجة وفاس ومراكش وكان نصيب الحاج التهامى الجلاوى باشا العاصمة الجنوبية ان يحظى بالمثل قبل زميليه

تجرء الجلاوى

لقد جرى فى هذا الاقتبال بين سلطان المغرب وخديمه باشا مراكش حديث تاريخى تضاربت الروايات فى مضمونه ، واختلفت الاراء فى مدلوله وتفننت الصحافة الاستعمارية فى التعاليق عليه ، وفى توسيع دائرته وتفسيره بما تقتضيه مصلحتها ولقد عمل كاتب هذه السطور على البحث عن حقيقة ماراج فى هذا الاجتماع ، فتوصل الى النتيجة الاتية ، وروايته هذه ، ان لم تكن مباشرة فهى مستقاة من مصادر جديرة بالثقة ، على أن الكاتب يقدمها بكل تحفظ ، وبناء على هذه الرواية تكون المحادثة جرت كما يلى :

الجلاوى - جئت اهنيء سيدنا بالعيد وجئت اطلب منه ان يكف عنا هؤلاء الوطنيين لقد اهانونا فى مجلس شورى الحكومة وسبونا
جلالة السلطان - ان اليوم يوم عيد ، يا باشا ، ووفود المهنيين واقفة بالابواب ، فليس هذا مكان ولا وقت طرق مثل هذه المواضيع
الجلاوى - انهم تجاوزوا الحدود ، ولم يعد من الممكن تحمل هجماتهم بعد هذا

جلالة السلطان - انى لست بمسؤول عما يجرى
فى مجلس شورى الحكومة ، فهل انا الذى امرتك
بالحضور فى جلساته لتسمع ما سمعت ؟
الجلالوى - اننا جئنا لهذا الدار واسلمنا قيادنا
اليها لا لكى نهان ونحتقر ونسب ونذل
جلالة السلطان - اننى لا ارضى لاحد من عمالى أن
يسب او يهان ، كما لا ارضى له ان يستبد او يجور ،
فمن اهانك سقه الى المحكمة واقم عليه حجة تنصف
ممن تجرأ عليك ، انى حريص على اعطاء كل ذى حق
حقه ..

الجلالوى - انهم يهاجموننا فى عقر دارنا ، لقد
صاروا ياتوننا زاعمين انهم يتكلمون باسم سيدنا
ويبثون روح التمرد فى القبائل ، فصرت اذا اصدرت
امرا يكون عديم الجدوى ، واذا ما اظهرت صلابة
وشدة ضد فرد من الافراد اتى الى اعتباركم فوجد
آذانا صاغية ، وأنا أطلب أن لا يسمح لاحد بطرق
أبواب القصر بشكاية ضدى .

جلالة السلطان - اتريد منى أن اطرد من بابى
رعاياى اللاجئين الى ، وان لا انصت الى شكواهم ،
وان لا ارفع عنهم مظلمتهم ، كفى يا باشا ، يجب أن
تفهم أن روح الديمقراطية يجب أن تسود فى هذه
البلاد

الجلالوى - اننى لا اكف حتى احصل على ارضاء مطلبى
ولى الحق فى ذلك

جلالة السلطان - ليس لك اى حق فى ذلك اخرج
واذهب الى الصدارة العظمى ، وانتظر او امرى
وخرج الجلالوى يتعثر فى اذياله ، متوجها الى
الصدارة العظمى ، ولم ينتظر طويلا حتى استدعاه

الصدر الاعظم الى مكتبه وابلغه اوامر صاحب الجلالة ان جلالة السلطان يامر الحاج التهامي الجلاوي بالرجوع الى مراکش وبملازمتها وعدم طرق ابواب القصر الملكي الى أن تصدر له تعليمات جديدة ، وعليه أن ينفذ في الحين اوامر سيدنا ايده الله

وكان الصدر الاعظم عند تبليغه لاوامر السلطان صورة ناطقة بغضب الملك واستيائه من تجرؤ باشا مراکش على سيده ومتبوعه

وبينما كان الحاج محمد المقرى يعنف باشا مراکش ، كان خبر الحادث قد تسلل الى ابناء الجلاوي والى بعض اصدقائه ومنهم الى القواد والباشوات والاعيان ، فلم تمر بضع ساعات حتى كان طرد السلطان لباشا مراکش حديث مجامع القصر الملكي باجمعها ، بل حديث الرباط كله

لقد انفجرت القنبلة وكشف القناع فماذا ياترى سيفعل الجلاوي . ان اوامر السلطان واضحة جلية صارمة تحتم على الباشا أن يغادر العاصمة في الحين راجعا الى مراکش ، فهل سيمثل وينفذ ما امره به سيده ، ام سيتقاعس مضيفا غلطا ثانيا الى غلظه الاول نعم ان الاقامة في ظهر ذلك اليوم ثاني العيد تنظم حفلة للمخزن وللباشوات والقواد والاعيان ، فهل سيتخلف عنها باشا مراکش طبقا لاوامر ملكه ام سيفضل اجابة دعوة المقيم على الخضوع الى تعليمات سلطان المغرب ، وماذا سيكون موقف أبناء الجلاوي هل سيتعصبون لوالدهم فيغادروا الرباط في ركابه ام سيمكثون بالرباط لتقديم هداياهم ، وللتعبير عن ولائهم لجلالة السلطان سيدى محمد

ايدى الله ، لو لم يكن الامر مبينا بليل لما تردد باشا
مراكش فيما يتحتم عليه القيام به
ان واجب الحاج التهامى ومصلحته فى آن واحد
يقضيان حصر قضيته فى حدودها العادية وتلافى
الزيادة فى خطورتها وتوسيع دائراتها ، ان المنطق
يحدو بالباشا الى الامتثال فى الحين ، والى الاذن
لابنائه بتقديم هدايا الجنوب بالنيابة عنه ، فهذه هى
الوسيلة الوحيدة الكفيلة باطفاء الغضب ، وبالاحتفاظ
بأمل حصول العفو والرضا من المتبوع الاعظم سلطان
المغرب

ولكن ما حدث فى ظهر ذلك اليوم ، كان مخالفا
لهذا كله ، ودالا على أن خطة محكمة الحلقات ،
متسلسلة العمليات قد دبرت تديرا ، ولم يكن
حديث الصباح مع الجلالة الشريفة الا السهم الاول ،
ستتبعه سهام وسهام ، فبالرغم عن امر سيده ، بقى
الحاج التهامى بالرباط متحديا ملكه ، وتماديا فى
جرأته ، بل بلغت به الوقاحة الى درجة الصعود الى
المشور الملكى ، وجمع ابنائه ورجال قبيلته ، واخراجهم
من صفوف المهنيين الذين كانوا يتأهبون لتقديم
هداياهم لصاحب الجلالة ، وظهر جزء آخر من المكيدة
اذ انضم العيادى قائد الرحامنة وصهر الجلاوى ، الى
هذا الاخير

وهكذا كشف الرجلان القناع عن وجههما
الحقيقى ، ذلك الرجلان اللذان احسن اليهما جلالة
السلطان الاحسان كله ، وحفظ لهما مركزهما ، وجعل
لهما فى صف حاشيته الرتبة الرفيعة ، وكان يؤمل
أن يقنعهما بالعمل مخلصين فى خدمة مملكته السعيدة
ورعيته الوفية ، فماذا وقع حتى قر عزمها على

المجاهرة بالعداء ، وعلى التنطع بهذا الشكل الذى لم يعهد ؟ أهى ثورة الغضب وحمية العصبية الجاهلية تلقى بالافراد الى التهلكة ؟ ام ليس هذان الرجلان الا العوبة صماء فى أيد حدقة تحركهما من وراء الستار للوصول الى غايات معينة واهداف محدودة ؟
مهما يكن من امر ، فان الرجلين كانا يعلمان ماهما مقدمان عليه ، فاذا كانا انسحبا من المشور ، فلقد توجهوا الى حفلة الاقامة العامة يصحبهما اعيان القبيلتين

ولم تكن الحفلة نفسها الا فرصة جديدة ينجلي فيها التوتر العنيف الذى خلقته السياسة المتبعة بالمغرب فلقد خلت قاعات الاقامة من العناصر التقدمية لمجلس شورى الحكومة ، نتيجة لحادث الطرد الواقع فيه وقاطع حفلة الشاي اعضاء المجالس البلدية بالرباط ، والبيضاء ، وفاس ، واعيان المدن الكبرى وتجارها ، لابداء استيائهم من الاهانة الموجهة لتوابهم ، فلم يشارك فى الحفلة الا الموظفون الذين ليس بإمكانهم التخلف ، وعندما دخل الصدر الاعظم الى قاعة الاحتفال يتبعه الوزراء والمناديب ، كان الحاج التهامى الجللاوى جالسا فى صدر القاعة ، بجانب عقيلة الجنرال جوان ويحيط به عدد من موظفى الاقامة الكبار ، واذا كان باشا مراکش قد تمكن من المحافظة على المظاهر بمعاملة رجال المخزن ، فانه لم يتمكن من المثابرة فى خطته الى النهاية ، اذ عندما دخل بعد ساعة صاحب السمو الملكى ولى العهد مولاي الحسن ، لم يتمالك الحاج التهامى الجللاوى من اظهار ما كان يكنه فؤاده ، حيث ظهرت على محياه امارات لاحظها كثيرون ممن كانوا قريبين منه ، وبينما كان

جميع الحاضرين ملتفين حول ولي العهد محتفين به
الاحتفاء اللائق بمقامه ، كان باشا مراكش يقدم
اعتذاره للمقيم العام وينسحب من الحفلة بعد وداع
شخصيات الادارة دون شخصيات المخزن
وعلى أبواب الاقامة ، صافح الحاج التهامي الجلاوى
الجنرال جوان ، وامتطى سيارته الفخمة ، خارقا
شوارع العاصمة ، ومتوجها الى مراكش الحمراء ، بعد
ما اوقد نار أزمة خطيرة ، ستضطرم وتضطرم ، ولا
تنتهى الا باحراق موقدها .

ولقد انفض جمع الاقامة ، وتابع المغاربة حفلاتهم
العيدية على عاداتهم ، مقدمين هداياهم الى السلطان ،
ومعبرين له عن ولائهم له ، وتعلقهم به ، ولم يزد هم
حادث العيد الا تشبثا بالعرش العلوى ، والجالس
عليه ، الذى هو رمز كل آمال المغرب والمغاربة ، واذا
كان باشا وقائد من الجنوب قد خرجا من صف الامة
المتراص ، فان باشوات المغرب وقواده كلهم قد وقفوا
بجنب ملكهم المفضى ، مبدئين استيائهم من موقف
الحاج التهامي ، سواء فى الاجتماعات الخاصة أو العامة
فهل ستقف نتائج الحادث عند هذا الحد ؟ أبت الاقدار
الا أن تجعل الفرص تتزاحم الواحدة تلو الاخرى ،
لتغذية الازمة بعناصر تزيدها خطورة وشدة ،

عيد الميلاد

فلم ينقض أسبوع العيد النبوى ، حتى ابتدأت
حفلات عيد الميلاد المسيحى ورأس السنة ، ومنذ عقد
الحماية ، جرت العادة أن يصعد أعيان المغاربة يترأسهم
أعضاء المخزن الى الاقامة العامة فى رأس السنة ،
لتقديم تهانيهم لممثل فرنسا ومقيمها العام بالمغرب ،
ولكن نظرا للحوادث الاخيرة ، قرر عدد من الاعيان

أن يثابروا في خطة مقاطعتهم لحفلات الاقامة ، معبرين بذلك عن عدم ارتياحهم للسياسة التي تسلكها في المغرب ، ولقد كان لقرارهم أثر في جميع الاوساط المغربية ، وبالاخص في اوساط الشباب السهل الحماس ، فلقد وقف في صباح يوم رأس السنة شبابان رباطيان أحدهما طالب بالمدرسة العليا ، والاخر متعاطا للتجارة ، يحضنان الناس على عدم المشاركة في تهنئة ممثل فرنسا ، وعلى مقاطعة حفلات الاقامة ، وطبعاً تبودلت كلمات لاتخلو من عنف ووقاحة بين الشابين وبعض المهنيين ، وبالرغم عن هذا مرت حفلة الاقامة كالعادة ، فقدم الصدر التهنئة باسم صاحب الجلالة ، وأجابه المقيم العام باسم الحكومة الفرنسية .

ولو كانت الظروف غير الظروف ، لما كان لحادث رأس السنة أي نصيب من الاهمية والخطورة ، فليست هذه هي أول مرة يحاول فيها شباب اقناع الناس بوسائل عنيفة ، ولكننا في فترة عويصة دقيقة ، وفي مرحلة خطيرة من أزمة يريد مثيروها ، أن يجعلوا من كل شيء غذاء لها ، وتقوية لمفعولها .

الصحافة الاستعمارية

ظهر ذلك واضحا جليا في الحملة الواسعة النطاق ، والدعايات البادية الاهداف والغايات ، التي شنتها صحافة فسحت أعمدتها لاخبار وتعاليق ، لاتتفق والحقيقة في شيء ، أخذت هذه الصحافة ، أو أخذت مراسلوها بالمغرب المنظمون لهذه الازمة ، حادث العيد الذي جرى بين السلطان وبين أحد موظفيه ، فتركوا المجال واسعا لخيالهم الحصب ، ولاقلامهم السيالة . فادا بالحقيقة يشوه وجهها ، واذا بالوقائع تنقلب

راسا على عقب ، واذا بالحاج التهامي الجلاوي المعروف بتمتعه في الحياة ، وحرصه على الدنيا ، والعمل على الوصول الى لذاتها بكل وسيلة ، وبعده عن رجال الدين وما يتصل بهم ، قد أصبح رجل زهد وتقوى ، ووعظ وارشاد ونصيحة دينية ، وغيره اسلامية ، تدفعه الى تبين طريق الهدى والرشاد الى سيده وملكه سلطان المغرب سيدي محمد نصره الله .

ولو علم قراء الصحف الفرنسية التي سمحت لنفسها بهذا العمل الشنيع ، حقيقة الحاج التهامي الذي قدم لها في هذه الصورة ، لقاطعوا بهاته الصحف التي لا تتورع عن مغالطتهم ، ان لم تكن هي نفسها قد وقعت في حبال حيلة ابليسية .

وماذا تريد هذه الصحافة أو محركوها من عملها هذا ، أتريد التأثير على الشعب المغربي ؟ ان المغاربة هم أدري الناس بالجلاوي ، ماضيه وحاضره ، سره وعلايته ، أم على العالم الاسلامي ؟

ان أعمال ملك المغرب سيدي محمد أيده الله ، قد تتبعها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها بكل تقدير واعجاب ، فاذا ما حاول أحد الوقوف في طريقها فذلك كاف لاثارة السخط من طرف المسلمين أجمعين . لم يكن اذن هدف هذه الحملة الا مغالطة الرأي العام الفرنسي ، بتقديم الجلاوي كرجل ذي مركز ديني ، ونفوذ كبير ، نفوذ ومركز وأهمية ، كافية في نظرهم القصير لرفع بصره الى احتلال المنصب الاول في المملكة المغربية .

ان هذه الاحلام ولاشك كانت تخامر عقول الاستعماريين ، ياما أكبر سعادتهم لو تحقق أملهم ، صديقهم وحليفهم وخادمهم بين يديه الحل والعقد في

المغرب بأجمعه ، يالها من راحة شاملة ، فلامطالبة بحريات ، ولا محاولة لتعديل معاهدات ، ولا نقد فى الصحف والاجتماعات ، ولا مجالس شورى تعطى فيها الادارة الحساب والبيانات ، ياله من نظام جميل ، وتنسيق عجيب ، يلازم فيه المغربى رتبته السفلى ، ويضمن الاجنبى دوام منزلته العليا .

ومن سيحول بين المشروع وتحقيقه ، ان الوسائل كلها بيد اصدقاء باشا مراکش ، الصحافة وطرق الاشهار عند امرهم ، وقوات الاحتلال تتاثر بنظرياتهم ، وأهم المراقبين فى المدن والبوادرى مستعدون للسير فى ركاب النظام الجديد ورسى الاستعمار لاتسد فى وجههم باب وزارات باريز ، نعم هذا كله فى كفة الباطل الذى يريدون اقامته ، والظلم الذى يؤملون نصره ، غير انهم جهلوا او تجاهلوا أن هناك ربا لازال بعباده رحيمًا ، وعدلا الاهيا لم ينفك بالصابرين رؤوفا ، وان هناك ايمان رجل ، واخلاص زعيم ، وتفانى ملك ، وقف نفسه وجسمه وماله خدمة الحق والعدالة والانسانية ، فلا يمكن ان يخيب ولا يجوز ان يؤخر ، ولا يتصور ان يقهر . لقد عمل سيدى محمد ايدى الله العمل الرائع البديع فى سبيل دينه ، فى سبيل وطنه ، وفى سبيل المدنية ، وفى سبيل الانسانية ، فهل سيكون جزاؤه ان يصد عن متابعة رسالته ، وان يبعد عن شعبه ، ويحال بينه وبين جنى ثمار اجتهاده فى سبيل حرية امته ، ارضاء لعناصر السوء ، وحفظا لمصالح ساقلة ، ودفاعا عن حقوق مغتصبة .

ان الحقيقة ستظهر ، وان الحق سيعلو ، وان
الباطل سيندحر بالرغم عن اعداء التقدم ، وبالرغم
عن دعاة الشر ، وبالرغم عن الخونة المجرمين .

بيان الصدارة

لقد شنت الصحافة غارتها الشعواء ، مؤملة أن
تقل من عزم ملك المغرب ، ولكن صاحب الجلالة تابع
في هدوء ورزانة خطته الحكيمة ، وعمله المتئد المتواصل
نعم لقد اصدر وزيره الصدر الاعظم الحاج محمد
المقرى ، بيانا عن حقيقة الامر الواقع في ايام العيد
بين ملك المغرب وبين خديمه باشا مراکش ، بيانا
كشف النقاب عن موقف الحاج التهامي ، وعن
الاهداف التي يرمى اليها ، وكان هذا البيان جديرا
بأن يضع حدا لكل ما أثير حول حادث العيد ، لو لم تكن
هناك المكيدة الكبرى التي انجلت للابصار

تصريح الجلاوى

اذ لم تمر بضع ايام على اذاعة بيان الصدارة
العظمى ، حتى اخبرت الجريدة العربية التي تصدرها
الادارة ، ان الحاج التهامي قد فاه لمراسل جريدة
فرنسية بتصريح هام عن الحالة السياسية في
المغرب ، وعدت بنشره في عددها المقبل
وبرز عدد السعادة مصدرا بصورة باشا مراکش
وحاملا في صفحته الاولى ترجمة التصريح الذي فاه
به الحاج التهامي لمراسل جريدة (الفيكارو)
الفرنسية ، فماذا يتضمن هذا التصريح ؟ لقد اطلع
الناس عليه ، وأدركوا خطورة محتوياته ، وتبينوا من
ثنايا سطوره ما يهيا للمغرب من حوادث عظام ، ومن
فتن داخلية ، تبرز كل الاجراءات التعسفية ، لقد
اشتمل تصريح الجلاوى على نقط اساسية بالنسبة

لسياسة المغرب الداخلية ، ولعلاقاته مع فرنسا ومع الدول الاجنبية الاخرى
واولى هذه النقط واهمها ، هي ولاشك تلك الصفة
التي اعطاها الجلاوى لنفسه عند الافضاء بهذا
التصريح ، انه يتقدم للرأى العام كمتكلم بلسان
المغرب بأجمعه ، وبالنيابة عن الرؤساء التقليديين ،
المغرب بأجمعه ، وبالنيابة عن الرؤساء التقليديين ،
اي الباشوات والقواد ، بل جميع طبقات الامة المغربية
ثم هو بعد هذا حارس للسنة الاسلامية غيور على
التقاليد المغربية ، ولهذا فهو بصفته زعيما سياسيا
ورئيسا دينيا ، يصدر حكمة على رجال حزب الاستقلال
الذين تجرؤوا عليه فى مجلس شورى الحكومة ،
فيخرجهم من حظيرة الاسلام ، ويجعلهم على هامش
الوطن أنهم فى نظر الجلاوى أعداء الدين ، خصوم
مصلحة المغرب بالرغم عن دعواهم ان السلطان
يحميهم .

وإذا كان السلطان قد طالب بتعديل معاهدة الحماية
فان الجلاوى يرى ضرورة بقاء الحال كما هى عليه ،
ودوام اتحاد فرنسا والمغرب

هذه اهم نقط التصريح ، ولسنا ندرى هل كان
محررها يزن مدى كلماته ، ولكن قبل هذا من حقنا ان
نتساءل من هو محرر هذا التصريح ، ان كل واحد يعلم
ان باشا مراكش هو أحد أولئك الرؤساء الاقطاعيين
الدين توصلوا الى مناصبهم ، لا بثقاقتهم أو علمهم ، بل
بطريق لا تتصل بالكفاءة فى شىء ، فلاحاجة بنا الى القول
ان الجلاوى لم يحرر تصريحه بنفسه ، ولكن هل فى
حاشيته او المقربين اليه ، رجل جدير بالقيام بهذه
المهمة ؟ ان المطلعين يوكدون ان لا ، اذن فمن حرر

التصريح ، اننا لانريد ان نلقى الكلام على عواهنه ، ولا ان نوجه تهمة من دون ان تكون لنا حجة لتبريرها ، غير ان بحثا قام به في المغرب مراسل جريدة (لورور) البازيزية جعلنا نتساءل هل ليس لبعض رجال الاقامة يد في تحرير هذا التصريح ، فلقد جاء في هذا البحث ما يدل على أن الاقامة العامة أدخلت تعديلات على تصريح باشا مراکش ، وهذا معناه أنه كانت هناك مفاوضات بين مراکش والرباط تروج حول شكل التصريح ومضمونه ، فهل ستكون الاقامة العامة محبذة ومشجعة لموقف الحاج التهامي الجلاوي

ولكن هذا سيكون معناه قطع العلاقات مع عاهل البلاد الشرعي ، وخرق اسس المعاهدة التي تربط فرنسا بالمغرب ، وحفر هوة سحيقة خطيرة بين الامتين يكون الرجعيون الاستعماريون قد استحوذوا على لب المسؤولين فدفعوهم الى هذه المحاولة التي تريد ان تهين ملكا عبقريا جليلا وقف حياته لخدمة بلاده باخلاص وتفان وللدفاع عن جميع رعاياه ، ان خطة محرر التصريح خطة مسمومة ، انها توهم ان هناك تحيزا من جانب جلالة السلطان لحزب من الاحزاب المغربية ، هو (حزب الاستقلال) وهذا الحزب في زعمها له صلة واتحاد مع الشيوعيين ، والشيوعيون هم اعداء الدول الغربية ، فالسلطان اذن عدو الدول الغربية حليف الشيوعية

فهل ستلعب هذه السفسطة بعقول الناس ، لقد تلقت الصحافة الاستعمارية تصريح الجلاوي فحللته تحليلا ، وخرجت منه فلسفة ومبادئ وخطا ، وقواعد ونصائح ، وفسرت على ضوئه حقيقة الازمة الواقعة في المغرب ، فهي في نظرها ترجع تارة الى خلاف ديني

بين مذهبين ، هما الوهابية المبتدعة التي يترأسها سلطان المغرب ، وبين المذهب المالكي السنّي الذي يدافع عنه الجلاوي ، وتارة الى اصطدام جنسي بين البرابر السكان الاصليين المغاربة ، وبين العرب المهاجرين المعتدين ، بل هذه الازمة في نظر البعض هي أزمة سياسية بين الشيوعية التي يتزعمها الملك ، والنظام الراسمالي الذي يحرسه باشا مراكش ، او بين الديمقراطية والتعصب الديني وهكذا ذهبت الصحافة تخلق فتنة حيث لا فتنة ، وتفرقة حيث تسود الوحدة ، واصطداما حيث تهيمن الاخوة والتعاضد ، ويعلم المنصفون ان الامة المغربية لم تنشق على نفسها ، ولم تتنافر عناصرها ، ولم تتناقض مذاهبها ولم تغرها الدعايات الاجنبية ان الامة المغربية متحدة العقيدة ، ثابتة على مبادئ الدين الاسلامي الحنيف ، ملتفة حول ملكها الاوحد وزعيمها الفرد ، سيدي محمد ايده الله ونصره ، انهم يزعمون ان جلاله السلطان ، قد نزل الى الميدان السياسي الحزبي ، مفضلا حزبا على الاحزاب الاخرى ، وواضعا يده في يد رجاله ، ومصبحا بذلك ملك حزب ، لاملك امة ، فهل لهم ان يقدموا دليلا واحدا على ذلك ، ان الحقيقة المجردة هي ان صاحب الجلالة قد احاط بعطفه جميع الرجال الوطنيين المخلصين العاملين بجد واجتهاد لتسير بالمغرب الى هدفه المنشود ، وهو في هذا لا يميز بين استقلالي وشورى ، او متحزب ومحايد ، او مجدد ومحافظ ، لقد فتح سيدي محمد ابواب قصره لجميع افراد رعيته ، يقبلهم ببشاشة وعطف ، وينصت الى مطالبهم ، ويدرس مقترحاتهم ، وملاحظاتهم ، ويسدى لهم النصائح الثمينة الرشيدة

ملك الامة باجمعها لا ملك حزب

ايزعمون ان سلطان المغرب قد وقف الوظائف على رجال حزب الاستقلال ؟ ان الذى يريد ان يعرف الحقيقة نيس عليه الا أن يستعرض رجال المخزن الذين وضع فيهم الملك ثقته ، وليتبين نسبتهم الحزبية ، ان الواقع سيظهر له جليا ناصعا ، لم يكن صاحب الجلالة يوماما رجل حزب بل هو رجل المغرب وحامى الحركة المغربية الناهضة باجمعها ، وعضد تطور البلاد ورفيها

نعم لقد اقتبل فى قصره رجال حزب الاستقلال الذين اصطدموا مع المقيم فى مجلس شورى الحكومة وانصت الى شكواهم ، فهل هذا كاف للدلالة على ان السلطان يتزعم حركة حزب الاستقلال

لم هذه المغالطة والادارة لم تنس ولاشك موقف صاحب الجلالة عند تكوين مكتبه الخاص ، لقد وقفت الادارة فى وجه المرشح المنتمى الى حزب الاستقلال وهو السيد محمد الزغارى ، فهل أرغم الادارة على قبوله ؟ كان بوده ان يكون خادما باعتابه رجل فى كفاءة الزغارى وفى اخلاصه ، ولكن هذا لم يصد عنه استبداله برجل آخر ملازم للحياد لا يقل كفاءة واخلاصا عن الزغارى هو الاستاذ محمد ابا حنينى رئيس الديوان الملكى .

ليس هذا برهانا على ان الذى يهيم سلطان المغرب هو الاخلاص والكفاءة لا الانتماء الى حزب من الاحزاب او الانتساب الى حركة من الحركات ؟ ان دعوة حزبية السلطان دعوة باطلة اقيمت لتحريض الاحزاب المغربية بعضها على بعض ، ولدفع بعض الزعماء المخلصين الى الوقوف ضد ملكهم عسى ان يكون ذلك معيننا على بعث الريبة فى النفوس وتقديم المغرب كبلاد

معرضة لآخطار التفرقة بجميع انواعها السياسية والجنسية والدينية ولو صدقنا اخبار الصحف الواردة علينا من الخارج لصرنا نعتقد أننا على شفا حرب أهلية سيندلع لهيبها وستكون نتيجتها رفع علم الشيوعية خفاقا في أرجاء البلاد . شيوعية ملك المغرب ورئيسه الديني ، وامامه الورع التقى ، يالها من مهزلة محزنة في آن واحد

الشيوعية

لقد قضى المغرب حقبة من الزمن كان فيه كل من طالب بحرية ، أو دافع عن حق ، أو انتقد عملا اداريا هو في نظر الحماية جاسوس الماني ، منخرط في الحزب النازي ، يتلقى التعليمات بطريق الراديو ، ويهيء ثورة ضد فرنسا بالمغرب ولذا تجب مراقبته والتضييق عليه قبل القبض عليه

ولكن المانيا النازية قد صارت في خبر كان ، فما هي التهمة التي يمكن أن توجه الى الوطنيين العاملين لا اسهل من ذلك اتهم شيوعيون ماديون لا دينيون ، اعداء الديمقراطية ، اعداء فرنسا ، اعداء امريكا الرافعة راية مقاومة الشيوعية في العالم

ان الوطنيين المغاربة قد ألفوا أن توجه ضدهم الاتهامات المتنوعة المختلفة ، ولكن الذي هالهم وأقضى مضجعهم هو أن تتجه سهام هذه الاتهامات الى رمز البلاد ، والى عاهلها الشرعي ، ان الموقف حرج ، اذ مما يخشى ، أن تنفذ هاته الترهات الى عقول بعض المسؤولين من رجال الدولة الفرنسية فيطلقون العنان للعناصر الاستعمارية الرجعية تشفى غليلها باسم محاربة الشيوعية ، وهي في الحقيقة تقضى على أنبل وأرفع وأطهر حركة قام بها ملك في سبيل شعبه .

ان المغاربة وعلى رأسهم ملكهم ، لم ينخدعوا يوما ما
للوعود الاستقلالية التي تقدمها لهم الدعاية الشيوعية
الدولية ، اذ هم يعلمون أن للحركة العالمية التي تغذيها
المنظمات الشيوعية أهدافا لا تمت بصلة الى تحقيق ثورة
عالمية تفرض نظاما اذا كان صالحا لروسيا ، موافقا
لطبيعتها ، مسببا للتقدم الملموس الذي حققته تحت
تأثيره ، فان أغلبية المغاربة لا يعتقدون أن هذا النظام
صالح لكل زمان ومكان ، بل يتيقنون أن طريق
تحريرهم السياسى والاجتماعى ، هو فى النظام
الديمقراطى الموافق لمبادئ دينهم ، والضامن للأفراد
حريتهم وسعادتهم ، ثم ان المغرب من وجهة عملية محضة
بسبب وجوده فى منطقة النفوذ الغربى ، مضطر بدافع
مصلحته الى مد اليد الى الديمقراطيات الغربية ، التي
وان كانت لحد الان لم تف بجميع وعودها ، فانها
لا زالت موضع آمال الشعوب المغلوبة على أمرها .

فاذا ما اتهم الاستعماريون الرجعيون الحركة
المغربية بالميل للشيوعية ، فما هدف ذلك الا اثاره
الرأى العام الديمقراطى ، وبالاخص الاميركى ، ضد
مطالبها ومصالحها .

بدا ذلك واضحا فى تصريح باشا مراکش ، وفى
تعاليق الصحف عليه ، تلك الصحف التي وقفت صفا
واحدا معضدا لباشا مراکش ولخطته ، باستثناء بعض
المراسلين الذين أبوا أن يكونوا آلة صماء ، وأسطوانات
مسجلة تحكى ما يملى عليها بدون تحفظ ولا تريث .

جريدة اللوب والصحف الفرنسية الاخرى

ان المغاربة لم ينسوا ولن ينسوا موقف المسيو
بنديتى مدير جريدة اللوب الفرنسية ، لسان حال

الحركة الجمهورية الشعبية ، ومكاتبها المسيو كرفال ، وعددا من محرريها الذين عملوا بدون تحيز ولا تعصب على اظهار حقيقة الازمة المغربية ، مستمدين معلوماتهم من أوثق المصادر ، وفاتحين صفحات الجريدة لاحقاق الحق ، وازهاق الباطل ، وكنا نؤمل أن نجد نفس هذا الترفع وهذا الاخلاص للمهنة فى الجرائد الباريزية الكبرى ، أمثال جريدة لوموند التى عهدناها مثبتة فى أخبارها ، مخلصه فى روايات الوقائع ، وفى التعليق عليها ، مما جعل لها سمعة طيبة فى الاوساط التى كانت تعير مقالاتها أهمية خاصة ، بل تعتبرها ناطقة باسم المحافل الحكومة الفرنسية ، ولكن خيبة المغاربة فى هذه الجريدة كانت عظيمة عندما رأوها تخصص الفصول الطوال للتعريف بشخصية باشا مراكش ، ولتقديمه كرئيس للجنوب المغربى مستقل بنفسه ، لم يستمد سلطته ونفوذه من أحد ، ولم يدن لسلطان المغرب بشيء من جاهه .

نعم لقد نشرت بعد مدة بيانات بعث بها الاستاذ اباحينى للرد على المعلومات الزائفة التى وافاها بها مراسلوها بالمغرب ، غير أنك تشعر فى تعليق الجريدة على هاته البيانات أنها اتخذت من باشا مراكش حليفا لها ، ومن سلطان المغرب وحر كته خصما لها .

وهكذا تكاتفت ضد الحركة المغربية عناصر داخلية وخارجية ، خلقت جوا من التوتر والريبة والتخوف ، حدا بمنظمى المكيدة الى أن يخطوا الخطوة الثانية من برنامجهم .

فلقد أشاعوا بباريز أن صاحب الجلالة أصيب بداء عضال اضطره الى التنازل على العرش لابنه وولى عهده الامير مولاي الحسن ، وراحت الجريدة تعلق ، لا على

الخبر نفسه ، اذ هو فى نظرها الحقيقة المجردة ، بل على من سيخلف السلطان ، وهل من حق سيدى محمد أن يعين من سيجلس على العرش بعده ؟

حركة الجلاوى

وبينما كانت باريز ميدانا للاشاعات ، كان الحاج التهامى الجلاوى متجولا بأنحاء المغرب ، تحفه تسهيلات من طرف سلطات الحماية ، وحيث أنه يعتبر نفسه رئيسا سياسيا ، وزعيما دينيا ، فلقد حاول الاتصال بالباشوات ، وبالعلماء ، فبعث الى الاولين برسائل يدعوهم فيها الى ضم جهودهم لجهوده ، بغية محاربة الشيوعية وحزب الاستقلال .

فماذا كان موقف الباشوات والقواد من هذا النداء ؟ انهم فى مجالسهم الخاصة ، يعبرون عن استيائهم وسخطهم على حركة الجلاوى وعلى محاولته الفاشلة الحرقاء ، ولكننا كنا نود أن نجدوا من الشجاعة والاخلاص ما يدفعهم الى الجهر بموقفهم ، انهم يزعمون أن ضغطا عظيما قد استعمل ضدهم ، ولكن هذا لا يبرر تقاعسهم .

أما العلماء فقد سعى اليهم الجلاوى بنفسه متنقلا من مدينة الى أخرى ، وبالغا الى العاصمة العلمية فاس بغية التأثير عليهم بمختلف الوسائل ، ولكن جواب العلماء كان جديرا بالعلم ورجاله ، اذ لم يكتفوا بمقابلة وعوده وتهديداته بما تستحقه من الازدراء والاحتقار ، بل شدوا الرحلة الى أعتاب جلالة السلطان سيدى محمد نصره الله ، معبرين عن ولائهم واخلاصهم لملك المغرب ، وحاملين عرائض الاستنكار لاعمال باشا مراکش .

ورد العلماء على الرباط من فاس ومكناس ومراكش نفسها ، بالرغم عن العسف والتهديد السائدين ، مقيمين الدليل على التفاف الامة وعلى اتحادها حول ملكها المقدى .

فأين هي هذه العناصر التى يزعم باشا مراكش التكلم باسمها ؟ وأين هي هذه الاوساط الدينية التى قلقت من خطة سيدي محمد أيده الله ونصره ؟

اجتماع المجلس الوزارى

لقد جمع ملك المغرب سيدي محمد أيده الله مخزنه الشريف للتشاور فى موقف باشا مراكش ، فكان راي الجميع ، أنه لو كان الامر متعلقا بالحاج التهامى الجلاوى لهان الخطب ، اذ كل واحد يعلم قيمة الباشا الحقيقية ، وضعف نفوذه وعجزه عن التأثير على الاساط المغربية ، ولكن من هم الذين يحركون باشا مراكش ؟ وماذا يبغون من وراء محاولتهم هذه ؟ ذلك ما يشغل بال المخزن الشريف ، وعلى رأسه سيدنا أعزه الله ، الذى عبر عن حلمه مع خديمه الجلاوى فى حادث يوم العيد ، لقد صبر سيدي محمد وصابر ، ولم يغضب ويطرده الباشا الا عندما تجاوز هذا كل الحدود ، مثبتنا بذلك أنه كان قرر تحدى ملكه واستفزازه فى ظروف العيد ، حتى يعطى للحادث خطورة ودعاية تخدم مصلحة المكيدة المدبرة ، وتطلع عليها جميع الوفود الواردة من أطراف المغرب ، تلك الوفود التى لايمكن لباشا مراكش أن يصل اليها الا فى قصر سيده وسلطانه .

لو لم يكن الحادث حلقة من سلسلة ، لقلنا ان باشا مراكش خادم تجراً على سيده ورئيس اقطاعى غرته نفسه ، وانخدع لوعود كاذبة ، ولكن ما هذا الصدى

الذى وجده الحادث فى الصحف الفرنسية ؟ وأين هى مصلحة الرقابة ؟ وأين رجالها الذين يسهرون على حذف كل ما من شأنه أن يقلق النفوس أو يقلب الحقائق ؟ لقد فتحو أبواب المغرب لذلك السيل من الاخبار والمقالات المليئة بالاكاذيب والافتراءات والاستفزازات ، والسب فى جانب سلطان المغرب وحر كته وأعماله وأهدافه ، من دون أن يحركوا ساكنا نعم لقد جمعوا أعداد جريدة نشرت مقالا عن الحالة فى المغرب ، غير أن هذه الجريدة لم تكن سوى (لوب) لسان الحركة الجمهورية الشعبية ، التى أظهرت تفهما وادراكا لحقيقة ما يجرى فى المغرب ، فأذاعت مقالا منصفًا ، محاولة انقاذ الصداقة المغربية الفرنسية من الوقوع فى هوة الهلاك .

موقف الحكومة لفرنسية

وانفض الجمع المخزنى وأفراده يتساءلون ، ما هو موقف الحكومة الفرنسية ؟ أهى على علم بما يجرى ويدبر فى المغرب ؟ أم هى فى شغل شاغل عن التفكير فيه ، تاركة الامر الى سلطات الحماية ، وبالاخص الى الجنرال جوان الذى جاء الى الرباط فى سنة (١٩٤٧) مزودا بثقة الحكومة ، وبتفويض رئيسها حينذاك المسيو رامادى ، لتثبيت قدم النفوذ الفرنسى فى المغرب ، ولاتخاذ جميع الوسائل التى يراها ضرورية لذلك ؟ ولكن هل جعلت لهذا التفويض حدا لا يمكن للمقيم أن يتجاوزه الا بعد الرجوع الى وزارة الخارجية ؟ أم أن تهديد العرش العلوى ، والسماح لمناوئيه بالتكثف والتقوى ضده ، هما داخلان فى ضمن خطة تثبيت النفوذ الفرنسى ؟

لقد قدر لكاتب هذه السطور أن يكون بباريز في شهر يناير سنة ١٩٥١ حيث استدعى للمشاركة في اجتماع المجلس الادارى للشركة الشريفة للبترول بصفته مندوبا للصدر الاعظم بالمعادن ، وطبعاً اتصل بعدد من الشخصيات الفرنسية من مختلف الاحزاب ، وبالاخص من الحزب الاشتراكي والحركة الجمهورية الشعبية ، ولقد خرج من مذاكراته هذه بنتيجة قاطعة هي أن الاحزاب الفرنسية المعضدة للحكومة ، لا يمكن أن تسمح بفتح أزمة متعلقة بالعرش العلوى ، وانها لاتعتقد أن لاحد السلطة الكافية لتهديد هذا العرش نعم هذا رأى الاحزاب ، فما رأى القابضين على زمام الامور ؟ لقد جمعت ظروف سعيدة كاتب هذه السطور بموظف من رئاسة الجمهورية ، موظف معروف بعطفه على القضية المغربية ، وبسعيه لتحسين العلاقات بين البلدين ، فأكد أن الحكومة لم تفكر قط فى السماح لاحد بمناوئة العرش المغربى ، وانه ليس بالامكان أن نوافق فرنسا على حركة موجهة ضد سلطان المغرب الذى لم تمر على زيارته لباريز ثلاثة أشهر ، ان للمغاربة أن يطمئنوا ، فاذا كانت العناصر الرجعية تفسد ما بين القطرين الصديقين ، فان فرنسا الديمقراطية الحرة ، سترد الامور الى نصابها .

ورجع كاتب هذه السطور الى الرباط حاملاً البشرى السعيدة ، ولكن كم كانت دهشته عظيمة ، وخيبته أليمة ، حينما اطلع على النبأ العظيم ، والحادث الجلل ، خبر تدخل الجنرال جوان رسمياً فى المعركة .

جوان عند السلطان

ففى ظهر يوم الجمعة (٢٦) يناير (١٩٥١) جاء الجنرال جوان ممثل فرنسا ومقيمها العام بالمغرب الى

القصر الملكي العامر ، حاملا لائحة شروط يرى من الضروري أن يخضع لها سلطان المغرب ، نظرا للازمة المغربية الخطرة التي تهدد سلامة البلاد ، ويمكن أن تؤدي الى ما لاتحمد عقباه ، ان درجة خطورة الحالة ، بلغت حدا جعل المقيم يعجل باطلاع جلالة السلطان على ما يجب عليه أن يقوم به ، ان أراد تلافي تطور الحالة بكيفية مهددة لشخصه ولعرشه ول مستقبل بلاده ، والمقيم العام العازم على مغادرة المغرب ، بقصد التوجه للولايات المتحدة ، للقيام هناك بمذاكرات برفقة المسيو بليفن رئيس الوزارة مع السلطات الاميركية ينترك للسلطان مدة للتفكير مليا في الامر ، ولكن هذه المهلة لا يمكن بحال أن تتجاوز مدة غياب المقيم ، فالجنرال جوان يشترط أن يجد عند رجوعه من أميركا جوابا مرضيا للشروط التي قدمها ، والا فسيضطر الى اتخاذ الوسائل الفعالة اللازمة لحفظ الامن ، في المغرب ، ان سلامة فرنسا ، وسلامة الدول الغربية ، نحتمان أن يشمل الهدوء هذه الناحية المكلف بها الجنرال جوان الذي لديه التفويض التام للقضاء على كل مقاومة ولابعاد كل الشخصيات التي ترفض أن تتعاون معه على الوصول الى هذا الهدف ، اذن فمصلحة السلطان تلزم بقبول شروط الجنرال جوان ، والا فان الظروف الداخلية التي يعيش فيها المغرب ، وتطورات السياسة الخارجية ، كل ذلك يجعل العرش العلوي والجالس عليه معرضين لاطار عظيمة ، أهونها خلع الملك ، وتمزيق وحدة البلاد ، واصطدام العنصرين البربري والعربي ، وهجوم رجال البادية على سكان المدن ، ووقوع مجزرة قد تلتخ دماؤها جدران القصر الملكي نفسه .

هذا ما جاء الجنرال جوان يبينه لجلالة السلطان سيدي محمد ، ولكن ما هي الشروط التي يعتبرها المقيم لازمة لتلافي كل هذه المصائب ؟
انها شروط ثلاثة : اولها أن يستنكر السلطان الوسائل التي عمد اليها حزب الاستقلال في حركته ، وبالحصوص في التقارير التي قدمها لمجلس شوري الحكومة ، وفي الحطة العنيفة التي أراد بها منع الاعيان المغاربة من تقديم تهانيمهم الى ممثل فرنسا بمناسبة رأس السنة .

ثانيها أن يضع صاحب الجلالة طابعه الشريف على جميع مشاريع الظهائر التي قدمت له ، والتي بقيت معرقة في المخزن .

ثالثها ان يبعد عن القصر الملكي كل الموظفين المنتمين الى حزب الاستقلال ، وبالحصوص أعضاء الديوان الملكي الذين يعتبرهم المقيم مسؤولين عن تعكير الجو بين القصر والاقامة ، وعن عرقة المشاريع الاصلاحية .

هذه هي الشروط التي أملاها الجنرال ، غير أن صلتها - كما لاحظ ولاشك جلاله السلطان - بسلامة المغرب وسلامة الدول الغربية ، ليست تامة الوضوح فأية علاقة بين استنكار ملك لحركة وطنية تقوم بها طائفة من رعاياه ، أو ابعاد جماعة من موظفيه ، أو الموافقة على مشاريع ظهائر والدفاع عن افريقيا أو أوربا ؟

ان هاته المسائل في نظر السلطان ، لا يتصل بعضها ببعض ، ثم ان المقيم يتحدث عن أزمة خطيرة تهدد وحدة البلاد ، وطمانينة العباد ، فالام يشير ؟ إلى تلك المناوشة التي يقوم بها باشا مراکش ؟ ان

كان الامر كذلك ، فان أدنى اشارة من ممثل فرنسا للحاج التهامي الجلاوى كفيلة بايقافه عند حده ، لقد عاتب السلطان باشا مراکش ، وأمره بملازمة منزله ، ولولا تشجيعات يتلقاها من بعض الموظفين الكبار لما تجرأ على مخالفة أوامر ألف أن يخضع لها دائما .

ان السلطان يخشى أن تكون وراء الحركة الجلاوية أسرار ، هي التي تهدد سلامة المغرب ، دون غيرها . لقد وقف هذا الموظف موقفا لايجوز له بحال أن يقفه ! لقد جعل من نفسه رئيسا سياسيا ، وزعيما دينيا ، وهو بصفته هذه ، قد أصدر حكما على حزب الاستقلال ، مستنكرا لاعماله ، وجاعلا رجاله على هامش الدين ، وعلى هامش الوطن ، والمقيم العام يريد من السلطان أن يردد صدى كلمات خديمه المتجرىء عليه ، الشاق عليه عصا الطاعة .

ان في هذا لاهانة لاتحتمل ، وتعنتا لايطاق ، ثم بعد هذا ماذا ينقم المقيم العام على الحزب ورجاله ؟ لقد قدم بعض رجاله تقاريرات في مجلس شورى الحكومة ، اعتبرتها الاقامة ماسة بكرامة فرنسا ، فكان الجزاء طردهم من المجلس ، وتعرض شابان للمهنيين لممثل فرنسا ، فقدا الى المحكمة ، فما حاجتكم الى تصريح من السلطان ؟ أليس في القوانين الموجودة والمعمول بها ما هو كاف لحفظ حقوق الافراد والجماعات ولحماية كرامتهم ، ان السلطان يخشى أن يكون التصريح بالاستنكار ذريعة لحركة تعسفية ضد جماعة من رعاياه .

ان صاحب الجلالة لايرضى بالسب أو العنف كوسيلة للاقناع ، ولكنه لايسمح لنفسه بتشجيع عمل ربما تكون نتيجته حرمان المغربي ، من حق

الدفاع عن نفسه ، ومن الضمانات التي يخولها نظام العدالة .

ان المحاكم جعلت لحماية الافراد ، فما على سلطات الحماية الا أن تقدم لها كل مرتكب لمخالفة من المخالفات أما استنكار عمل طائفة من المسلمين ، فان جلالة السلطان يمنع من ذلك امتناعا باتا ، يصده عن هذا التصريح عقيدته الاسلامية ، وضميره الوطني ، وانصافه الانساني .

ان سيدي محمد هو ملك المغرب وامام المغاربة ، وتصريحه باستنكار عمل أحد من رعاياه معناه اخراجه من الدين ، وطرده من جماعة المسلمين ، وليس لدى السلطان عن حزب الاستقلال وعن أعماله ما يأذن له بالحكم عليه هذا الحكم القاسي .

فهل يريد المقيم أن يرغم ملك المغرب على التصريح بأمور لايعتقدها ، وبالقيام بعمل مخالف لدينه ولا يرتضيه له ضميره ، ولم يريد أن يزج به في هذا الميدان الذي لايتفق وكرامة الملك وحرمة مركز السلطان . أيقصد المقيم اهانة الملك وتقديمه لشعبه وللرأى العام العالمي كشخصية ثانوية هي وباشا مراکش في صف واحد ؟

ان فرنسا تربطها مع السلطان معاهدة وصداقة ، وهي دائما تعترف به ، وتعامله معاملة رؤساء الدول فاذا كان الامر بهذه المثابة ، فهل من المعقول أن يطلب من رئيس دولة يحترم نفسه ما يطلب من سلطان المغرب ، وأن يفوه بحكم لايملك العناصر الضرورية لاصداره ؟ وهب أن رئيس الحكومة الفرنسية طلب من رئيس الجمهورية اصدار بلاغ يعبر فيه عن

استيائه وسخطه على الحركة الشيوعية الفرنسية مثلا
فماذا سيكون جوابه ؟

ان سلطان المغرب رئيس دولة ، ورمز أمة ، ووارث
عرش ، وكل هذا يجعله يربأ بنفسه عن الوقوف
موقفا غير جدير بشرفه وعقيدته ، ولتكن النتائج ما
شاءت أن تكون ، ان سيدي محمد لم يتخذ من جلوسه
على عرشه الا طريقا لخدمة شعبه ، وهو واثق بوفاء
هذا الشعب ، والتفافه حول ملكه ، وتراصه حول
الافكار الاصلاحية التحريرية ، فليس الشعب المغربي
هو الذي سيهدد العرش العلوي أو الجالس عليه ،
لقد كانت البلاد آمنة مطمئنة ، عاملة مجدة ، ناظرة
الى مستقبلها باسمة مؤملة ، الى أن أراد لها خصومها
الكيد ، فخلقوا تفرقة وليست هناك تفرقة ، وروجو
للفتنة ، وما هناك ، لولا هم ، فتنه ، لقد تنقل ملك
المغرب من أقصى مملكته الى أقصاها ، وزار مختلف
نواحيها ، واتصل بجميع عناصرها ، فما وجد لديها
الا وفاء له ، وتعلقا بمبدئه ، واستجابة لندائه ، وآخر
ما قام به هو زيارته لقرية اغبالو مسقط رأس الجلاوي
فلم يكن حماس تلك القبيلة بأقل من حماس القبائل
أو النواحي الاخرى ! فكيف يزعم اليوم باشا مراکش
أو يزعم له المحركون له أنه ناطق باسم العنصر
البربري من سكان المغرب ؟

ان المغربي أخو المغربي ، لافرق بين عربي وبربري ،
ولا مدني وجبلي ، ولا شمالي وجنوبي ، ان ملك المغرب
يعترف لفرنسا الديمقراطية الحرة ، بالجميل الذي
أسدته الى البلاد ، بمساعدتها على تحقيق مرحلة في
طريق وحدتها ، فهل يريد الجنرال جوان أن يقضى على
عمل يحق لوطنه أن يفتخر به ؟ وماذا يدفعه لهذا ؟

أكل هذه الفتنة للتحرر من معارضة مجلس استشارى ؟
أو للشار من منتقد واجه باشا مراکش ببعض حقائقه ؟
أم ليس المقصود الا اهانته ملك المغرب والقضاء على
النفوذ الذى يتمتع به ، والثقة التى يجدها بين طبقات
شعبه ، تمهيدا للضربة التى يريدون كيلها لعرش قام
بواجبه ، وملك وفى لامته ، ورجل أخلص الحب لوطنه
وتفانى فى خدمته ، من دون عنف ولا عداوة ولا حقد ؟
لقد طالب السلطان نيابة عن الشعب المغربى
بحقوقه المشروعة ، طالب بها فى جو من الصداقة
والوثام والتفاهم .

ان سلطان المغرب أحرص الناس على الوصول الى
اتفاق عادل مع رجال فرنسا الاحرار ، غير أنه لا يرى
ذلك ممكنا الا اذا صينت حقوق المغاربة ، وأرضيت
مطالبهم ، ولاسبيل الى ذلك الا بالنقد المخلص ،
والجهر بالاراء الصائبة . والجنرال جوان يعلم أن
للمخزن نظريات فى السياسة المغربية ، سواء
الداخلية منها أو المتصلة بعلاقات فرنسا مع المغرب .
فهل عمل على جعل حظ لهذه النظريات فى مشاريع
الظواهر التى تقدم للقصر ، عوضا عن التعصب
لنظرية الادارة ، ومحاولة الزام السلطان بوضع طابعه
على مشاريع غير كافية لتحقيق الاصلاح الذى ينشده؟
ان جعل مسؤولية تأخير صدور الظواهر على كاهل
المغاربة هو ظلم صراح ، فكل واحد فى الادارة يمكنه
أن يشهد أنه ما من مشروع ظهير ، أو مشروع قرار
أرسل الى القصر الملكى الا ودرس فى الحين وأرجع الى
الادارة مرفوقا بملاحظات المخزن ان كان ما يستوجب
الملاحظة ،

نعم ان الادارة لاتعير ملاحظات المخزن أى اعتبار ، وهذا هو سبب التأخير ، فهل يريد الجنرال جوان أن يجعل لمشاريع الادارة صفة الوحي المنزل الذى لايقبل التعديل والتغيير ، وان يحرم المشرع القانونى فى هذه البلاد حتى من حق المجادلة والنقاش والانتقاد والتعرض ؟

ان السلطان يعد نفسه حارسا لحقوق مودعة لديه من طرف أمته ، ولايرضى له شرفه أن يفرط فى حقوق لايملكها ، وفى وديعة أوتمنت عنده .

ان السلطان لا يضع طابعه على مشروع يعتقد معارضا لمصلحة رعيته ، نعم انه مستعد لاعادة النظر فى المشاريع التى قدمت ، غير أن المقيم يريد أن يبعد عن السلطان جميع العناصر التى يمكن أن تقوم بدراسة النصوص دراسة وافية .

وما جريمة هؤلاء الموظفين ؟ انهم استقلاليون منتمون الى الحزب الذى انتقد أعمال الادارة وتجراً على باشا مراكش .

يالها من جريمة عظمى ، وخيانة كبرى ، فرد مغربى يزعم أن فى امكانه التمتع بحق اختيار الحزب الذى ينتمى اليه ، ان منطق الادارة منطق مقلوب ، لقد أعيتها الحيلة للقضاء على المعارضة المغربية ، فراحت تخبط على غير هدى ، لاتعى ماتقول وماتفعل ، أخانتها الذاكرة الى درجة نسيان الماضى القريب عندما أسس صاحب الجلالة ديوانه الخاص ، لقد أرعدت الادارة وأبرقت ، ولم تسمح بتشكيل الديوان الا عند ما اعتقدت بأن ليس بين أعضائه أحد من أفراد حزب الاستقلال ، فكيف ياتى اليوم الجنرال جوان طالبا ابعاد موظفى الديوان بحجة انهم استقلاليون ؟

ان السلطان يخشى أن يكون هدف الادارة هو ابعاد الرجال الاكفاء عن القصر الملكي ، لافرق بين من ينتمي الى حزب الاستقلال أو الى غيره من الحركات الوطنية ، ان الهدف هو قص جناح المعارضة ، واخماد صوت الانتقاد ، والاستراحة من المجادلة والبحث عن الحجج ، وقرع البرهان بالبرهان .

أتكون تلك الرسالة التي وجهها مدير الديوان الملكي لجريدة (لوموند) للرد على بعض الاخبار الزائفة التي نشرتها هاته الجريدة ، هي الباعث على المطالبة بتشتيت شمل موظفي الديوان ؟

ان جلالة السلطان يتحمل مسؤولية ما ورد في هذه الرسالة ، فهو الذي أمر بارسالها ، وأمد محررها بجميع ماتحتوى عليه من معلومات ، ولو قامت مصلحة الصحافة بالاقامة العامة بواجبها أحسن قيام ، مزودة مراسلي الصحف بالمعلومات الحقيقية ، ومكذبة لكل ما يخالفها ، لما احتاج سلطان المغرب للتنازل الى الرد على محرر في جريدة فرنسية باريزية كان جديرا بها أن لاتنشر الاخبار الا بعد التثبت من صحتها ، نعم ان السلطان يحترم حرية الصحافة ، ويود أن لو تمتع الصحفيون المغاربة بالحرية التي يتمتع بها الصحفيون الفرنسيون ، حتى يتمكن كل واحد من ابداء نظره ، ومن تقديم حججه ، ومن عرض نظرياته ، أما أن يسمح للمصحافة الاجنبية بطرق مواضيع ماسة بالمغرب وبملكه ، ومتعلقة بحياته الخاصة ، وبأمور لاتهم الا المغاربة ، ومنع هؤلاء من الدفاع عن أنفسهم ، وحذف كل المقالات والبيانات التي يريدون تبليغها الى الرأي العام ، فهذا ما لاترتضيه عدالة ، ولاتتحمله نفس شريفة .

ان من الحيف أن يعتبر نشر بيان حقيقة في جريدة فرنسية ، عملا بحرية النشر، جريمة تجازى بالتوبيخ والابعاد عن الوظيفة .

ان سلطان المغرب يرفض أن يستنكر أعمال حزب الاستقلال ، ويرفض أن يضع طابعه على مشاريع ظواهر لا يقتنع بصلاحياتها ، ويرفض أن يبعد موظفين لم تثبت عليهم مخالفة أو خيانة لواجباتهم .

ان السلطان يرفض أن يخضع للشروط التي قدمها الجنرال جوان ، ويعتبر تقديمها مخالفة صريحة للعهد التي تربط ما بين المغرب وفرنسا ، ولا يعتقد أن رجال الحكومة الفرنسية الذين عرفهم وخبرهم يوافقون على مثل هذه المعاملة التي يعامل بها ملك في عاصمة ملكه ، وفي وسط شعبه ،

نعم ان المقيم العام يتكلم مع السلطان باسم الحكومة الفرنسية ، ولكن السلطان يود أن يقدم له ممثل فرنسا بالمغرب رسالة تتضمن ما يطلبه بالتدقيق ، وتصرح بأن المقيم في طلباته هذه لم يقدم على ما أقدم عليه الا بعد عرض شروطه على باريز ، وموافقة هذه عليها ، ومادام سلطان المغرب لم يتوصل بهذه الرسالة ، فهو يعتبر كل مذاكرة مع المقيم العام من قبيل اللغو وضياع الوقت ، وهو يجعل مسؤولية ما وقع وما يمكن أن يقع على كاهل الإقامة العامة .

وخرج الجنرال جوان من القصر الملكي بعد الجدل الطويل ، وقد تمسك بشروطه ، واحتفظ بالاجل الذي ضرب به للحصول على جواب مرض لرغباته .

جوان في واشنطن وأمريكا والمغرب

وبعد ساعات قلائل من الملاقاة كانت طائرته محلقة في الجو متوجهة الى باريز ، ومنها الى واشنطن ،

فلماذا ياترى اختار المقيم العام ليلة سفره الى أمريكا
لاملاء شروطه ، ولالقاء قنبلته ؟ أكان يقصد بذلك
ايهام السلطان أنه ذاهب للولايات المتحدة الامريكية
بقصد تصفية مشاكل المغرب بأجمعها فى الميدان
الدولى بما فيها قضية العرش العلوى ، والقيام بتدبير
نحو الجالس عليه ؟

ان مما لاشك فيه أن مذاكرات واشنطن ستحوم
حول مسائل منها تسليم قواعد جوية بالمغرب للقوات
الاميركية ، وتنسيق الاتصال ما بين السلطات
الفرنسية والاميركية ، وتعيين الجنرال جوان فى
منصب عسكري هام فى نظام الدفاع الاطلسى ، ولكن
هل ستطرق المسألة السياسية المغربية ؟ وفى هذه
الحالة ، هل للحكومة الامريكية موقف من الحوادث
التي تجرى بمملكة سيدي محمد بن يوسف ؟

لقد عقد بطنجة مؤتمر ضم تحت رئاسة المستر ماك
جى خليفة وزير الخارجية الاميركية للنظر فى شؤون
الشرق الاوسط عددا من الدبلوماسيين الامريكانيين
تبادلوا معلوماتهم عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية فى الشمال الافريقى ، فهل خرجوا من
هذا المؤتمر بفكرة طيبة عن الحركة المغربية وعن
اهدافها ومطامحها ؟

لقد اقتبل جلاله السلطان فى قصره بالرباط المستر
ماك جى ، وتأثر سيدي محمد أيده الله بحيوية الوزير
الامريكى ونبل مثله العليا ، وبروح العدالة
والانسانية التي تنم عنها مذاكراته ، تلك المذاكرات
التي تنبىء بموقف الشعب الامريكى من كل حركة
لا ترمى الى عنف وعدوان ، بل الى التحصيل على حق
والى مقاومة الاعتداء .

ان تاريخ أمريكا وأهداف أمريكا وعقلية أمريكا ، كل هذا لايسمح بتشجيع عمل استعماري يقصد به قتل حركة تحريرية فى مهدها ، وخنق أنفاس أمة تأمل أن تنشق عبير الحرية فى حدود ترابها .

لقد وجد الامريكان فى عهدى الحرب والسلم بالقطر المغربى ولدى ملكه كل عطف وتشجيع ، مما حدا بعدد من أبناء أمريكا الى اختيار المغرب وبالأخص ميناءه الكبير الدار البيضاء مركزا لحركتهم التجارية نعم ان هناك خلافا بين هؤلاء التجار الامريكان وسلطات الحماية فى شأن التقنيات المفروضة على حرية جلب السلع الامريكية الى المغرب ، خلافا قد انتهى الى رفع القضية لمحكمة لاهاي بقصد الحكم فيها ، وقد يكون من المفيد أن نشير هنا الى أن للمخزن نظرا فى هذه المسألة قد يخالف بعض الشىء وجهة نظر الإقامة ، ولذا رفض عدد من مناديب الصدر الاعظم السير فى ركاب المديرين لتعصيد موقفهم .

فهل ستكون كل هذه القضايا من جملة ماسيدرس فى واشنطنون بين الشخصيات الفرنسية والامريكية أم ستبقى المحادثات فى دائرة عسكرية فنية محدودة ان أهمية المغرب الاستراتيجية تشغل بال الامريكان ولاشك أكثر مما تشغلهم قضايا الداخلية ومطامحه القومية .

لقد راجت مذاكرات بين فرنسا وأمريكا أدت الى اتفاق (٢٢) دجنبر (١٩٥٠) اتفاق لم يبد المغرب رأيه فيه بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، بل لم تطلع عليه السلطات المغربية الا بعد توقيعه ، وبمقتضى هذا الاتفاق يسمح للقوات الامريكية ببناء قواعد جوية بنقط مختلفة من التراب المغربى ،

حقا ان البلاد المغربية الخاضعة لنظام الحماية قد قبلت انابة الدولة الفرنسية في تمثيلها في المذاكرات مع الدول الاجنبية ، ولكن هل معنى هذا أن المغرب قد تخلى عن حقه في الاطلاع - على الاقل - على تطور المداولات وعلى ابداء رأيه في القضايا الدولية ، رأى تتكلف فرنسا بالتعبير عنه وبالدفء عنه ، مادام المغرب طبقا لمعاهدة (١٩١٢) قاصرا عن القيام بهذه المهمة .

ان المغاربة يدركون تمام الادراك أن تطور العالم يقتضى تعاون الامم بعضها مع بعض ، وتكوين واجهة قوية تتعاضد وتتالف ، ولكنهم كذلك يريدون أن يستفيدوا من أهمية موقع بلادهم الجغرافي ، ان اقامة هذه القواعد بالمغرب ستجعله معرضا لاطار متنوعة فما هي العوائد التي سيجنيها مقابل هذه الاخطار ؟ ولمن سترجع ملكية هذه القواعد يوم تستغنى عنها الولايات المتحدة ، أليس الغرض من الازمة المثارة هو حرمان المغرب من الاستفادة سياسيا واقتصاديا من تأسيس هذه القواعد بخلق صعوبات داخلية ، واثارة فتن اصطناعية وتهديد السلطات التي يخولها القانون الدولي أن تقول كلمتها في الدفاع عن المصالح المغربية أليس من الغريب حقا أن يكون اعلان الاتفاق الفرنسي الامريكى في نفس الوقت الذى أشرفت فيه الازمة المغربية على الوصول الى منتهى الشدة بتدخل المقيم العام الفرنسي تدخلا رسميا في المعمة .

مهما يكن من أمر ، فان الجنرال جوان قد ذهب الى واشنطن بعد ما أعلن شروطه وجدد أجله تاركا المغرب وأبناءه في حيرة كبرى وضيق شديد .

عرائض ضد حزب الاستقلال

ان جواب السلطان كان صريحا وحاسما ، انه يرفض الخضوع . ويظهر أن أرباب المكيدة المطلعين على شهامة العاهل المغربي وعلى صلابته في الحق ، كانوا ينتظرون منه هذا الجواب ، وكانوا أعدوا له عدته ، فاذا كان السلطان يرفض أن يستنكر أعمال حزب الاستقلال ، وأن يسير في الطريق الذي رسمه له باشا مراكش ، فانهم سيعرفون كيف يرغمونه على الخضوع ، ويصلون الى الاهداف التي يسعون اليها . وهكذا بدأت تظهر عرائض في مختلف المدن والبوادي باستنكار أعمال حزب الاستقلال وبالتبري منه ، عرائض يحملها مأجورون مكلفون بالتحصيل على أكبر عدد ممكن من التوقيعات وبصمات الاصابع ومأذونون باستعمال كل الوسائل للوصول الى تحقيق مهمتهم ، فليعدوا وليهددوا وليغالطوا وليجادلوا ، انما المهم أن تسود هذه العرائض بالتوقيعات أو بالبصمات ، وفعلا سود كثير من هذه الصفحات ، ولكن أغلبيتها بالبصمات دون التوقيعات ، فمن السهل مغالطة الرجل الامي لايقاعه في المكيدة ، فبعضهم انخدع ظنا أنه يوقع على طلب لتحسين التموين ، وبعضهم لسلف فلاحى ، والآخرين امتثالا وخضوعا وخوفا واستكانة . نعم ان هذه العرائض لاتتعرض لعاهل البلاد ولاتشير الى موقفه ، غير أن اهدافها كانت واضحة لكل ملاحظ . أليس المقصود من الحركة كلها هو اضعاف نفوذ السلطان ، واقامة الدليل على أنه في واد وشعبه في واد آخر ، وهل هناك دليل أقوى من استفتاء شعبى عام . ان منظمى المكيدة كانوا يؤملون ولاشك عرض القضية بالصفة الاتية :

ان الشعب المغربي منقسم على نفسه ، مختلف حول فكرة الاستقلال ودعاتها ، فالاقلية وعلى رأسها السلطان ، تتشبت بهذه الفكرة ، أما الاكثرية الساحفة ، وعلى رأسها باشا مراكش ، فانها تتبرأ من الاستقلال وحزب الاستقلال وتمسك بالنظام الحالي الذي تعتبره أحسن نظام ممكن .

غير أننا نتساءل عن الهيئة التي كانوا ينوون الاحتجاج أمامها بهذه اللوائح ، أهي المنظمة الاممية أم هي الحكومة الفرنسية ، أم لم يكن ذلك الا تهديدا في تهديد ، ووعيدا في وعيد .

يغلب على الظن أنهم لم يكونوا يفكرون في تقديم لوائح مسودة ببصمات الاصابع ، لاتقييم دليلا الا على شيء واحد ، هو الامية السائدة بالمغرب ، وضعف الجهود المبذولة لمحاربتها .

التصريح الوزاري

حقا لقد امتد مفعول دعوة استنكار الاستقلال الى بعض الاوساط الوطنية المخلصة التي برهنت على وفائها للمغرب ، اننا لانسمح لانفسنا بأدنى ريبة في وطنية الاستاذ محمد بن الحسن الوزاني ، ذلك الرجل الذي أودى وسجن ونفى في سبيل مبدئه ، ووقف فكره وماله لخدمة القضية المغربية ، غير أننا كنا نود أن يتلافى ذلك الموقف الذي اتخذه في ندوة صحافية بالدار البيضاء .

ان للاحزاب حق الدعاية لنفسها ومقاومة خصومها لكن في الظروف العادية فحسب ، أما والحالة كما كانت عليه ، فان كل تفرقة وكل خلاف قد يستغل استغلالا شنيعا . لقد استحوذت الصحافة الاستعمارية على تصريحات الاستاذ لاوزاني ، فهل اكتفت باعتبارها

موجهة ضد حزب الاستقلال وداخلة في نطاق الدعاية الحزبية ، لا ، انها فسرتها تفسيراً وقدمتها كدليل على أن الرأي العام المغربي بجميع عناصره واقف صفا واحداً ضد فكرة الاستقلال الذي أبى صاحب الجلالة أن يتبرأ منها .

اننا نوقن أن الاستاذ الوزاني لا يرضى لبلاده غير الاستقلال حلاً لقضيتها ، وانه أرفع من أن يسير في ركاب الاقطاعيين خصوم التقدم أو الاستعماريين أعداء حرية البلاد الذين حسبوا أن بإمكانهم أن يخدعوا الناس جميعاً ، وأن يطمسوا حقيقة شعب كامل ، وأن يهينوا ملكاً جليلاً ومصلاً عظيماً من دون أن يكون رد فعل قوى في العالم بأجمعه . ولكن أمل هؤلاء قد خاب ، فقد تسرب خبر ملاقاته الجنرال جوان مع جلالة السلطان سيدي محمد أعزه الله الى الاوساط الفرنسية المسؤولة التي هالها ما يشاع من أن المقيم العام قد هدد عاهل المغرب بخلعه عن ملكه ان لم يرض مطالبه ، وتساءلت هذه الاوساط عن حقيقة ما يجري تساؤلاً كانت نتيجته نشر (فرانس بريس) لبيان عن مقابلة (٢٦) يناير

بيان فرانس بريس وتصريح شومان

ان قارئ هذا البيان يدرك بسهولة الجو الذي ساد هذه المقابلة والصيغة المستعملة في الحديث الذي دار أثناءها ، والالجاج القوي المصحوب باشارات وتلويحات وتصريحات لم توافق عليها ولاشك حكومة باريز ، وبالاخص ذلك المفكر العظيم والرجل المخلص وزير خارجية فرنسا المسيو روبرت شومان ، الذي وقف أمام اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية ، مبعداً فكرة تنازل السلطان أو خلعه عن عرشه ، ومصرحاً

بضرورة القيام باصلاحات جوهرية في المغرب ،
ومعيدا الى الازهان أن للمغرب عاهلا شرعيا هو
السلطان سيدي محمد ومعه وحده تجب متابعة
المذاكرات والمفاوضات للوصول الى حل يرضى مطامح
الشعب المشروعة .

واستنار الافق أمام المغاربة ، أنه لازال بين ساسة
فرنسا رجال منصفون أحرار ، يخدمون مصالح بلادهم
باخلاص وقوة ، ولكن هذا لا يمنعهم من الاعتراف بما
للاوطان الاخرى ولو كانت ضعيفة مغلوبة على أمرها
من حق في الحياة والتشوف الى الحرية والسعادة .

ان موقف المسيو شومان قد خدم قضية الصداقة
الفرنسية المغربية ، ولو أن المسؤولين عن السياسة
الفرنسية في المغرب كانوا مشبعين بالروح المشبع
بها وزير خارجية فرنسا ، لأمكن لحكومة باريس أن
تحافظ وتقوى تلك السمعة الطيبة وذلك الذكر
الجميل الذي كانت تتمتع بهما في أقطار الشرق العربي
وبالاخص في مصر زعيمة الامم العربية .

ابن عبد الكريم

فلقد بدأت أخبار الازمة تصل الى بلاد الكنانة ،
وكان أول مردد لاصدائها هو البطل الريفى محمد بن
عبد الكريم الخطابي الذى أرسل برقية الى المسيو
طرومان رئيس الجمهورية الامريكية ، لافتا نظره الى
مايجرى في المغرب ، وطالبا تدخل السلطات الامريكية
لحماية جلاله السلطان من كل اعتداء . واذا كان نداء
ابن عبد الكريم للولايات المتحدة لم يحدث المفعول
الذى كان يؤمله ، فان استنجاده بالجامعة العربية
صادف لدى اخواننا العرب كل عطف ، فلقد نهضت
الدول العربية للتعبير عن تضامنها واستعدادها

لا بجاد ملك المغرب ، وللدفاع عن قضيته وقضية بلاده
بجميع ما تملك من وسائل .

أمام هذه الحركة التي لم يكن ينتظرها مدبرو
المكيدة فلم يحسبوا لها حسابها ، رأت الحكومة
الفرنسية أن من الضروري تهدئة نفوس العرب
والمسلمين الذين هبوا ساخطين على السياسة المتبعة
نحو الملك المسلم العربي الشهم ، فصرح السفير
الفرنسي بالقاهرة أن حكومته لم يخطر ببالها أبدا خلع
ملك المغرب عن عرشه ، وانها لم تصدر لاحد بذلك
أمرا .

اذن ، لقد فشلت المؤامرة ، ان لم تكن فشلت في
جميع أهدافها ، فانها قد أخطأت مرماها الاساسي
وهدفها الاهم ، وهو خلع السلطان أو القضاء على
نفوذه نهائيا .

ان من الصعب على الكائدين أن يفكروا في التجروؤ
على العرش بعد تصريحات وزير خارجية فرنسا
ومثله بالقاهرة ، وبعد انتباه الرأى العام الاسلامي ،
بل والعالمى الى حوادث المغرب .

فماذا سيكون موقف المقيم العام بعد رجوعه من
الولايات المتحدة ، أيثابر في خطته الاولى أم سيضطر
الى ادخال تغيير في سياسته نظرا للاعتبارات الجديدة
التي طرأت في القضية ، ولو أدى هذا التغيير الى
اسخاط الاقطاعيين والاستعماريين الذين تابعوا
الحاحهم على الاقامة العامة في القيام بعمل حاسم ولو
في غياب المقيم ، واذا لم يقدم أحد في غياب المقيم على
تحمل هذه المسؤولية ، فان الخطة المدشنة في مقابلة
(٢٦) يناير قد توبعت ، وحيث أن السلطان كان طلب
الى المقيم العام تحديد شروطه كتابة وتقديم ما يدل

على موافقة الحكومة الفرنسية على خطته ، فلقد أرسل
المعتمد رسالة لخص فيها ما فاه به الجنرال جوان ،
غير أن السلطان لم يعتبر هذه الرسالة دالة على شيء ،
حيث كتبت على ورقة لا تحمل توقيعاً أو عنواناً يدل على
مرسلها .

وهكذا بقيت الحالة عند رجوع المقيم من رحلته
الأمريكية كما كانت عليه عند ذهابه ، وطبعاً طلب
الجنرال المثول بين يدي السلطان للمذاكرة من جديد
في الحالة السياسية بالمغرب ، ولقد مهد لهذا الاجتماع
بمقابلة مع سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن مقابلة
عرض فيها الأمير بقوة إيمان وحجج دامغة الموقف
المغربي ، ودافع بتوفيق عن نظرية والده العظيم
ومخزنه الشريف .

اجتماع ١٢ يبرابر

وجاء ممثل فرنسا الى القصر الملكي فى يوم (١٢)
يبرابر (١٩٥١) فماذا كان موقفه ؟
لقد تغيرت اللهجة ، وتبدلت طرق الاقناع ، وحل
الابتسام محل الغضب ، واللطف محل العنف ، ان
الجنرال جوان صديق المغرب وصديق العرش العلوى
والجالس عليه ، لم يطلب ما طلب ، ويشترط ما اشترط
الا دفاعاً عن مصلحة البلاد ، ودرءاً لآخطار الشيوعية
التي تهدد ملك المغرب ، انه لم يفكر قط فى تهديد
الجالس على العرش ، وأى حق له فى ذلك ، وانما مهمته
منحصرة فى الوساطة بين طائفتين من المغاربة يخشى
أن يقع اصطدام بينهما يؤدى الى تمزيق وحدة البلاد .
واذا ما طالب باستنكار وسائل حزب الاستقلال ، فانه
لم يطالب أبداً باستنكار مبدأ الاستقلال نفسه . ان من
حق المغاربة أن يطمحوا الى تحرير بلادهم السياسى ،

فالحماية ليست خالدة ، ان لها أجلا سيحل ، وفى انتظاره من مصلحة المغرب أن يسوده الهدوء والطمأنينة ، وهذا هو الغرض الوحيد الذى من أجله ينتظر المقيم من جلاله السلطان أن يفوه بتصريح يعيد الهدوء والطمأنينة الى النفوس ، على أنه يترك لسيدى محمد صوغ هذه الافكار فى القلب الذى يرتضيه ، أما فيما يرجع للموظفين المخزنيين فان المقيم يكتفى بارجاع أعضاء الديوان الملكى الى وظائفهم السابقة فى دائرة المخزن ، وسيسمح للهيئة المخزنية بالاحتفاظ بجميع رجالها ، وهكذا ستتمكن من الشروع فى دراسة مشاريع الظهائر المقدمة للمخزن فى جو من الصراحة والصفاء ، وشعر السلطان ولاشك أن حادثا جديدا قد طرأ على القضية، جعل لها اتجاها غير اتجاهاها الاول ، فهل سينقض على هذه الفرصة للثار لنفسه وللتعصب فى موقفه ، لايتزحزح عنه . ان حبه للوفاق وثقته بفائدة التفاهم والتفاوض لم يسمح له بذلك . فلقد قابل مجاملة المقيم بمجاملة مثلها ، وأجاب عن المقترحات الجديدة بوعد بالنظر فيها والموافقة على ما لايتناقض وشرف الملك وحقوق رعيته .

ان السلطان لايرى مانعا من الادلاء بتصريح عام ضد انتشار النظريات المادية فى مملكته ، وللدعوة الى الهدوء والسكينة وتطمين النفوس ، ولاستنكار العنف ، كما يقبل نقل أعضاء ديوانه الى وظائف أخرى بالمخزن ويوافق على درس الهيئة المخزنية مشاريع الظهائر فى اجتماعاتها مع المديرين الفرنسيين . وودع ممثل فرنسا العاهل المغربى وكل منهما يعتقد أن الازمة على وشك الانفراج ، وان حديثهما فى ذلك اليوم قد أنقذ المغرب من كارثة أليمة .

المجلس الوزارى

وبينما كان المقيم العام يتداول مع مستشاريه ، كان جلاله السلطان يعرض على مخزنه الشريف ، نتيجة محادثته مع الجنرال جوان ، ولقد غاب عن هذا الجمع دوله الصدر الاعظم المصاب بمرض ألزمه الفراش ، وانضم الى المجلس الوزارى عالمان من مجلس الاستئناف الشرعى رأى سيدنا أيده الله أن يستفتيهما فى الموقف من الناحية الدينية الشرعية .

ان ملك المغرب الذى جعل أمله فى الحياة خدمة مصالح وطنه وتحقيق أمل شعبه ينتظر من حاشيته أن تجيبه بصراحة ونزاهة عن أسئلة تتردد فى ذهنه ، بعضها ذو صبغة دينية ، والبعض الاخر ذو صبغة سياسية أو قانونية ، وهو يوجه الاسئلة الاولى الى رجال الشرع وبالاخص الى وزير العدالة والى رئيس المحكمة الشرعية وعضويها ، ان سيدى محمد أيده الله الحريص على اتباع أوامر الحنيفة السمحة يريد أن يعرف حكم الله فى التصريح الذى طلب منه لاستنكار عمل جماعة من المسلمين هى حزب الاستقلال .

ان سلطان المغرب ملك المغاربة أجمعين لم يسمح لنفسه يوما بالحنو على طائفة من رعاياه دون طائفة أخرى ، غير ان هذا لم يمنعه من منح عطفه لجميع الرجال الوطنيين المخلصين العاملين على تحرير البلاد واسعاد الامة ، وها هو اليوم ياتى الجنرال جوان طالبا وملحا ومنذرا باسوا النتائج ان لم يصرح ملك المغرب باستنكار حزب الاستقلال . فما رأى رجال الدين فى الموقف الذى يجب على امام المسلمين أن يتخذه من هذا المطلب

وانبرى للجواب رجال الدين وشارك كل أعضاء المجلس فى النقاش حول هذا السؤال ، نعم ان عنفا شديدا وضغطا كبيرا وتهديدا صريحا كل ذلك وجه لصاحب الجلالة ، والمخزن بين أحد أمرين ، اما أن يرفض رفضا باتا فكرة التصريح فيعرض عاهل المغرب والنهضة التى يقودها الى خطر عظيم ، واما أن يقبل فكرة التصريح مبدئيا ثم يبحث عن الحد الذى يتحتم أن لا يتجاوزه التصريح والحكمة الاسلامية تدعو الى اتخاذ الحل الثانى .

ان رجال الدين يجهرون بأنه يجوز لملك المغرب أن يقبل فكرة التصريح ، فدرء المفاسد مقدم على استجلاب المصالح ، ولكن بماذا يمكن أن يصرح السلطان ، أيقن له أن يستنكر حزبا مغربيا ، ان السلطان ليس لديه من المعلومات عن هذا الحزب وعن أعماله ما يبرر اصدار حكم بالاستنكار ، ثم ان الملك لا يعتقد فى قرارة نفسه أن أعضاء هذه الهيئة قد قاموا بعمل يستحقون من أجله هذا الحكم القاسى الذى يخرجهم من حظيرة الدين ، ويطردهم من جماعة المسلمين ، اذ حكم الامام ذو نتائج خطيرة لا ينبغى الاقدام عليه الا بعد كبير التروى ، وشديد الاحتياط .

نعم ان لسيدى محمد أيده الله بصفته عاهل المغرب وامامه الدينى وزعيمه السياسى ، أن يوجه لرعيته وبالاخص للهيآت السياسية المغربية نصيحة يدعوهم فيها الى التمسك فى مطالبهم بالطرق السلمية والى الابتعاد عن كل عنف ، أما أن يستنكر عمل جماعة من المسلمين فان ذلك ما لا ترضيه مبادئ الاسلام .

هذا من جهة الدين ، أما من جهة القانون فان مما يلاحظ أن الاحزاب المغربية ، ومنها حزب الاستقلال ،

ليس لها وجود قانوني حيث لم يصدر أى نص يسمح لها بمزاولة نشاطها ، واصدار حكم عليها يستوجب الاعتراف بها ، ومادام الاعتراف لم يتم من طرف الادارة فان الاحزاب المغربية انما هي أفكار ومبادئ يشبث بها المقتنعون بها ، ولذا يكون من الصعب التمييز بين فكرة حزب الاستقلال ووسائل هذا الحزب فاستنكار وسائل حزب الاستقلال معناه فى هذه الظروف استنكار فكرة الاستقلال ، وكيف يستنكر سلطان المغرب مبدأ الاستقلال وهو الذى جعل هدف حياته تحقيق هذا المطمح السامى الذى يصبو اليه كل مغربى ، و الذى لم يكن طلب تعديل معاهدة (١٩١٢) المقدم أثناء الرحلة الملكية الى باريز الا مرحلة من مراحلها .

ان المغاربة ، وعلى رأسهم ملكهم ، يجهرون بأملهم فى الوصول يوما ما يرجونه قريبا الى تسيير شؤونهم والى حكم بلادهم بأنفسهم . فاذا كان الجنرال جوان يريد من المشرع المغربى أن يتبرأ من هذا الامل وهذا المطمح ليجعل من هذا التصريح سلاحا بين أيدي الاقطاعيين ، خصوم النهضة ، والاستعماريين ، أعداء التحرير ، فان سلطان المغرب يأبى عليه شرفه ، كما تأبى عليه مصلحة بلاده أن يستجيب لطلب ممثل فرنسا .

نعم ان هذا الموقف يعرض الجالس على العرش ، الذى بفضلله خطا الوطن خطوات سريعة الى الامام ، يعرضه الى خطر يهدد لا شخصه فحسب ، اذ كل المغاربة يعلمون أن سيدي محمد أيده الله لم يفكر ولم يعمل يوما ما لسعادته الشخصية أو مصلحته الفردية بل يهدد كذلك كيان المغرب .

فهب أن خصوم النهضة قد أدركوا مبتغاهم فأجلسوا - لا قدر الله - على هذا لعرش العتيد صنيعة من صنائعهم ، يأتمر بأمرهم ، وينتهي عند نهيهم ، فماذا سيكون حينذاك حال المغرب ، أليس من الافيد أن نحاول الوصول الى حل يضمن للملك كرامته ويحفظ للبلاد هذا الرئيس العظيم وهذا القائد العبقري الذي برهن على أنه الربان الوحيد الكفيل بايصال السفينة المغربية الى شاطئ النجاة والسعادة .

ولكن يجب أن لاننسى الحوادث القريبة منا ، يجب أن لاننسى أن الاستعمار الرجعي قد استغل موقف باشا مراكش استغلالا ذريعا ، زاعما - وما أبعد زعمه عن الحقيقة - أن هذا الموظف يقود حركة دينية نبيلة ، ويوجه جماهير شعبية غفيرة ، تقف في وجه أقلية ضئيلة تريد الالقاء بالمغرب الى التهلكة ، فاذا ما قبل السلطان التصريح بنفس الافكار التي جهر بها هذا الموظف ، فيخشى أن تكون نتيجة ذلك أضعاف نفوذ عاهل المغرب ، وتجرى أذنان الاستعمار على الملك المقدى .

ثم بعد هذا ، لماذا تلح الإقامة هذا الالاح كلة للحصول على هذا التصريح ، أليس لديها من الوسائل ما يغنيها عنه ، ان تحت تصرفها جيش الحماية وقوات البوليس والحكام والمراقبين ، فلم تأبى الا أن تزج بالمشرع المغربي في هذه المعمة التي لا يريد أن يخوضها أتريد أن تجعل من هذا التصريح الملكي قانونا استثنائيا تعتمد عليه للتنكيل بخصومها دون الرجوع الى المبادئ القانونية التي تحمي الفرد وحقوقه .

نعم ان بعض رجال القانون من الهيئة الوزارية يطمئنوننا من هذه الناحية حيث يقولون ان هذا

التصريح لا يمكن أن يعتمد عليه قاض لاصدار حكم من الاحكام ، ولكن هناك التدابير الادارية ولا تذاها يمكن الاعتماد على تصريح كالتصريح الملكي ، وحيث أن الامر بهذه المثابة فان مبادئ ملك المغرب وروحه الوطنية وانصافه الانساني كل ذلك يمنع من التصريح بهذا الاستنكار ولو أدى هذا الامتناع الى زيادة الشدة فى العلاقات بين القصر والاقامة . ان سلطان المغرب يعتبر أن العلاقات بين الاقامة والقصر ليست هى العلاقات بين المغرب وفرنسا ، فهو لازل متيقنا أن بين سياسة فرنسا رجالا لا يوافقون بحال على الحطة التى سار عليها المقيم تحت تأثير عناصر رجعية من حاشيته .

ان الصداقة المغربية الفرنسية ، أى صداقة الشعب المغربى والشعب الفرنسى وصداقة رئيسى الدولتين كفيلة بالوصول الى التفاهم والى حل وسط لو لم تحل دون ذلك أغراض جماعة الاقطاعيين ومصالح الاستعماريين ، ان التفاهم الصريح مع حكومة الجمهورية الفرنسية كان ولا زال بندا أساسيا من سياسة سلطان المغرب للوصول بوطنه الى هدفه المنشود . فيجب أن يفهم الرأى العام الفرنسى أن السلطان ومخزنه ونهضته لم يكونوا يوما ما أعداء لفرنسا ، انهم قبل كل شىء وفوق كل شىء مغاربة أوفياء مخلصون لوطنهم ، معجبون بالروح الديمقراطية التى تسود القطر الفرنسى وتترعرع فيه ، ولكنهم متألمون من روح الاستبداد والطغيان البادية من بعض العناصر الفرنسية القاطنة بالبلاد المغربية ، انهم يصفقون ويتربون للمبادئ الانسانية والحقوق الاجتماعية والسياسية التى يجهر بها ويناضل فى

سبيلها رجال فرنسا العظام ، ولكنهم يتحسرون
حينما يشاهدون الادارة الفرنسية بالمغرب تتبع
سياسة الميز بين العناصر ، تعامل كل عنصر بحسب
جنسه أو دينه ، وحينما يرونها تضيق ذرعا بمطالبة
المغاربة بحقوق بسيطة يتمتع بها كل فرد فرنسى منذ
قرون . ان بعض فرنسى المغرب يسيؤون الى فرنسا
بسياستهم هذه أكثر من اساءتهم الى المغرب ، لانهم
لا يتورعون عن وصف المغاربة بأبعد الصفات عنهم ،
اذا كان ذلك يعينهم على تحريش الرأى العام الفرنسى
والعالمى ضدهم ، وآخر ما ابتدعوه هو تلك الدعاية
السخيفة التى تجعل من السلطان زعيما شيوعيا ،
ومن الوطنيين المتشبهين بدينهم وبلغتهم وبتقاليدهم
أتباعا للشيوعية الدولية ، يسيرون تحت أوامرها
ويعيشون بأموالها .

ان المغاربة بمحافظتهم الدينية وبموقع بلادهم
الجغرافى هم أبعد الناس عن الشيوعية ، انهم لم
يجربوا لحد الان من أنواع الحكم العصرية الاوربية
الا نوعا واحدا هو الاستعمار الذى ليست الحماية الا
مظهرا من مظاهره ، وهم عنه ساخطون ، وعليه ناقدون
وبه متبرمون . أما الشيوعية فلم يعرفها بعض المغاربة
القلائل الا عن طريق جماعة من الفرنسيين غضت
الاقامة عنهم الطرف فسمحت لهم بتنظيم حزب
وباصدار جريدة وبتسيير نقابات .

فكيف نتهم نحن بأننا شيوعيون ، اذا أراد أحد أن
يعرف المشجعين الحقيقيين للحركة الشيوعية
فليبحث عنهم خارج القصر الملكى وخارج المشور
السعيد ، فما هذه التهمة الا وسيلة من وسائل احراج
موقف الملك المغربى الهمام ، الذى يؤمل الاستعمار أن

يجعله بين أحد أمرين ، اما أن يرفض استنكار الحركة الشيوعية بالمغرب فينزل هذا الرفض بردا وسلاما على الصحف الاستعمارية التي ستخصص الفصول الطوال لمغزى هذا الرفض ، وما هدفها من ذلك الا اثاره الرأي العام العالمي ضد الملك ومطالبه ، واما أن يقبل الملك التبرأ من الشيوعية محمدا موقفه من حركة عالمية قوية مقبلة على الاصطدام مع حركة أخرى ، فيكون الجانب المغربي في كلتا الحالتين هو الخاسر .

نعم اذا كانت الشيوعية مرادفة للحاد ولنكران كل القيم الاخلاقية ولاستعباد الفرد ولتضحية حرية طبقة وحياتها لبناء سلطة ونظام على انقاضها ، فان كل مسلم جدير بهذا الاسم يتبرأ من الشيوعية وأتباعها وسلطان المغرب يكون أول عاهل عربي يرفع الراية لمقاومتها ، ان النهضة السلطانية حركة مستقلة قائمة بنفسها لم تخضع يوما ولن تخضع أبدا لعوامل خارجية ولا لاعتبارات حزبية ، وانما يكيد لها أعداؤها ، وحيث لم يتمكنوا من مهاجمتها صراحة ووجها لوجه ، فهم تارة يربطونها مع حركة أجنبية ، وتارة مع أعمال حزبية ، عسى أن يجدوا منفذا اليها والى الباعث فيها روح الحياة سلطان المغرب .

ان أعضاء الهيئة الوزارية يشهدون أنهم لم يشعروا بأى تأثير حزبي فى مزاوله مهامهم ولا فى تقديم مشاريعهم ولا فى التعبير عن انتقاداتهم ، وهم مستعدون لمجابته ممثل فرنسا بهذه الحقيقة التى لاغبار عليها .

نعم ان بعض أفراد الوزارة قد انضموا أو على الاقل عطفوا فيما مضى على حزب من الاحزاب ، ولكنهم منذ انخراطهم فى خدمة الركاب الشريف ، لم يسمحوا

لانفسهم بالخضوع لتعليمات حزبية ، وانما أصبح
مبدؤهم الوقوف وراء العاهل المغربى والسير فى
الطريق التى يخطها .

فما هم الا خدام العرش العلوى والجالس عليه ،
على أن المسألة ليست مسألة أشخاص ، وانما هى
مسألة مبادئ ، وما هدف الاستعمار الا توجيه ضربة
قاسية الى مبدأ الاستقلال المتجسم فى ملك المغرب
وجامع شتاته ، وموحد كلمته ، ومنظم صفوفه ،
والمناضل عن حقوقه ، والساهر على مستقبله سيدى
محمد أيده الله .

فالتأثير الروحى العميق الذى يؤثره العاهل المغربى
فى نهضة شعبه الوفى ، ذاك هو الذى أقض مضجع
الاستعماريين ، ودفعهم الى تنظيم هذه المكيدة الحاسنة
التى تومل قلب الحقائق ومغالطة الناس ، فهل سيكون
هذا التصريح الملكى الذى قر الرأى عليه عاملا على
اثبات الحق وارجاع الامور الى نصابها . ان ملك المغرب
الغيور على شرف أمته وعلى كرامة عرشه حينما يقبل
أن يفوه بهذا التصريح ، انما يفعل ذلك تلافيا
للاضطراب الذى سيثيره المغرضون ، ولكنه لايرضى
أبدا ولو هدد فى عرشه وأهله ونفسه ، أن ينطق
بكلمة تستغل ضد وطنه أو تفسر كتقهقر عن موقفه
بالمطالبة باستقلال بلاده .

فلتجعل الهيئة الوزارية هذه التصميمات نصب
أعينها ، ولتهيئ مشروع تصريح مطابق لروح المذاكرة
التى جرت بمحضر صاحب الجلالة ، وليكن هذا التصريح
ضامنا لكرامة العرش العلوى ومعبرا عن الخطة الملكية
المستقلة ، وعن استعداد سيدى محمد أيده الله للتفاهم

مع رجال الحكومة الفرنسية داخل نطاق مصلحة المغرب العليا من دون شدة ولا عنف .

وهكذا انفض الجمع الاول للمجلس الوزاري بعد ما وضعت فيه أسس الخطة المخزنية في الازمة المغربية غير أن هذا الجمع لم يكن الا الخطوة الاولى ، فلقد توالى الاجتماعات صباحا ومساء تارة بمحضر صاحب الجلالة وأخرى بين الوزراء والمناديب ، وقد قام هؤلاء بزيارة المستشار مرتين في الادارة الشريفة، كما زاروا المقيم العام في مكتبه بالاقامة ، والصدر الاعظم فى منزله حيث كان ملازما للفراش طيلة الازمة .

بين المخزن والاقامة

دام الاخذ والرد بين أعضاء الوزارة مع بعضهم وبين القصر الملكي والاقامة العامة ما يقرب من أسبوعين ، من (١٢) الى (٢٥) يبرابر سنة (١٩٥١) من دون أن يتوصل الطرفان الى حل وسط ينقذ الموقف فاذا كان الجانب المغربى وعلى رأسه صاحب الجلالة يجعل الاحتفاظ بالشرف واحترام الوطنية المغربية ، وعدم الخضوع للتهديد فوق كل اعتبار ، فان الجانب الفرنسى كان يأبى الا أن يصيب هذا الشرف ، وأن يعدد التأثيرات لآخمد هاته الحمية التى بدت من جانب المخزن ، حمية ما كان ينتظرها منه ، اذ ألف أن يرى فى الموظف المغربى مهما علت منزلته ، آلة حسبها ترديد ما يملى عليها ، والتأمين على ما يقترح عليها ، ولكن الازمة الاخيرة قد أقامت الدليل على أنه لازال بين الموظفين المغاربة أفراد جديرون بملكهم ، لا يرضون لانفسهم أن يتقاعسوا عن القيام بواجبهم فى الوقت الذى يعرض فيه ملكهم عرشه وشخصه للخطر فى مصلحة الامة المغربية وشرفها .

التصريح الملكي

قدم مشروعان أحدهما اكتسى صبغة النصيحة الدينية والآخر الصبغة السياسية وحيث أن المسألة دينية قبل كل شيء فقد تم الاتفاق على المشروع الاول ، ومثلت الهيئة الوزارية من جديد أمام صاحب الجلالة الذي كان اقتبل في صباح ذلك اليوم الثلاثاء (١٣) يبرابر مستشار الحكومة المسيو كلوزيل ، فماذا ياترى جاء المستشار يحمل في محفظته ، لقد جاء مبعوثا من طرف المقيم العام ليحدد بعض نقط المذاكرة التي جرت بين الملك والجنرال ، ان هذا الاخير أصبح اليوم يرى غير ما كان يراه بالامس ، فهو لا يكتفى بنقل موظفي الديوان الى وظائف أخرى بالمخزن كما وقع الاتفاق ، بل يرى من الضروري حل الديوان وابعاد موظفيه عن المخزن واشتمال التصريح الملكي على الاستنكار .

واطلع صاحب الجلالة مخزنه الشريف على هذا الانقلاب الجديد ، وبدا واضحا لكل ذي عينين أن عوامل خارجية تسير سياسة الإقامة ، والا فكيف يفسر هذا التناقض في موقف ممثل فرنسا ، يأتي الى القصر فيتم الاتفاق على النقط الرئيسية ، ثم يذهب الى الإقامة للتذاكر مع مستشاريه ، فاذا نقط الاتفاق تتلاشى واحدة تلو الاخرى ، واذا بمستشار الحكومة ياتي حاملا مقترحات مخالفة تمام المخالفة لما أبرم بين سيدي محمد أيده الله والجنرال جوان .

فهل سيكون القبول المبدئي لفكرة التصريح قد جعل الاستعماريين يطمعون في الحصول على مبتغاهم الكامل ، باستجلاب الجانب المغربي تدريجيا وبتأثيرات مختلفة الى الاقتناع بالوقوف في جانب الاقطاعيين أعداء التقدم .

لقد صدرت الصحافة الاستعمارية مهددة ومنذدة ومتوقحة على الجناح العالى بالله ، وجاعلة من نفسها سلطة دولية عليا تنصب الملوك وتخلعهم ، فاما أن يخضع المشرع المغربى لنظريتها ، واما أن يتخلى عن عرشه ، وستعين هى من يستحق أن يجلس على هذا العرش ، وسوف لا يكون سمو ولى العهد الامير مولاي الحسن هو الذى سيخلف والده العظيم ، اذ اخلاصه الوطنى وخدمته لمطامح قومه وسيره فى طريق التحرير المغربى ، كل ذلك لا يروق الصحافة الاستعمارية التى ترشح للعرش المغربى أفرادا جديرين بباشا مراکش وبالنظام الاقطاعى وبالسياسة الاستعمارية .

ولكن باسم من تتكلم هذه الصحافة ، ومن يمدها بهاته الترهات ، وكيف تسمح لنفسها بالخوض فى هاته المسائل التى لا يجوز لها بحال أن تخوض فيها ، نعم ان الادارة تقف موقف التردد من هذه الحملات ، فهى تارة عاجزة عن ايقاف هذا السيل ، عملا بمبدأ حرية الصحافة التى تحترمها بالرغم عن كونها لا تقبل الغاء الرقابة بالمغرب ، ولا تخفيف وطأتها ، وتارة تصرح الادارة بأن موقف الصحافة الاستعمارية موقف معقول مادام السلطان لم يقبل التبرأ من حزب الاستقلال المعادى لفرنسا وللحماية الفرنسية . واذا اراد الجانب المغربى ايقاف هذه الحملة ، فما عليه الا أن يعجل باصدار التصريح المطلوب منه ، ولكن المخزن كان يتساءل عن مصير التصريح الذى حرره ، لقد عرضه على صاحب الجلالة فوافق عليه ، وبعد ما بعثه الى الصدر الاعظم للمصادقة عليه وجهه الى الاقامة العامة على طريق الادارة الشريفة .

ولقد حرر نص التصريح من دون تدخل المكتب الملكي الذي لم يشارك في اجتماعات المجلس الوزاري ومسألة مشاركة المكتب في اجتماع الهيئة الوزارية كانت قد أثارت بعض الاستياء لا من طرف الإدارة الفرنسية فحسب ، بل كذلك من طرف بعض رجال المخزن المحافظين ، وكلا الطرفين كان يرغب في احترام الظهير التأسيسي للمخزن ، وهذا الظهير لا يعتبر موظفي المكتب من أعضاء الوزارة ، فاذا لم يأمر صاحب الجلالة باستدعاء مدير المكتب وخليفته للحضور في المداورات ، فانه ولاشك كان يعتقد أن ذلك سيكون برهانا على تسامحه ، وعاملا على تقريب وجهتي النظر ولكن الأمل قد خاب ، إذ بينما كان الجانب المغربي ينتظر من الجانب الإداري استقبال نص التصريح بما يستحقه من الاعتبار ، كانت الإقامة موعلة في شدتها ، إذ لم تمر (٢٤) ساعة حتى أعلمت صاحب الجلالة بعدم رضاها عن النص المقترح من طرف المخزن حيث لم يشتمل على النقاط التي تراها الإدارة ضرورية لازمة . فاذا كان التصريح يشتمل على دعوة إلى السكينة والهدوء ، وعلى تبرؤ من الشيوعية ومد اليد لحكومة الجمهورية الفرنسية بقصد انقاذ الصداقة المغربية الفرنسية ، فان ذلك لا يهم الإقامة بقدر ما يهمها استنكار حزب الاستقلال ، والحكم على وسائله وانتقاداته ، وجمع سيدي محمد أيده الله مخزنه يوم الأربعاء (١٤) يبرابر بقصد التشاور ، وكانت كلمة جميع الأعضاء متفقة على أن صاحب الجلالة لا يمكن أن يذهب في طريق التسامح أكثر مما ذهب ، وأن فيما قبل التصريح به ، الدلالة الكافية على حسن نواياه . فاذا ما ألححت الإدارة للحصول على أكثر من

ذلك فما هدفها الا التعنت والتعصب لجانب الاقطاعيين الذين يؤملون اضعاف السلطة المغربية المركزية على أمل توسيع نفوذهم الاستبدادي الجائر على حسابها .

ان سلطان المغرب ووراءه مخزنه بأجمعه ، يأبى أن يدخل أى تغيير على تصريحه ، ولكن كيف الخروج من المأزق ، وكيف تلافى الازمة وتحبيط المكيدة التى صار كل واحد يشعر الان بتتابع مراحلها .

اجتماع المخزن بالمستشار

لقد اقترح أحد المناديب عقد اجتماع مع رجال الادارة حتى يطلع الجانب الفرنسى على ثبات الوزارة ، وعلى استعدادها لفداء ملك المغرب بكل نفيس وغال . ان كل مخلص لوطنه يضع نفسه رهن مصلحة البلاد ، ويعد من سعادته الشخصية أن يتمكن من القيام بعمل يخفف وطأة هذا الضغط الشديد الموجه لفخر ملوك المغرب ، ان ساعة من حياة عاهل البلاد هى أعز على نفوس وزرائه من حياتهم بأجمعها . ولتقديم البراهين على ذلك قر رأى الوزارة على الاجتماع مع المستشار المخزنى . لقد كفى ما تحمل صاحب الجلالة من تهديد وضغط ، فليأخذ الوزراء والمناديب حظهم ولو كان يسيرا من هذا النضال ، فى سبيل مصلحة المغرب وشرفه .

ومع أن قواعد اللياقة كانت تقتضى أن يأتى مستشار الحكومة الذى يعد فى صفا لمديرين ، الى القصر الملكى لمقابلة الهيئة الوزارية ، فلقد قبلت هذه أن تنتقل بأجمعها الى الادارة الشريفة حيث اقتبلها بحفاوة واكرام المسيو كلوزيل وخليفته المسيو كيرمان وذلك مساء يوم الخميس ١٥ يراير .

والمسيو كلوزيل هو أحد أفراد عائلة فرنسية كبيرة ، وجده أخذ حظا وافرا في عمليات احتلال الجزائر ، ولقد لاحظ أعضاء المخزن على مكتبه صورة للامير عبد القادر البطل الجزائري الذي كافح السنين الطوال في سبيل الدفاع عن بلاده ، فهل في هذا الوفاء لذكرى الامير الجزائري الجليل اشارة الى العواطف الحقيقية التي يكنها المسيو كلوزيل للاسلام وللمسلمين ، أم ماهو الا تذكار عائلي احتفظ به المسيو كلوزيل الشاب كتذكار من رئيس عائلته الجندى المحارب .

مهما يكن من أمر ، فلقد وجد الجانب المغربي لدى المستشار ما لم يجده لدى غيره من موظفي الادارة ، اذ أنصت بشيء من العطف الى وزير العدلية نائبا عن الصدر الاعظم ، والى مندوب المعارف متكلما باسم المناديب ، وبين باسهاب كل من الوزير والمندوب الاسباب العميقة التي تحول دون استنكار حزب الاستقلال أو وسائله ، وعرض الحجج والبراهين التي تساند موقف المخزن ملفتين النظر بالخصوص الى الجانب الديني من القضية .

ان المسألة جد عويصة نظرا للمبدأ الاسلامي القائل (من كفر مومنا فهو كافر) ، ان المسلم ولو قطع اربا اربا لايقبل أن يخرج أخاه المسلم من حظيرة الدين ، ان ما يطلبه المقيم هو فوق ما يرضاه ويطيقه فرد مسلم من الرعاية المغربية ، فكيف يطلب ذلك من عاهل عظيم ومملك ديني جليل وامام محترم .

نعم اذا كانت الاقامة تريد أن تتحقق أن المخزن لايسير تحت تأثير حزب من الاحزاب ، فان الافراد الذين تدعى الادارة انتماءهم الى هيئة سياسية

مستعدون للجهر باحتفاظهم باستقلالهم السياسي ،
وبالسير وراء عاهل المغرب دون أي اعتبار حزبي .
وكان المستشار يسجل نظرية المخزن وحججه التي
قام بترجمتها وزير القصور .

ولقد عبر المسيو كلوزيل عن تأثره بوجهة نظر
القصر ، ووعد بتبليغها الى المقيم العام ، وبالقيام بدور
المدافع عنها أمام رجال الإقامة .

ولكنه كان يريد أن يعرف هل كل الوزراء
مستعدون للجهر بعدم انتمائهم الى حزب الاستقلال ،
وأمام جوابهم وعد خيرا .

وخرجت الهيئة الوزارة من الادارة الشريفة ، وقد
أخذ الامل يساور النفوس من جديد .

وبينما كان الوزراء يطلعون الجنب الشريف على
ملخص مذاكراتهم مع المستشار كان هذا الاخير يبلغ
المقيم تصريحات الجانب المغربي .

ويظهر أن المسيو كلوزيل قد وفى بوعدده فى
تعزيد المخزن والدفاع عن وجهة نظره ، ولكن مما
لاشك فيه أن سوء تفاهم قد وقع أثناء المذاكرة بين
المخزن والمستشار ، اذ يظهر أن المسيو كلوزيل قد
فهم أن كل الوزراء المغاربة كانوا مستعدين لاستنكار
حزب الاستقلال ، بينما الواقع أن بعض الوزراء قد
قبل الجهر بالتبرىء من الانتماء اليه ، ولقد كانت
نتيجة سوء التفاهم هذا أن جاء المستشار الى القصر
الملكى يوم ١٩ يبرابر مبلغا أن الإقامة قد قبلت
مقترحات المخزن الشريف فى الاحتفاظ بالتصريح
الملكى كما هو ، على أن تأخذ الهيئة الوزارية على
عاتقها عبء استنكار حزب الاستقلال ، وحيث أن
الوزارة لايمكن أن تتعلل بنفس العلل الدينية ، كما

يقول المستشار ، فان استنكارها هذا يجب أن يكون واضحا صريحا ، بل زيادة في الوضوح تقترح الادارة نص التصريح الذى يجب أن يذاع باسم الهيئة الوزارية ، كما تقترح زيادة جملة في آخر التصريح الوزارى .

ولكن الوزارة لم تقترح نفسها أبدا للقيام بمثل هذا العمل .

لقد أبت على صاحب الجلالة همته القعساء ، وكرامته العليا ، أن يخضع للتهديد أو للوعيد ، فهل يسمح الوزراء لانفسهم بالفشل والتقاعس ، هل سيدفعهم حب الدنيا والتشبث بالمظاهر الكاذبة والوظائف الجوفاء ، الى التضحية بشرفهم واستنكار حركة لايجدون فى أعماق ضمائرهم ما يوجب استنكارها ، ثم بعد هذا أليس فى استنكارهم خطر على العرش العلوى ، ان خطة الاقطاعيين مبنية منذ البداية على ايجاد جبهة وهمية تضم جميع عناصر الامة المغربية ضد الاستقلال ، فاذا ما انفعل المجلس لعامل الخوف وصادق على تصريحات الجلاوى فان عمله هذا سيعتبر ولاشك وقوفا بجانب خصوم الدولة العلوية وسيقوى الادعاء القائل بوجود خلاف بين ملك المغرب وشعبه ، فهل ستثبت الهيئة الوزارية لقد جمع جلالة الملك سيدى محمد أيده الله مخزنه الشريف ، وبعد ما عبر عن تصميمه على المثابرة فى موقفه وعدم قبوله لاية زيادة فى تصريحه ، ترك للمجلس الوزارى حرية اتخاذ التدبير الذى تمليه على الاعضاء ضمائرهم . ومع أن الجانب الاستعمارى كان يعتقد أنه سيجد بين أعضاء الوزارة المغربية أنصارا لخطته سيستغلون الفرصة لاقامة الدليل على وفائهم

لاصدقائهم ، فان الروح المغربية والانتصار للحق ومقاومة الظلم ، كل ذلك جعل من جميع الوزراء والمناذير صفا واحدا متراص البناء ، متين الاركان ، مستعدا للسير في ركاب ملكه ، وللتضحية في سبيله وخدمة القضية المغربية جهارا بالقول وبالكتابة وبالعمل .

ولقد ظهرت هاته العزيمة واضحة جلية في الاجتماع الوزاري الذي عقد في صباح يوم الاثنين (١٩) يبرابر (١٩٥١) تحت رئاسة وزير العدالة نائبا عن الصدر الاعظم .

لقد درس الوزراء الجمل المقترحة من طرف الاقامة ، وهالتهم خطورة ما يطلب منهم ، ان الادارة تريد منهم أن يعترفوا بوجود تفرقة بين العنصرين المغربيين العربي والبربري ، وذلك يجرح حتما الى الاعتراف بوجود رئيسين عربي هو جلالة الملك وبربري هو باشا مراكش ، ثم بعد هذا تؤمل أن يصرح المخزن أن مسؤولية هذه التفرقة تقع على كاهل حزب الاستقلال الذي استعمل وسائل التهديد والاكراه وسلك طريق المعاندة في المذاكرات بمجلس شوري الحكومة ، وطبعا رفض الوزراء والمناذير بالاجماع هاته المقترحات ، ملاحظين في محضر جلستهم أن النظر في مثل هاته التهم الخطرة هو من اختصاصات المحاكم ، وليس بإمكانهم الخوض فيها . على أن الهيئة الوزارية قد حررت تصريحا تراه ملائما للظروف ، وجديرا بتهدة النفوس والرجوع بالصدقة المغربية الفرنسية الى سابق صفائها ، وتلافي كل تعكير للجو . أما اصدار الاحكام بدون تريث ولا تثبت فان الهيئة ترى ذلك ماسا بكرامتها ، ومخالفا للعدل والانصاف ، وهي

مستعدة لمصارحة المقيم واطلاعه على رفضها ، بل هي
ترغب في هذه المقابلة .

ووقع الوزراء على تقريرهم هذا ، وبعدهما اطلع عليه
الصدر الاعظم الذي كان لازال ملازما للفراش وصادق
عليه ، أرسل الى المستشار المخزنى ليرفعه الى الاقامة
العامة .

فهل سيكون لهذه الصراحة الحازمة من طرف
المسؤولين المغاربة أثر فعال بالاقامة العامة ، أم
ستدفعها هاته الصراحة الى اتخاذ وسائل جديدة .

ان المقيم العام يعرف جيدا أعضاء الوزارة ، وتربطه
مع عدد منهم صداقة متينة ، فهل سيخونون هاته
الصداقة ، ذلك ما يريد أن يعرفه ممثل فرنسا الذي
استاء على ما قيل في ذلك الحين ، من موقف المستشار
حيث قبل الم كلوزيل التفاهم مع المخزن على أساس
تصريح لا يتضمن الجمل التي تشترطها الاقامة ، واذا
كان المستشار ليس بقادر على افهام الوزارة خطورة
الحالة وضرورة الامتثال ، فان المقيم سيتكلف بذلك
هو بنفسه ، وسيقبل المخزن بمكتبه وسيخاطبه
باللهجة التي سيفهمها .

وفعلا ذهبت الهيئة المخزنية باستثناء الصدر الى
مكتب المقيم في مساء ذلك اليوم (الاثنين ١٩ يبراير)
دخل الوزراء والمناديب المغاربة ومعهم العالمان الجليلان
مولاي المهدي العلوي الذي يناهز سنة الثمانين
والسيد عبد الرحمان الشفشاوني .

دخلت الهيئة المغربية ، فاذا بممثل فرنسا واقف
وقفه الجندي المحارب أمام مكتبه ، يحيط به المعتمد
بالاقامة العامة المسيو دبلسون ، وخليفة رئيس مكتبه
المدني المسيو سولي .

وأدرك الزائرون أن غضب المقيم قد بلغ منتهاه ، حيث تركهم واقفين طيلة مدة الاققبال زيادة فى قوة التعبير عن استيائه من موقفهم ، استياء بدا فى لهجته وفى اشاراته ونبرات صوته ، ان المقيم يريد أن يفهم المغاربة خطورة الحالة ، ان المغرب مقبل على أزمة عظيمة بسبب أعمال تقوم بها شرذمة من الشباب الغر الذى لا يدرك نتائج أعماله ، لقد وجد هؤلاء الشباب آذانا صاغية فى القصر الملكى مما جعل لاعماله صدى فى أنحاء المغرب ، ولكن المقيم سيعرف كيف يبين لهؤلاء الشبان قيمتهم الحقيقية ، انهم أقلية ضئيلة تتبرأ منها العناصر المغربية الاصيلة بأجمعها ، لقد تواردت على الاقامة مآت العرائض باستنكار عمل حزب الاستقلال ، فرأى الشعب المغربى واضح جلى ، فاما أن يخضع القصر لهاته الارادة الشعبية ويعبر عن تضامنه معها وبراءته من الاتصال بالوطنيين المتطرفين ، واما أن يستعد لمجابهة حرب أهلية يشنها سكان البوادي على سكان المدن ، ان الامر اذا لم يتداركه المخزن سيؤول الى حملة بربرية ضد العواصم والمقيم يتحرر من كل مسؤولية ، ويعلن أنه سوف لا يحرك ساكنا حينما تخترق القبائل البربرية المدن مقتلة ومذبحة وهاتكة للاعراض ، بل سوف لا يحرك ساكنا ولو بلغ الهجوم جدران القصر الملكى .

ان الوزراء سيأتون حينذاك مستغيثين متشفعين ، ولكن المقيم يندرهم من الان أنه سيتترك الحوادث تجرى مجراها حيث نصح فلم يستمع لنصيحته أحد ، وأرشد فلم يعبا بارشاده .

ان المغاربة لا يقدرّون الامور حق قدرها ، ولا يعرفون قيمة القوات الموجودة فى المغرب ، انهم

يحسبون أن للمخزن نفوذا حقيقيا في جميع أطراف البلاد ، غير أن الحوادث ستفتح أعينهم ، إذ لو أن حفلة عيد أقيمت في هذه الظروف لعرف القصر الملكي ما يتمتع به من نفوذ ، ان الشعب المغربي سيضرب عن حفلات الهدية . نعم سيضطر بعض قواد النواحي القريبة من العاصمة وأعضاء الوزارة للحضور في هاته الحفلات لانهم لايمكنهم غير هذا ، ولكن الشعب ورؤساءه وعناصره التقليدية ، سيعلنون عن سخطهم على سياسة التطرف التي يشد عضدها سلطان المغرب ان الهيئة الوزارية تزعم أن مبادئ الاسلام ، تحول دون استنكار عمل حزب الاستقلال ، وهذه حجة واهية فلقد سبق للمخزن أن أصدر استنكارا لاعمال الحركة الوطنية ، كما يوجد في الحياة السياسية بالشرق الاوسط أمثلة على استنكار الملوك للحركة الوطنية المتطرفة ، مثل حركة الاخوان المسلمين .

ان المقيم ينبه الى خطورة الحالة ، والى ضرورة التعجيل بالاستنكار ، وهو لايقبل الا ادخال الجمل المقترحة في صلب التصريح ، ويؤمل أن تفهم الهيئة الوزارية ضرورة ذلك .

وكان الوزراء ينصتون الى كلمات المقيم صامتين متألمين ، فلما انتهى ممثل فرنسا من الكلام ، حاول مندوب المعارف عرض وجهة نظر المخزن ، محاولا التفاهم وادخال شيء من اللطف في الحديث ، ومذكرا بالابتسامة التي ألف رجال المخزن أن يجدوها لدى ممثل فرنسا ، ولكن الجنرال جوان قاطعه قائلا ، ان الوقت ليس وقت ابتسام ، ان الحالة خطيرة ، وقد أندرتمكم ، اننى أنتظر وصول تصريحكم متضمنا للجمل التي اقترحتها ، اننى لأأريد منكم استنكار

فكرة الاستقلال ، ولكن استنكار وسائل حزب الاستقلال ، على أنى سوف لا أعمد الى اتخاذ أى تدبير ضد حزب الاستقلال بسبب أعماله الماضية ، فالماضى لايهمنا بقدر ما يهمنا المستقبل ، ولا أرى ضامنا للمستقبل الا فى رفع السحاب المظلم الذى كدر السماء ، ولا سبيل الى ذلك الا بقبول ما اقترح عليكم ، وهذا كل ما أريد أن أقوله لكم .

وخرجت الهيئة الوزارية بعد ما سمعت وأدركت ما يتعرض له المغرب وعاهله العظيم من أخطار جسام أقضت مضجع الرجال المخلصين .

وفى صباح الغد الثلاثاء (٢٠) يبرابر اجتمع المجلس الوزارى من جديد ، لاتخاذ موقف من طلب المقيم ، واذا كان قسم من أعضاء المخزن قد ثابر فى اعتقاده بضرورة الثبات الى النهاية ، فان القسم الآخر كان يرى أنه من حسن السياسة أن يبحث عن وسيلة لانقاذ الموقف ، وانه لا بأس بادخال جملة تشير الى استنكار وسائل حزب من الاحزاب ، أو هيئة من الهيآت السياسية ، من دون ذكر حزب الاستقلال ، وبعد مداوات طويلة وقع الاعضاء على النص الجديد للتصريح المخزنى ، وامتنع كاتب السطور وكان اذ ذاك مندوبا للمعادن من التوقيع على تصريح مخالف للتصريح الملكى .

ان نزول المخزن عند رغبة الاقامة سوف لا يفسر كدليل على سعيه للتفاهم ، بل سيكون معناه خضوعه للقوة ، لقد عرض المخزن حججه وعرضت الاقامة براهينها واحتفظ كل من الجانبين بموقفه ، فكيف يمكن اليوم الاستسلام الى هذا البرهان الجديد ، برهان التخويف والترهيب ؟ ان مندوب المعادن يفضل

أن يقدم استقالته ، تاركا لزملائه تحمل مسؤولية ما هم عليه مقدمون في حق الملك وفي حق الامة .

أليس من الخطر جدا على موقف السلطان المعظم ، أن يمتنع هو من التصريح بالاستنكار ، ثم يصرح وزراؤه بهذا الاستنكار ؟ ان هذا معناه وجود خلاف بين الملك وهيأته الوزارية . وهذا ما يسعى اليه خصوم العرش العلوي ، الذين يلفقون الحجج والتوقيعات لخلق جبهة ضد سيدي محمد أيده الله .

ثم ان الامة المغربية بأجمعها ، قد وضعت أملها في الهيئة الوزارية المغربية للدفاع عن شرفها ، منتظرة منها أن تقف الموقف الشريف الجدير بملكها العظيم وبرعيته الوفية .

اننا مشرفون على مرحلة خطيرة من مراحل الازمة ، فهل سنثبت على مبادئنا وننسى أنفسنا في سبيل الصالح العام .

نعم مراعاة لظروف خاصة ، قبل كاتب هذه السطور أن ينضم الى زملائه ، بعد ما حرروا رسالة وجهوها الى المقيم العام ، عرضوا فيها وجهة نظرهم ، وذكروا بمراحل الازمة وبمقابلة المقيم العام ، فاذا ما أدخلوا فقرة من الفقرات المقترحة ، فانما فعلوا ذلك تحت تأثير الاحاح الشديد من طرف الجنرال جوان ، على أنهم ينتظرون منه أن يفي بوعدده في عدم مؤاخذة أية هيئة أو أي فرد بالوقائع الماضية .

واتحدت كلمة المجلس الوزاري ، ووقع الاتفاق على زيارة المستشار لتقديم النص الجديد للتصريح ، وقد أرفق برسالة تبين الظروف التي حدثت بالهيئة الوزارية ، الى قبول الاشارة الى وسائل هيئة من الهيآت السياسية ، وراغبة من المقيم أن يعلن من

جهته بأن التصريح المخزني سوف لا يستغل للتنكيل
بخصوص الاستعمار ، ولا لحرمان بعض رعايا جلالته
الملك من حق الدفاع عن أنفسهم .

واستقبل المستشار الهيئة المخزنية للمرة الثانية
مساء الثلاثاء (٢٠) يبرايير ، وبمجرد ما اطلع على
جواب الحكومة المغربية ، أعلمها أنه مكلف من طرف
المقيم بتبليغها أن الاقامة لا تقبل أى تفاهم الا اذا
أدرجت الجمل المقترحة فى التصريح ، والا فسيقع ما
لا تحمد عقباه ، واذا ما قبل المستشار النص المقدم له ،
فليس معنى ذلك أن هناك تساهلا من الجانب المقيمى ،
بل سيكون عناد المخزن - كما يقول المستشار - سببا
فى اثاره الفتنة ، ان المقيم قد أنذر وحدد أجلا لتلقى
الجواب ، ولكن المخزن - كما يقول المستشار - قد
رفض الانذار وأهمل الاجل .

وأثناء المذاكرة كان الاتصال متوايما تلبثوننا مع
المقيم مباشرة لاطلاعه على مجرى الحديث .

وتشبت الجانب المغربى بموقفه ، مصرحا بأن
مقترحاته الاخيرة هى الحد الذى لا يمكن تجاوزه ، فاذا
رفضتها الاقامة فلا فائدة فى محاولة أخرى ، ان الهيئة
المغربية مصممة على الثبات الى النهاية ، فلتفعل الاقامة
ما تشاء . وخرج الوزراء والناديب وقد امتلأت قلوبهم
حماسا وايمانا ، غير أن مظاهر التضيق والتشديد
على القصر الملكى قد تمادت ، بل تضاعفت من ذلك
الحين ، اذ أن تلك المراقبة السرية ، التى كان يقوم
بها رجال الشرطة على المشور السعيد ، قد كشفت عن
وجهها القناع ، فوقفت جماعة من البوليس أمام الباب
العليا والسفلى للمشور ، تحصى على الداخلين
والخارجين حركاتهم ، وتسجل أرقام السيارات

المتوجهة الى القصر العامر ، موقفة الواردة من خارج الرباط ، وكلفت جماعة من الشرطة بتتبع خطوات الملك نفسه ، فصارت دراجات نارية لاتفارق سيارته الخاصة ، عندما يخرج للفسحة والاستجمام ، وللوصول الى الهدف ، لم تتورع الادارة عن المشاركة فى هذا الضغط ، فلقد كان برياض لصاحب الجلالة موجود بضاحية العاصمة ، عدد من العملة تستخدمهم ادارة الفلاحة ، فلما اشتدت الازمة بين القصر والاقامة ، أرسلت هذه الادارة الامر الى عملتها بايقاف العمل ، وجمع الآلات وبافراغ المحل فى الحين .

كل هذا يجرى وصاحب الجلالة ملك المغرب ، محتفظ بهدوئه ورباطة جأشه ، انه يعمل للدفاع عن حق أمة ، وكرامة ملك ، وشرف عرش ، انه لم يتعد على أحد ، ولم يفرط فى حقوق حكومة ، ولم ينطو على عدااء لدولة ، فلم هذا التعنت وهذا التصلب من جانب الاقامة ؟ أتريد اهانة الامة المغربية بخنق حماسها ، بتنويع مظاهر العجز والضعف ، وتذكير المغاربة بأنهم مغلوبون على أمرهم ، مقهورون فى عقور دارهم ؟ والا فما معنى ذلك الامر الصادر من الاقامة العامة ، بتجريد الحرس السلطانى من تلك الاسلحة التى يحملها عند خروج صاحب الجلالة الى صلاة الجمعة ؟ أيخشى جيش الاحتلال الفرنسى خطر هذا الحرس ، الذى لايتجاوز عدده مآت من الرجال ؟ أم لم يقصد بهذا التجريد من السلاح الاتعبيد الطريق أمام القبائل التى يقول انها ستهاجم القصر الملكى ، أما علم الاستعمارىون أن الامة المغربية بأجمعها تحرس عاهلها العظيم ؟ وان المغاربة يحيطون ملكهم بأفئدتهم

ويفدون به بأرواحهم ، ويستमितون في سبيل الدفاع عن شرفه ومبدئه .

ان الشعب الاعزل الضعيف ، سيكون خير حارس لسلطانه ، وسيكون النصر حليفه ، حيث أن الحق في جانبه ، والظلم في صفوف خصومه ، ولكن الاهواء تلعب بالعقول ، فتدفعها الى تدابير لا تكون نتيجتها الا ايفار الصدور ، وتوسيع شقة الخلاف ، وخلق فتنة كان الكل في غنى عنها .

ولكن الاستعماريين كانوا مصممين على المثابرة في الطريق التي رسموها ، والخطة التي هيأوها ، ووجدوا لدى الاقامة الاذن الصاغية ، والاستعداد الكافي للمشاركة في نظريتهم .

ففي يوم الاربعاء (٢١) يبرير ، جاء المعتمد بالاقامة العامة المسيو دبلصون نائبا عن المقيم العام الذي كان في أكادير للمشاركة في مؤتمر مع والى الجزائر ووالى افريقيا الغربية ، جاء المسيو دبلصون ليرفع الى علم الجلالة الشريفة القرار الذي اتخذته الاقامة العامة ، لقد قرع عزم الجنرال جوان على قطع العلاقات مع القصر الملكي ، حيث لم يعمل المخزن بنصيحته ولم يستمع الى ارشاده .

ولكن ماذا يقصد المعتمد بقطع العلاقات ؟ هل المقيم يريد أن يشعر السلطان أن فرنسا قد تنازلت عن تعهدا بحماية الملك وعائلته ، حسبما جاء في معاهدة (١٩١٢) ؟

أم يريد الجنرال جوان أن يفهم سيدي محمد أيده الله ، أن محاولات قد شرع فيها ترمى الى مبايعة أحد أفراد العائلة العلوية الشريفة ، فردا يكون ممثلا لاوامر الاقامة ، خاضعا لتعليمات الادارة ، يضع يده

فى يد الاقطاعيين للسير معهم فى الطريق التى رسموها .

مهما يكن من أمر فلقد ألقى المعتمد قنبلته بقوة وعنف ، وخرج منتظرا صداها .

ولم يكن هذا الهجوم الجديد ، لياخذ من عزم صاحب الجلالة ، الذى كان يتصور تمام التصور الروح المتشبع بها الاستعمار ، والتأثير الذى يتمتع به فى بعض أوساط الاقامة ، ولكن سؤالا واحدا كان يتردد فى ذهنه ، من بداية الازمة الى نهايتها ، وهو هل الحكومة الفرنسية على علم بما يجرى فى المغرب ؟ أم هى فى شغل شاغل عنه ؟ أتكون نتيجة الرحلة الملكية والترحاب الفرنسى والمفاوضة الصريحة والاتصالات الودية ، توالى هذه الضربات الموجهة لشخص السلطان وللعرش العلوى ، وللإمة المغربية ، أكون الصديق الوفى رئيس الجمهورية الفرنسية والرجل المنصف وزير الخارجية قد صادقا على هاته الخطة الحمقاء وهاته التدابير الطاغية ، التى عمدت اليها الاقامة العامة ، لارضاء أصدقائها الاقطاعيين ، وبعض موظفيها الجشعين ، ولاخفاء فشلها الادارى واخماد صوت معارضيها الوطنيين .

لقد أخبرت الاقامة بقطع العلاقات ، فماذا سيعقب هذا القطع ؟ لقد التفت الهيئة الوزارية حول ملكها فى مساء ذلك اليوم الاربعاء (٢١) يبرابر ، وحضر فى اجتماعاتها لاول مرة سمو ولى العهد الامير مولاي الحسن ، وكان موقفه موقف الرجال الاحرار ، ان حياة الشدة مع الاحتفاظ بالشرف والعزة ، خير من حياة الترف مع الذل ، ان العرش العلوى لايقبل الالهانة ، ولايرضى بالخنوع ، وسوف يفهم أصدقائه من رجال

الحكومة الفرنسية ، البواعث النبيلة التي تجعله لايتزحزح عن موقفه ، ولا يستسلم للتهديد والتهريج وقرر رأى صاحب الجلالة ، على ارسال برقية الى رئيس الجمهورية مفصلة تطورات الازمة ومعلمة بالتعنت الذى يلقاه ملك المغرب من جانب الاقامة بالرغم عن تسامحه سعيا للوصول الى الوفاق .

لقد قبل صاحب الجلالة أن يفوه بتصريح يعيد به الطمانينة للنفوس ، كما قبل نقل موظفى ديوانه الى وظائف أخرى ، ووعده باعادة النظر فى مشاريع الظهائر المقدمة اليه ، مع أنه كان من حقه أن يتشبث بموقفه ، اذ لاشىء يبرر مطالب المقيم التي لايمكن أن تعتبر الا تعديا صريحا على حقوق العرش وكرامته ، وسلطان المغرب ينتظر من رئيس الجمهورية الفرنسية ومن حكومتها أن يتدخلا فى الامر ، لاعطاء التعليمات الواضحة لممثل فرنسا حتى تحفظ للامة المغربية حقوقها ، وتضمن للبلاد طمانينتها وترجع للنفوس ثقتها ، وأرسلت البرقية على طريق الاقامة العامة .

وفى ذلك اليوم أشيع فى القصر الملكى بأن الصدر الاعظم ، قد أعرب للمستشار المخزنى عندما زاره هذا الاخير عن عدم معارضته فى ادخال الجمل التي يقترحها المقيم فى صلب التصريح ، وعملت الاشاعة غملمها فى النفوس ، فاذا كان رئيس الحكومة على وفاق مع ممثل فرنسا ، فان الحالة تتخرج جدا .

ان من الواجب على الهيئة الوزارية أن تقوم بزيارة رئيسها ، لمعرفة رأيه وحقيقة ما أشيع ، وفعلا فى ظهر يوم الجمعة (٢٣) يبرابر ، دخل الوزراء والمناديب على الصدر الاعظم الذى كان لازال ملازما للفراش ، وقد

ظهرت عليه آثار الاعياء ، وتقدم وزير العدالة لاطلاع الصدر الاعظم على سبب الزيارة ، ولكن السيد الحاج محمد المقرئ قاطعه قائلاً ، انه ليس الافردا من جماعة وانه لا يختار لنفسه طريقا غير طريق رفقائه ، واذا كان ألمه من المرض شديدا ، فان ألمه من عدم قدرته على العمل بقوة فى صد الهجمات الموجهة أشد وأعظم .

ان الصدر من الهيئة الوزارية ومعها ، ويتحمل حظه الاوفر من المسؤولية عن موقفها ، ان من يزعم أن هناك خلافا بين الهيئة الوزارية والصدر الاعظم ، قد نطق بخلاف الواقع ووجه تهمة جريئة لاحجة له عليها .

وخرج الوزراء والمناديب وكلهم اعجاب بكلمات هذا الشيخ الوقور ، الذى لم ينل من عزمه توالى السنين ولا تعاقب الحوادث .

ان صف الوزارة ثابت متراص ، فماذا سيكون موقف الإقامة ؟ لقد تخلف المستشار عن زيارة صاحب الجلالة يوم السبت (٢٤) يبرابر ، فهل تريد الادارة أن يكون الحصار على القصر الملكى تاما شاملا ؟ فتحول بين سلطان المغرب وايصال صوته الى الخارج ، لقد أرسلت البرقية الى باريز ، وأعلن السلطان رسميا حل الديوان ، ونقل أعضائه الى وظائف أخرى ، مقيما بذلك دليلا جديدا على سعيه للتفاهم ، فى حدود الحق والشرف ، ولكن صار من الواضح أن الإقامة لا تريد تفاهما أو تفاوضا ، وانما هدفها القضاء على النفوذ الملكى ، وما قطع العلاقات الا تمهيد لتدبير خطر يظهر أن الاستعمارين قد نجحوا فى الزام المسؤولين بالقيام به ، فهل ستكفى البرقية الملكية لتنبية حكومة باريز واقناعها بمنح الازمة المغربية ماتستحق من الاهتمام ؟

لقد روت الصحف الباريزية فى صفحاتها الاولى ، وبأحرف بارزة ، خبر قطع العلاقات بين القصر والاقامة ، وعلقت عليها تعاليق مختلفة بحسب ميولها ، ولكن كلها كانت متفقة على خطورة الحالة فى المغرب ، وحادثة الوزارة على اتخاذ التدابير اللازمة .

وإذا كانت الحكومة الفرنسية لحد الان لم تتخذ موقفا صريحا من سياسة الجنرال جوان فى المغرب ، فان التطورات الاخيرة اضطرتها الى تنظيم اجتماع لبحث مسألة قد تتطور تطورا خطيرا ، ولكن من سيمدها بالمعلومات الحقيقية عن الازمة ؟ ان المقيم مسؤول أمام وزارة الخارجية عن السياسة المغربية ، فهل سيقبل المجيء الى باريز للافصاح عن خطته ؟ ولتبيين أسباب هذه السلسلة المتوالية من الاصطدامات بين القصر والاقامة ، أم سيحتفى بذلك التفويض الذى منح له عند تعيينه مقيما عاما ؟ ولكن هذا التفويض قد منح له لاثبات الامن واعادة الثقة ، لا للوصول بالعلاقات الفرنسية المغربية الى ما وصلت اليه ، وإذا كان الامر بهذه المثابة ، فلم لا ترسل الحكومة أحد أعضائها أو لجنة للوقوف على الحقائق بالمغرب ؟ لقد راجت هذه الفكرة ، ولكن يظهر أن الجنرال جوان قد رفض أن يسمح للجنة فرنسية أن تقوم ببحث عن سياسته فى المغرب ، ان ذلك ماس بكرامته ، وغير جدير بالجندى الذى تعده فرنسا لتمثيلها فى الدفاع المشترك عن أوروبا الغربية ، وللقيام بهذا البحث ضرر آخر فى نظر الاستعماريين ، هو تشجيع الجانب المغربى واعطاؤه فرصة للدفاع عن نفسه وعرض حججه .

ان من المؤلم للمغاربة أن تدرس الحكومة الفرنسية القضية المغربية ، من دون أن تنصت الى صوت مغربي ولا أن تستمع الى وجهة نظر السلطان ، ولا أن ترسل مبعوثا يتصل به ، لقد استدعت المعتمد بالاقامة العامة لاطلاعها على جلية الامر ، ولكن أنسيت أن هناك أمة وملكا وعرشا لا يمكن بحال من الاحوال أن يتكلم باسمهم المسيو (دبليسون) ؟

ان المسألة مسألة خلاف بين القصر والاقامة ، فلم تنصت الى جانب دون الآخر ؟ نعم لقد فكر المخزن في ارسال وفد الى باريز ، للدفاع عن وجهة نظره ، ولكن من أين له الوسائل ؟ ان الوزير المغربي لا يمكن أن ينتقل من المغرب الى فرنسا الا اذا حصل على تأشير كبقية الرعايا المغاربة ، في الوقت الذي يتمتع فيه الاستعماريون بكل التسهيلات .

لقد هال هؤلاء تدخل الحكومة الفرنسية ، وخشوا أن يدفع التعدي الواقع على الامة المغربية . ضمائر أعضاء الوزارة الى رفع الظلم عن المغاربة ، لقد جمعوا جموعهم وحشدوا رجالهم وامتطت وفودهم متن الطائرات ووجهتها باريز .

فاذا كانت الحكومة الفرنسية تزعم اتخاذ تدابير بالمغرب ، فانها في نظرهم لا يمكن الا أن تخضع لرأي المعمرين والتجار الفرنسيين ، الذين يدعون أنهم أوجدوا المغرب من العدم ، وزينوا تاج الامبراطورية الفرنسية بهذه الجوهرة الثمينة ، ان كل تسامح مع المغاربة معناه في نظرهم ضياع هذه الجوهرة ، والمعمرون يعرفون كيف يدافعون عن نتيجة عملهم ، ويظهر أن حجج الاستعماريين وتهديداتهم قد عملت عملها في نفوس أعضاء الوزارة ، الذين أنصتوا الى

المسيو (دبلصون) الواصل الى باريز يوم الجمعة مرفوقا بوفود من أعضاء القسم الفرنسي بمجلس شورى الحكومة الناقلين على أعمال جلالة السلطان ، والمحبذين لسياسة الشدة مع المغاربة ، والمطالبين بامداد الجنرال جوان بالنفوذ الكافى لاتمام مهمته بالمغرب ، ولم يطل مقام المعتمد بباريز ، اذ فى مساء يوم السبت (٢٤) يبرايير امتطى من مطار العاصمة الفرنسية الطائرة راجعا الى المغرب ، مزودا بتعليمات الحكومة الفرنسية .

فماذا ياترى كان موقف باريز ورجالها ؟ وماذا كان نظر مختلف الاحزاب والشخصيات ؟ لقد تكلمت الصحافة الفرنسية عن وجود خلاف بين أعضاء الوزارة حول السياسة المغربية ، ولكن الصحافة الاستعمارية كانت تكذب تكذيبا باتا هذا الخبر ، مدعية أن الحكومة بأجمعها راضية عن خطة الاقامة بالرباط ، محبذة لسياسة القوة المتبعة ، موافقة على ارغام ملك المغرب على الاختيار بين الاستسلام لشروط الاقامة أو التنازل عن العرش .

وأشرقت شمس ذلك اليوم المشؤوم ، يوم الاحد (٢٥) يبرايير ، اليوم الذى أراد خصوم سلطان المغرب وخصوم نهضته وآماله وشرفه ، أن يجعلوا منه اليوم الحاسم فى هذه المعركة العنيفة ، بين الحق الاعزل ، والباطل المسلح ، والنهضة الروحية الطاهرة ، والرجعية المادية المغرضة ، وبين التقدم الجرىء الذى ينظر الى المستقبل باسمه ، والاقطاعية التى تحاول عبثا أن توقف سير الزمان ، وبين السلطة المغربية الشرعية ، وجماعة الاستعماريين الذين يودون القضاء على روحها ومظاهرها .

أشرقت شمس ذلك اليوم أمام سلطان المغرب سيدي محمد أيده الله ، وقد قضى ليلته بأجمعها ساهرا مفكرا ، لا في مصير شخصه أو أولاده أو عائلته ، بل في مصير وطنه العزيز ، وفي مصير أبنائه الاعزاء المغاربة الكرام ، وفي مصير هاته الامة النبيلة التي خدمها فتشبتت به ، وناداهما فهبت لندائه ، وأيقظها فنهضت للحياة تسعى وللحق تعمل ، وللمجد تجد ، ولم تكن الليلة هي الاولى التي قضاهما في السهر والتفكير ، فلقد مضى على الملك الجليل ما يقرب من شهر ، لم يذق فيه طعم النوم الا غبا ، ولم يهدأ ذهنه من البحث والتنقيب عن وسيلة تضمن للبلاد وحدتها ، وللوطن مستقبله الزاهر ، فكان اذا جن الليل ، أتى الابن البار الامير مولاي الحسن ، والاخ الوفي خليفة نزيت الامير مولاي الحسن ، فكانا يسهران مع العاهل المفدى الشطر الكبير من الليل ، وكثيرا ما كان سمو ولي العهد يأبى الا أن يلبث واقفا الى الصباح برا بوالده العبقري .

وكان الملك ورفيقاه تارة ينصتون الى مقرىء مجيد ، يرتل آيات الذكر الحكيم ، وتارة يستعمون الى آخر الاخبار المذاعة من محطات الراديو ، أو يتلقون الاخبار الداخلية بواسطة بعض آلات التليفون ، التي لازالت لم تمتد الى أسلاكها الايدي التي قطعت أسلاك جل الآلات الرابطة بين القصر والخارج .

وفي الساعة السابعة من صباح يوم (٢٥) يبرابر رن جرس التليفون في مكتب سلطان المغرب ، فاذا بالمتكلم هو مستشار الحكومة ، يالها من مفاجأة غريبة ان اليوم يوم عطلة ، والساعة باكرة جدا ، وما عهد صاحب الجلالة من المستشار أن يكلمه فى مثل هذه

الساعة ، فماذا ياترى جد من الحوادث ، حتى حدا به الى المكالمة ؟ ألم يكف الادارة ما ألفت على القصر من أعباء ؟ وما وجهت من تهديدات وما وضعته فى طريقه من أشواك ، لم يكن المسيو (كلوزيل) الا مبعوثا من طرف المعتمد بالاقامة العامة المسيو دبلصون ، لقد وصل المعتمد الى الرباط راجعا من باريز ، حاملا رسالة موجهة الى جلالة السلطان ، وهو يريد مقابله فى الحين .

ولكن أما كان بإمكان المعتمد أن ينتظر الى الغد أو ما بعد الغد لتبليغ هاته الرسالة ؟ وما سبب هذا الاستعجال ؟ وأدرك صاحب الجلالة من الحاح المستشار أن حادثا خطيرا يهياً ، ان فى رجوع المسيو دبلصون بهذه السرعة أمرا ، فليكن ما قدر الله ...

وحدد صاحب الجلالة الساعة الثانية عشرة لمقابلة المعتمد ، وأصدر الملك أمره باستدعاء المخزن للاجتماع فى الصباح ، ولم يكن ذلك بالشىء اليسير ، اذ كان غادر العاصمة عدد من أعضاء الهيئة الوزارية ، ذهب بعضهم الى فاس ، وبعضهم الى البيضاء ، ولكن الشىء الذى أثار الاهتمام والتساؤل ، هو غياب الصدر الاعظم عن العاصمة الرباطية ، لقد زار الوزراء والمناديب السيد الحاج محمد المقرى قبل يومين ، فوجدوا آثار الاعياء والتعب الشديد بادية على محياه ، ولم تكن حالته العامة تسمح لاحد أن يقول ان فى امكانه أن يقوى على تحمل مشقة السفر قبل أسبوعين أو ثلاثة ، فهل لهذا البرء المفاجيء مغزى ؟

مهما يكن من أمر ، فلقد توارد الوزراء والمناديب الواحد بعد الاخر على مكتب السيد احمد بن مسعود الكاتب الخاص للجلالة الشريفة ، وكان الجميع يتساءل

عن سبب هذا الاجتماع المستعجل ؟ ولكن الاخبار صارت تتوارد من ذلك الحين آتية من مختلف الجهات ، فادا كان نبأ رجوع المسيو (دبلصون) من باريز قد أقلق بال الهيئة الوزارية ، فان الاخبار الداخلية كانت أشد وقعا عليهم ، ان عددا من المسافرين الواردين على الرباط لاحظوا حركة غير عادية للقبائل ، حركة وجهتها العاصمة المغربية ، لقد لبس رجال القبائل أبهى ملابسهم ، وامتطوا فرسانهم حاملين الرايات المغربية والفرنسية ، ومنتظمين في صفوف متراسة ، فهل ستكون هاته القبائل هي التي أشار اليها المقيم العام في حديثه مع الهيئة الوزارية يوم اقتبلها في مكتبه ؟ ولكن مظاهر الزينة والابتهاج البادية على هاته القبائل لاتدل على أنها تنوى الدخول الى الرباط بقصد القتل والفتك والنهب ، بل كل شيء يبرهن على أنها مسالمة ، وزيادة على هذا فالهدوء في المدينة شامل لا في الاوساط المغربية فحسب ، بل كذلك في الاوساط الاوربية ، ولو كانت القبائل تقصد شرا لساد الرعب في هاته الاوساط التي لايمكن أن تتصور أن القبائل ستهجم على المدينة بقصد الفتك بسكانها المسلمين ، دون أن يصل أذاها الى الاشخاص الاجانب وأموالهم .

ان حركة القبائل حركة اصطناعية ، نظمت وأثيرت لهدف خاص ، ولو كانت حقيقية لكانت دليلا جديدا على فشل الادارة في سياستها التي لم تسر بالمغرب وبحكومته مرحلة تذكّر ، حيث أن السلطان ومخزنه وشعبه بعد أربعين سنة من عقد الحماية ، يجدون أنفسهم في سنة (١٩٥١) مهديدين من طرف رجال

القبائل المشاغبيين ، كما كانوا فى سنة (١٩١٢) فهل هذا هو هدف الحماية ؟ وهل هاته هى الطريقة التى ستسير بالدولة الفرنسية الى انجاز وعدها بالمحافظة على السلطة المغربية المركزية ، وبتنميتها واعدادها لتسلم مقاليد الامور ، واثبات الامن والهدوء فى أطراف البلاد ، بواسطة جنودها وحكامها وموظفيها ؟ أم ان فكرة المحافظة على السلطة المغربية المركزية ، لم تكن الا وسيلة استعملت لتبرير توغل جنود الاحتلال فى مختلف نواحي القطر ، حتى اذا ما جنيت ثمارها رجع الاستعمار الى طبيعته ومبدئه الاساسى (فرق تسد) ، باثارة القبائل والرؤساء وطبقات السكان بعضهم على بعض ، ولكن أنى له أن يتوصل الى مبتغاه ؟ وقد جمع سيدى محمد أيده الله شتات أمته ، ووجد بين عناصرها وطبقاتها ، اذن فما سبب حركة هذه القبائل ؟ لقد وصل خبر آخر مفاده أن فاس مهددة هى كذلك من طرف القبائل المجاورة لها ، العازمة على احتلالها واخضاعها ، ولكن ما شأن فاس فى الازمة ؟ ان السلطان بالرباط ولم يقع فى فاس أدنى حادث يمكن أن يتخذ كمبرر لمهاجمتها ، فهل هناك سر ؟

ان مما يخشى أن يكون هدف الهجوم على عاصمة الشمال ، هو خلق جو من الرعب واثارة فتنة تسمح باغتصاب بيعة من علماء القرويين تحت تأثير الضغط والارهاب .

ألم يشع أن الجلاوى وأعوانه ، قد جعلوا من فاس مركزا من مراكز دعايتهم ، وانهم قد أغدقوا المبالغ الباهضة على بعض رجال القرويين ؟

بقدر ما كانت تتقدم ساعات يوم (٢٥) يبرابر ،
بقدر ما كانت تنوع الاخبار والاشاعات يحملها رواة
مخلصون ، أو يروجها دعاة مغرضون أو يهولها
سياسيون بارعون ، ولكن تحقق للجلالة الشريفة
ولهياتها الوزارية ، أنه في الساعة الحادية عشرة لم
تكن تفصل العاصمة الرباطية عن القبائل المتحركة ،
الامسافة لاتزيد على عشرين كيلومترا ، وان فرقا من
الجنود نازلة بغابات ناحية الرباط .

فهل هناك علاقة بين هاته المظاهرات المعادية ،
وبين المهمة التي يريد القيام بها المعتمد الراغب فى
مقابلة السلطان ؟ ان الدقائق كانت تمر وكأنها
ساعات طوال ، وكانت الهيئة الوزارية لازالت منتظرة
فى قلق واضطراب ، فى مكتب الكاتب الخاص للجلالة
الشريفة .

وفى الساعة الثانية عشرة تماما ، وقفت أمام
المكتب سيارة المعتمد ، ونزل المسيو (دبلصون) وصعد
الى قبة القصر ، حيث اقتبله صاحب الجلالة سيدي
محمد أيده الله ، والعرف المخزنى يقضى أن لا يحضر
الوزراء والمناديب ، فى المذاكرات التى يجريها
السلطان مع موظفى الإقامة ، لذا اضطرت الهيئة
الوزارية الى الانتظار .

لقد قضى أفرادها ساعة من أشد ساعات حياتهم ،
ساعة توالى أثناءها على أفئدتهم عوامل الامل واليأس
والرجاء والعطف والغضب ، وطال الحديث بين جلالة
الملك والمعتمد بالإقامة العامة ، فهل هذا ينبىء بخير
أو بشر ؟ أهو دليل على وجود ميدان للمفاهمة ، أم
معناه تشبث الإقامة بالتحصيل على مبتغاها بكل
الوسائل ؟

فى الساعة الواحدة بعد الزوال ، خرج المعتمد بعد ما أدى مهمته ، وأسرع الوزراء والمناديب الى قبة النصر ، متلهفين الى الاطلاع على جلية الخبر ، وانعقد المجلس تحت رياسة صاحب الجلالة ملك المغرب أعزه الله ، وفى جو من الرزانة والثبات والاباء والشمم ، أطلع سيدى محمد أيده الله مخزنه الشريف على موضوع زيارة المعتمد .

ان المسيو (دبلصون) جاء من باريز يحمل رسالة الى صاحب الجلالة ، وجهها اليه صديقه المسيو (فانسان أوريول) رئيس الجمهورية الفرنسية ، وفى هذه الرسالة كما أشارت الى ذلك جريدة (لومند) فى عددها الصادر فى (٢٧) يبرابر (١٩٥١) ، يلح الرئيس باسم هذه الصداقة على ملك المغرب فى تلافى أزمة عنيفة بين البلدين ، ان الحوادث الاسيفة التى كدرت جو العلاقات المغربية الفرنسية ، يجب أن لاتنسينا الاهداف المشتركة ، التى تعمل الحكومة الفرنسية فى اتفاق تام مع جلالة السلطان على تحقيقها ألا وهى اعداد المغاربة الى تسيير شؤونهم بأنفسهم وتهيئتهم تدريجيا لذلك الاستقلال الذاتى الذى به يتشبثون ، واليه يحنون ، ذلك الاستقلال الذى سينحقق فى مراحل متوالية قد تتطلب عشرة أعوام ، وقد تتطلب خمسة عشر عاما ، حتى تتمكن فرنسا من اتمام مهمتها على أحسن حال .

ولكن من الضرورى ومن المفيد للمغرب ولنهضته أن يتلافى كل اضطراب قد يؤدى الى الفوضى .
لقد تذاكر صاحب الجلالة أثناء رحلته الى فرنسا مع رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة ، فوجد لديهم تفهما لمطالبه ، وعظفا على مطامح شعبه ، واستعدادا

لايجاد الوسائل لارضاء رغباته ، نعم بعد رجوع صاحب الجلالة من رحلته ، اجتمع مجلس شورى الحكومة ، وأثناءه ألقىت كلمات جارحة في حق فرنسا وساء رجال الحكومة الفرنسية أن يستقبل السلطان استقبالا طويلا الافراد الذين فاهوا بهذه الكلمات ، مما جعل الفرنسيين يتساءلون ، هل السلطان من أعداء فرنسا أم من أصدقائها ؟ ان رئيس الجمهورية الفرنسية له ثقة في امكان تحقيق الوفاق بين الدولتين وحيروسيطة لذلك هو أن يعهد السلطان الى لجنة أو لجان مختلفة بدراسة الوسائل الصالحة ، التي تؤدي بالمغرب في مراحل وفي أقرب وقت ممكن ، الى الاستقلال الداخلي ، الذي يحرص السلطان على ضمانه لمملكته .

لقد دفع المعتمد بالاقامة العامة رسالة رئيس الجمهورية الى سلطان المغرب ، واذا كان ألح في المثول عاجلا بين يدي صاحب الجلالة ، فما ذلك الا لسرعة تطور الحالة بالبلاد .

ان هذا اليوم ، يوم (٢٥) يبرابر ، هو يوم قد يحمل في غضونه للعرش العلوي وللمجالس عليه ، ولصير بلاده ، الاخطار الجسام ، ولذا فان المسيو (دبلصون) جاء يذكر سيدي محمد أيده الله ، بالمطالب التي قدمتها الاقامة ، لا باسمها بل باسم الحكومة الفرنسية ، ولدى السلطان الان الحجة الكتابية ، التي كان يرغب في التحصيل عليها ، والتي تدل على أن الجنرال جوان لم يقدم على ما أقدم عليه ، الا بعد استشارة حكومة باريز وموافقتها ، واذا كان لازال عالقا بذهن صاحب الجلالة أدنى ريب في موقف حكومة الجمهورية ، فان المعتمد يؤكد له أن رجال الحكومة

يعضدون باجماع سياسة الإقامة بالرباط ، ويرون مع المقيم أن من اللازم الضروري أن يفوه السلطان بتصريح يزيل كل التباس ، والافان الحوادث ستجري مجراها ، وسيكون العرش العلوي من أول ضحاياها ، لقد بلغ السيل الزبا فاما أن يرضخ السلطان ، واما أن يتنازل عن عرشه ، ذلك ما جاء المعتمد يبلغه لجلالة الملك ، وهو يريد جوابا في الحين ، ولكن حيث أن سيدي محمد أيده الله ، يريد أن يأخذ مهلة للتفكير فان المعتمد يقبل أن يحدد الساعة السادسة من عشية الاحد (٢٥) يبرابر كآخر أجل قبل أن تأخذ الإقامة التدابير المكلفة باتخاذها ، والمعتمد لا يقبل مذاكرة أو جدالا ، فانما هو حامل انذار ومبلغ رسالة ، وليس بإمكانه أن يبدل أو يغير فيما أنيط به ، فليتحمل السلطان مسؤوليته .

وسيدي محمد أيده الله يود التشاور مع مخزنه قبل اتخاذ القرار النهائي أمام هذا الهجوم الجديد ، ان شرف ملك المغرب يأبى عليه أن يتنازل عن موقفه ، لقد تساهل حبا في الوفاق ، وسعيا لتلافي الازمة ، ولكن بدون جدوى ، لقد فصل في البرقية التي أرسلها الى باريز ، العوامل التي تحول دون الاستنكار المطلوب ، كما بين فيها الترضيات التي قبل منحها لوجهة النظر الفرنسية ، فهل لم يطلع رجال باريز على مضمون برقيته ؟ ان ما يعرفه صاحب الجلالة عن انصاف المسؤولين من أعضاء الحكومة المكلفين بالعلاقات المغربية الفرنسية ، يجعله يتساءل هل ليس في الامر غموض ؟ ان الصحف الباريزية كانت أعلمت بتحديد يوم الاثنين (٢٦) يبرابر لعقد اجتماع المجلس الوزاري الفرنسي بقصد دراسة القضية المغربية ،

فلم تلح الاقامة فى الحصول على جواب السلطان قبل هذا الاجتماع ؟ ألا يكون الغرض من ذلك هو الحيلولة بين المجلس الوزارى الفرنسى ودراسة القضية بامعان واهتمام ، حيث أن الاقامة سترسل الى باريز ، نبأ انتهاء الازمة وعدم الاحتياج الى اثارها من جديد ، بعرض القضية على المجلس ، ان التحصيل على مهلة يومية ضرورية للتبصر فى الامر ، ولكن المعتمد يأبى الا أن يحصل على جواب قبل السادسة فما العمل ؟

ان بعض رجال المخزن بناء على رسالة رئيس الجمهورية ، يميل الى الاعتقاد بأن وجهة نظر الحكومة الفرنسية ، قد تخالف وجهة نظر الاقامة العامة ، فاذا كانت الادارة بالرباط تتشبه بمعاهدة (١٩١٢) ولا تقبل أية مذاكرة الا داخل نطاقها بعد الاعتراف بدوام صلاحيتها وبالتخلي عن المطالبة بالاستقلال ، فان باريز على ما يظهر تقبل التفاهم على أساس الاستقلال الداخلى ، وليس من المفيد للقضية المغربية أن تهمل هذا الاستعداد البادى من طرف الحكومة الفرنسية . نعم انه ليس بجدير بملك المغرب وبشرف الامة المغربية ، أن يتزحزح السلطان عن موقفه بقبول استنكار الاستقلال ، غير أن مثابرة الجانب المغربى فى موقفه ، قد يخدم قضية الاستعمارين الذين صوروا القصر ورجاله للرأى العام الفرنسى وللحكومة الفرنسية ، كأعداء لفرنسا ، متعصبين ضدها ، ورافضين كل اقتراح ووساطة ، ودعايتهم هذه قد فعلت مفعولها ، حيث لم يسمح للمغربى برفع صوته فى القضية ، ولذا فان الهيئة الوزارية يجب أن تقبل ادخال جملة فى تصريحها ، تشير الى استنكار وسائل

حزب من الاحزاب ، محتفظة من جهة بكرامة الملك ،
ومقدمة من جهة أخرى دليلا جديدا على تسامحها .
وبما أن المسألة تهم الهيئة ، فلقد ترك صاحب
الجلالة لوزرائه الحرية فى اتخاذ الموقف الذى يرضى
ضميرهم ، ولا يتناقض مع شرفهم .

واتحدت كلمة المخزن على الاقتراح الاخير ، بشرط
أن يكون التصريح باسم الصدر الاعظم ، كما جرت
العادة بذلك ، لا باسم الهيئة الوزارية .

وبما أن السيد الحاج محمد المقرئ كان بالبيضاء
فلقد أرسل له النص الجديد للتصريح ، وانفض
الجمع بعد ما دام أربع ساعات ، كانت تتخللها اتصالات
تليفونية مع المستشار الذى كان يستعجل القصر فى
تحديد موقفه .

واطلع المقيم العام حوالى الساعة الخامسة على
النص الجديد المقترح من طرف المخزن ، فماذا ياترى
هو فاعل ؟ كان من المنتظر ومن المعقول أن يكتفى بما
حصل عليه ، لاسيما وقد وصلت رسالة رئيس
الجمهورية التى كانت بالرغم عن كل شئ سببا فى
احياء بعض الامل فى النفوس .

ولكن مدبرى المكيدة ، لم يقبلوا أن تكون ثمرة
كيدهم هذا الحل الوسط الذى يربط الصلة المباشرة
من جديد بين عاهل المغرب وبين الحكومة الفرنسية ،
انهم كانوا أخذوا العدة للقيام بالادوار الرئيسية
الاولى فى قلب نظام ، وتأسيس آخر ، وخلع ملك
وتنصيب صنيعه ذلول ، فماذا سيكون موقفهم حينما
تفشل المكيدة وينقشع الغبار ؟

لقد هرع الى الرباط باشا مراکش الحاج التهامى
الجلوى ، وبعض رجال قبيلته يتبعهم العيادى ،

ولوحظت قافلة سياراتهم فى عشية الاحد متوجهة الى
الاقامة العامة ، فهل كان وصول هذا الوفد باستدعاء
من المقيم العام الذى كان يريد أن يستشير القائدين
الكبيرين قبل البث فى القضية ؟ أم جاء الرجلان يحملان
الى ممثل فرنسا أخبارا هامة ؟

مهما يكن من أمر ، فلقد أثارت حركة القائدين
اشاعات جديدة ، يقول بعضها ان الجنرال جوان
سيكلف باشا مراکش ورجال قبيلته باحتلال القصر
الملكى ، وبانزال السلطان عن عرشه ، ويزعم الآخر
أن الجلاوى جاء يحمل الى ممثل فرنسا نص البيعة التى
حصل عليها بفاس ، لصالح أحد أفراد العائلة العلوية
ولكن الذى لامراء فيه ، هو مشاركة باشا مراکش
وقائد الرحامنة فى تسيير العمليات ضد صاحب
الجلالة سيدى محمد أيده الله ، الذى كان يواجه هذه
الحملات بايمان ثابت ، وعزيمة قوية ، وصبر جميل ،
وثقة كبيرة فى الله .

جلس سيدى محمد والتف حوله أفراد عائلته
الشريفة ، ولى عهد الامير مولاي الحسن ، والامير
مولاي عبد الله ، وأميرة النهضة وأختها ، والجميع
تحت تأثير الوالد العظيم ، يترقبون بآباء وشمم ما
يضممر لهم الدهر بين طياته .

لقد انفض الجمع الوزارى ، ولم يبق بالقصر الملكى
الا وزير القصور الذى لازم مكتبه منتظرا جواب
الاقامة عن النص الجديد ، وفى الساعة السادسة رن
جرس التليفون ، فاذا بمتكلم على لسان المقيم ، يطلب
من وزير القصور أن يتوجه فى الحين الى الاقامة
العامة لامر هام .

ودخل السيد محمد معمري الى مكتب المقيم ، فاذا
برجال الاقامة مجتمعون وكأنهم فى مجلس حربى
يستعدون لحوض المعركة الحاسمة ، لقد قوبل الوزير
بجفاء عظيم ، ولم تجد كلماته ولا حججه ولا تذكيره
بماضى العلاقات المغربية الفرنسية ، وما كان يسودها
من انسجام ، أى صدى فى العقول أو القلوب .
لقد أفهم أن مهمته منحصرة فى تبليغ آخر رسالة
يوجهها الجنرال جوان الى سلطان المغرب ، ان ممثل
فرنسا يعلم صاحب الجلالة أن الشعب المغربى غاضب
على سياسة القصر ، تآثر على الخطة التى يسلكها
العاهل فى تسيير شؤون مملكته ، ولذا فان رجال
القبائل واقفون على أبواب الرباط وفاس ، يريدون
احتلال العاصمتين للقضاء على العناصر التى تقود
البلاد الى الهلاك ، ان السلطان معرض لان يخلعه شعبه
المستعد لمبايعة أحد أفراد العائلة العلوية ، والمقيم
العام لا يمكن أن يقاوم هذا التيار وهو مضطر لآخذ
التدابير رعيًا لذلك ، فاما أن يرضى السلطان أمته
بإبعاد رجال حاشيته الذين لا يرتضيهم الشعب ، واما
أن يأخذ أهفته للتوجه الى بلدة خارج المملكة المغربية ،
ويترك الجنرال جوان للسلطان حرية اختيار البلدة
التى يريد الالتجاء اليها ، واذا قر رأى سيدى محمد
على الحل الاول فليوقع البرتوكول الواصل اليه ، وليكن
التوقيع قبل الساعة الثامنة من مساء الاحد ، والا
فليعتبر السلطان نفسه منزلا عن عرشه ، وليكن
مستعدا لمغادرة قصره فى الحين ، حيث أن الجنرال
جوان مسؤول أمام حكومته عن سلامة السلطان
وسلامة عائلته التى ستكون معرضة لاشد الاخطار فى
وسط القبائل المهاجمة .

وخرج وزير القصور من الإقامة العامة ، حاملا لهاثة الرسالة الخطرة ، فكيف كان اقتبال السلطان للصدمة الجديدة هذه ، لقد تقبلها بصدر رحب ، وثبات أولى العزم ، الصابرين المحتسبين الواثقين بالعدل الالاهي الناصر للمظلومين .

الشعب المغربي ثائر على سياسة القصر الملكي ، يالها من دعوى باطلة ، وياله من منطق معكوس ، ان سخط الشعب المغربي على سياسة ملكه ، معناه زهده في الحياة وابتعاده عن المدنية و كراهيته للتحصيل على حقوقه ، واسترجاع ازدهاره ومجده وحريته .

أليس الشعب المغربي كالشعوب الاخرى ، يتوق الى السير فى قافلة الامم الراقية المتمتعة بهنائها ، وخيرات ترابها ، واستقلال حكومتها . أليس المغاربة كبقية بنى الانسان يطمحون الى العيش فى بلادهم مكرمين عزيزين ، لهم الاسبقية على غيرهم فى حدود وطنهم ؟

لقد عمل سلطان المغرب على تحقيق هذه الاهداف فى صالح رعيته ، فكيف يثور شعبه على سياسته ؟ ان الساخطين الثائرين على سياسة الملك ليسوا هم المغاربة ، بل هم الاستعماريون وخدامهم الاقطاعيون ، الذين ضاقوا ذرعا بهذا الشعب الذى أخذ يفتح عينيه الى الحياة ، وينظر الى المستقبل بأمل ، ويسهر لآخذ حقه .

ان سلطان المغرب لم يعمل عملا ، ولم يفه بكلمة الا وكان هدفه خدمة الامة المغربية ، ورفع مستوى حياة الشعب المغربي ، وحفظ كيان الدولة المغربية ، واعادة سابق مجد المغرب ، وتمتين روابط الوحدة المغربية ، وتمكين المواطن المغربي من جميع حقوقه السياسية

والاجتماعية ، فهل هذه هي السياسة التي يتظاهر
ضدها رجال القبائل ؟ والتي من أجلها يريدون انزال
الملك عن عرشه وابعاده عن عاصمته .

ان سيدي محمد لم يتخذ من العرش العلوي وسيلة
لخدمة مصالحه الشخصية ، أو تقوية سلطته الفردية ،
وانما جعل منه مؤسسة موقوفة على تهية الامة
لتسيير شؤونها بنفسها ، وعلى تحرير البلاد من كل
اعتداء وطمغيان ، ان هاته الامانة مودعة عنده ، وليس
من حق ممثل فرنسا أو غيره ، أن يرغمه على تضييع
هذه الامانة ، ان سلطان المغرب يتشبه بحق ، ولا
يتنازل عن عرشه ، ولا يوقع (البروتوكول) الذي
أرسله الجنرال جوان ، وليكن ما قدر الله .

ولكن هناك الامة المغربية ، وهناك النهضة
السلطانية ، وهناك الامل الذي تبعته في أفراد
الشعب المغربي قيادة هذا الملك العظيم ، الذي يفديهم
بنفسه ، وهناك المعركة السياسية المثارة بين القصر
الملكي ورجال الاقامة ، لقد طلبت هذه من سلطان
المغرب أن يستنكر الاستقلال فأبى له شرفه ، وأبت
له كرامته ، أن يمس من قريب أو بعيد ، هذا المبدأ
الذي جعل تحقيقه هدف حياته ، لقد كانت نتيجة ثبات
الملك أن اضطرت الاقامة تحت تأثير حكومة باريز - ولا
شك - الى الاكتفاء بالتصريحين ، الملكي والوزاري ،
كما اقترحهما المخزن الشريف .

فهل من حسن السياسة أن يرفض توقيع
(البروتوكول) الذي يحاول أن يخلق عراقيل جديدة ،
تحول دون انفراج الازمة ، ودون ظهور الحق واضحا
جليا ؟

ان الخلاف لحد الان لم يشهد الا حول نقطة واحدة ،
هى استنكار أساليب حزب الاستقلال ، فلم تثار فى
آخر ساعة مسائل جديدة ، وتقدم بصيغة الانذار ،
ويحدد أجل ساعتين للبت فيها ؟ أتريد الاقامة أن تدفع
سلطان المغرب الى اتخاذ موقف تجعله مبررا أمام
الحكومة الفرنسية ، لتدبير يجعل باريز أمام الامر
الواقع ، فتضطر الى تعضيد ممثلها بالرباط ،
بالرغم عن عدم تحبيذها لسياسته ، ان مصلحة المغرب
تحتم أن يعمل السلطان على تحييط هاته الخطة ، ولو
بالتوقيع على (البروتوكول) الذى أراد له محرروه أن
يكون بلاغا يعلنون فيه انتصارهم فى معركة لا يفتخر
ضابط صغير بذكرها فى سجل أعماله ، فكيف بقائد
عظيم ، يرن اسمه فى العالمين القديم والجديد .

لقد أراد الاستعمار أن يهين ملكا جليلا ، وأن يوجه
ضربة قاتلة الى فكرة سامية ومبدأ مقدس ، ولكن أنى
له ذلك ؟ لقد حسبوا أنهم بلغوا مبتغاهم حينما جاء
المستشار المسيو (كلوزيل) فى الساعة الثامنة من
مساء ذلك اليوم المشؤوم ، يوم الاحد (٢٥) يبرابر ،
يرافقه ضابطان ، فلما مثل بين يدى صاحب الجلالة
مطالبيا بالتوقيع ، لم يتمالك من التعبير عن تقديره
واعجابه بتضحية هذا الرجل العظيم ، الذى وقف قوته
وجسمه وفكره على خدمة الشعب ، وها هو الان يضحى
بعاطفته فى سبيل مصلحة الامة المغربية .

نعم ان ملك المغرب كان مضحيا حينما وقع على
(بروتوكول) ٢٥ يبرابر ، اذ يعلم الله ويعلم الذين
حظوا بشرف خدمة هذا الملك الهمام ، ان سيدى محمد
ابن يوسف أيده الله ، لم يوقع رغبة فى الاحتفاظ
بالملك ، ولا حبا فى مباهج الدنيا ومتاعها ، ولا رهبة

من شقاء النفى وعذابه ، بل لم يوقع الا خدمة للشعب
المغربى وحفظا لمصالح أمتة العليا .

نعم لقد اغرورقت عيناه بالدموع ، حينما كتب
تلك الكلمتين (صار بالبال) التى لاتدل على موافقته ،
بل على اطلاعه على (البروتوكول) ، لقد وجه نداء الى
الرب الرؤوف الرحيم المطلع على ما تكنه الصدور ،
اللهم اشهد ، انى لم أوقع الا تحت الضغط حقنا لدماء
رعيتى ، ودفاعا عن مصلحة وطنى ، وتحبيطا لخطة
خصوم البلاد الذين يكيدون لها كيذا ، اللهم اشهد ،
ان قوات الظلم قد تضافرت على عبد من عبيدك ، أراد
الخير لامته ، ولم يضمم شرا أو عداء لفرد أو دولة أو
أمة على وجه البسيطة ، فهل ترضى يارب أن يخيب
أمله وأن يضيع حقه ، وأن يخمد صوته وأن يقهر
كفاحه ؟

لقد خرج المستشار ومعه (البروتوكول) بتوقيع
سلطان المغرب ، وحمله الى الإقامة ، فلم تمر ساعة
حتى كانت القبائل راجعة ، وتاركة العاصمتين وراء
ظهرها .

فكيف أمكن الاتصال بها واطلاعها على
(البروتوكول) الذى يرضى رغباتها ؟ ان
البروتوكول سرى لم ينشر ، والتصريحان لم يذاعا
الا يوم الاثنين ، فكيف توصلت الإقامة الى اقناع رجال
القبائل ؟

ان الحقيقة هي أن حركة القبائل حركة اصطناعية ،
نظمتها أيد خفية استعمارية ، استعملت وسائل الدس
والتهريج والاغراء ، فبثت دعواتها يجلبون الرجال
بمختلف الحيل ، اذ جعلت بعضهم يعتقد أنه ذاهب
للمشاركة فى اقتبال ضيف كبير وارد على المغرب ،

والبعض الآخر يظن أن حفلة ستضم صاحب الجلالة والمقيم العام ، وهكذا جاءت القبائل مدفوعة بهاته الترهات ، وهى لاتدرى ماذا يفعل بها ؟ وبهذا تمكن خصوم المغرب ، خصوم نهضته وتحريره من الحصول على شبه انتصار ، اذ أن ما جاء فى (بروتوكول) ٢٥ يبرابر ، لايقدم ولا يؤخر القضية المغربية فى شىء ، نعم لقد أذاعت الاقامة التصريحيين ، الملكى والوزارى ، جاعلة لهما العناوين الضخمة ، ونشرت الصحف الاستعمارية نصهما ، ممهدة بما يفيد أن المخزن يستنكر الاستقلال ويتبرأ منه .

كما أعلنت عزل أربعة أفراد من أعضاء المخزن ، هم وزير الاوقاف السيد احمد بر كاش ، ومندوب المعارف السيد عبد السلام الفاسى ، ومندوب الاقتصاد والتجارة السيد عبد الله الصبيحى ، ومندوب المعادن كاتب هذه السطور ، وحلت الديوان الملكى ، وأخرت عن وظائفهم أعضاء وهم السيد محمد ابا حنينى ، والسيد مسعود الشيكرك ، والسيد محمد القباج .

ويتضمن (البروتوكول) زيادة على هذا تعيين عدد من الموظفين ، مكان الموظفين المبعدين ، أو فى وظائف أخرى شاغرة منذ مدة ، بسبب الخلاف الواقع بين القصر والاقامة .

وأرفق (البروتوكول) بلائحة تضم أربعة عشر من مشاريع الظهائر التى كانت موضوع الاخذ والرد بين القصر والاقامة ، وقد عجزت الادارة عن اقناع المخزن بوجهة نظرها منطقيا ، فهى تريد اكراهه عسكريا على الموافقة على هذه الظهائر ، وبالاخص على ظهير تنظيم

البلديات ، ومشاركة الاجانب فيها ، وظهير النقابات
وظهير نظام المعادن .

هذا هو (البروتوكول) الذى طالما تحدثت ونوهت
به الصحف الاستعمارية ، والذى ليس هو فى الواقع
الاطورا عنيفا من أزمة مزمنة ، ابتدأت بخطاب طنجة ،
فى أبريل سنة (١٩٤٧) ولم يكن تعيين الجنرال جوان
مقيما عاما بالمغرب ، واصطدامه مع النهضة السلطانية
ورحلة فرنسا ، والمذكرة المغربية ، وتقارير مجلس
شورى الحكومة ، وموقف الجلاوى من جلالة السلطان ،
الامظاهر من عراك بين فكرتين ومبدأين وسياستين ،
الحق والقوة ، والاستعمار والاستقلال ، العنف
والتفاهم .

لقد وقع (البروتوكول) فماذا حصلت عليه الاقامة
التي تعمل باسم فرنسا من نتائج ، لقد ساقنا الى
المحكمة أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ، وهم
السيد محمد اليزيدى ، والسيد عمر بن عبد الجليل ،
والسيد غازى ، والسيد عبد الكريم بن جلون ، بتهمة
اذاعة مناشير سرية ، فلم تجد المحكمة ما يبرر
التشديد عليهم فأصدرت عليهم أحكاما خفيفة أوقفت
فيما بعد تنفيذها .

ثم أبعدت الادارة عددا من أعضاء حزب الاستقلال
العاملين ، نذكر من بينهم السيد المهدي بن بركة .
فهل تعد هذه الاعمال ربحا للسياسة الفرنسية
بالمغرب ؟ وانتصارا لحطة الاقامة العامة ، التي جعلت
من تحريج موقف جلالة السلطان ، واستعمال القوة
والعنف ضده أساس سياستها .

إذا كان الاستعماريون قد أوهموا أنفسهم باحراز
نصر حاسم ، فان فرنسا الديمقراطية الحرة ، قد

خسرت بسبب جشع الاستعماريين عددا من أصدقائها
وجزءا كبيرا من السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها
في العالم الاسلامي .

لقد كان من نتائج بروتوكول (٢٥) يبرايير أن
حفرت هوة عميقة بين المغاربة والفرنسيين الساكنين
بالمغرب ، فاشتد حنق رجال القبائل على الاستعمار
الذي غرهم وخدعهم وضلل بهم مرتين ، عندما أخذ
التوقيعات وبصمات الاصابع ، وعندما قادهم الى
أبواب العاصمة ضد ملكهم الذي يفدونه بأرواحهم ،
وخلت قاعة الاقامة وقاعات الحفلات بادارات النواحي
من النخبة المغربية ، نخبة المفكرين ، ونخبة التجار ،
ونخبة الفلاحين ، وتعرقل سير الغرف الفلاحية
والتجارية ، وجلسات مجلس شورى الحكومة ، وقاطع
المغاربة جميع المظاهرات الثقافية والاقتصادية ، وساد
عدم الاطمئنان أوساط التجارة والصناعة الاوربية ،
واحجمت رؤوس الاموال الاجنبية عن المساهمة في
المشاريع المغربية الفرنسية ، فهل هذه هي النتائج
التي كانت تؤملها الحكومة الفرنسية ؟

لقد أراد الاستعمار التخلص من الملك العظيم ،
جلالة سيدي محمد أيده الله ، فباء بالخيبة الكبرى .

لقد نهضت العروبة ونهض الاسلام ونهض الرأي
العام الشرقي والعالمي المنصف ، يعلنون استنكارهم
لسياسة الاكراه والعنف ضد سلطان المغرب .

لقد تضامنت الشقيقتان تونس والجزائر ،
وتظاهرت مصر الكنانة ، وسوريا ، ولبنان ،
والعراق ، وشرق الاردن ، وحتى الباكستان في أقصى
الشرق الى أختها المسلمة في أقصى الغرب ، واحتجت
الهند وأندونيسيا .

وذكرت أوربا أن في العالم شيئا اسمه الاسلام ،
وان الوحدة الاسلامية ليست حلما من الاحلام .
لقد تألمت البلاد العربية والاقطار الاسلامية لألم
المغرب ، فوجد المغربي لدى أخيه العربي المسلم عطفًا
وحنانا ونجدة ، زادت ثقته ثباتا ويقينه قوة في
استمرار تلك العاطفة السامية ، التي تضم العرب
والمسلمين أين ما كانوا .

ان اجتماع كلمة العرب والمسلمين على نصرة ملك
المغرب كان من أهم الحوادث السياسية في العالم
العربي ، لقد كان لوقوفهم صفا واحدا متراصا أبلغ
الاثر في معنوية الشعب المغربي الذي سيبقى مدى
الدهر مدينا لآخوانه الشعوب العربية والمسلمة ، بما
قدمته له من مواساة ومؤازرة وتعزية ودفاع .

لقد مرت على البلاد المغربية شهور ظنت نفسها
فريدة منعزلة مهملة مكتوفة الايدي أمام خصمها ، الى
أن قام الشرق الاسلامي مدفوعا بعاطفة الانصاف
والانتصار للحق ، يضمد جرح المغرب ، محاولا رفع
الحيف الذي لحق هذا الشعب النبيل وملكه الجليل .

لقد تجاوزت جنبات العالم الاسلامي بدوى المأساة
الاليمة التي كان المغرب مسرحا لها ، وتناقضت
الاخبار وتصادمت حول اسبابها وعوارضها ونتائجها
فاذا كانت بعض البرقيات التي لم يعرف لحد الان
مرسلوها ، قد أخبرت بتهديم مساجد فاس وخرق
الدبابات لشوارعها ، فان عددا من الصحف
الاستعمارية ، كانت تنكر وقوع تصادم بين النبخة
المغربية والمصالح الاستعمارية ، زاعمة أن الهدوء
والامن سائدان في المغرب ، وان الامة المغربية راضية

سعيدة بالسياسة التي سلكتها الادارة الفرنسية بالمغرب .

نعم ان هذه الادارة قد سمحت لشخصية صحافية مصرية أن تزور البلاد ، وأن تتصل بالعاهل العظيم ، وبالرجال المسؤولين ، ولكنها لم تقبل أن تعيد التجربة مرة ثانية ، اذ كان الدكتور محمود عزمى هو الصحافى المصرى الوحيد الذى تمكن من الاطلاع مباشرة على جانب من الازمة المغربية الفرنسية ، أما زملاؤه فلقد وقفت الادارة دون وصولهم الى الرباط ، حيث كانت تصريحات عزمى ومقالاته المنشورة بالاهرام ، مثالا لما ستنتشره الصحف المصرية الاخرى ، لو سمح لمبعوثيها بدراسة القضية عن كثب وبالاطلاع على خفايا الامور .

ولكن فيما حمله الدكتور عزمى فى حقيبتة ، وفى الجواب الملكى الشريف على الاسئلة الثلاثة التى ألقاها عليه الصحافى المصرى الفذ ، دليل كاف على عنف الاصطدام بين الملك المغربى والمقيم الفرنسى ، والمطامح القومية والمصالح الاستعمارية .

وهذا الجواب الملكى ، هم أفضل ما نختم به هذا هذا الجزء ، الذى عملنا الجهد فيه على التحرى والنزاهة والتثبت من الاخبار ، فعساه يجد لدى المسؤولين عن مصير العلاقات الفرنسية المغربية ، وعن مستقبل الوطن العزيز ، وعن ازدهاره المادى وتطوره السياسى والاجتماعى والثقافى ، الاذن الصاغية والعقل المنصف .

لقد كان بالامكان تلافى حوادث يوم (٢٥) يبرابر ، ذلك اليوم المشؤوم الذى يعد وصمة فى جبين

الاستعمار ، وتعديا على أبسط حقوق الانسان ، حقه
فى تكوين رأيه وفى التعبير عنه .

ان ملك المغرب يقول :

ان توقيعنا على بروتوكول (٢٥) يبرابر (١٩٥١)
كان نتيجة لعوامل متعددة ، أهمها :

(١) التهديد الذى وجه الينا بواسطة وزير القصور
والتشريفات ، من بعض شخصيات الاقامة العامة ،
أثناء المخابرات التى كانت جارية بين القصر والاقامة
العامة فى ذلك اليوم .

(٢) حركة قبائل أتى بها من جهات متعددة ، دون أن
تعلم الباعث الحقيقى لتحريكها ، فرابطت على أبواب
فاس وسلا والرباط .

(٣) اجتناب ما كان يتوقع من عواقب سيئة، للعوامل
الانفة الذكر ، اضطررنا مع هذه الاسباب جمعيتها الى
ارضاء مطالب الاقامة العامة .

ان سبب الازمة هو غير ما أشيع من أننا رفضنا
بعض المشاريع القانونية المقترح علينا قبولها ، اذ
الازمة فى الواقع ترجع الى الرغبة التى أعرب عنها مقيم
فرنسا العام ، فى أن يصدر منا استنكار لاساليب
حزب الاستقلال ، والى عدم نزولنا عند هذه الرغبة .
ولقد قدم المقيم العام هذا الطلب قبل سفره الى
أمريكا بلهجة لاتخلو من تهديد .

أما مشاريع الظهائر الشريفة المقترح امضاؤها ،
فاننا لانرفضها أو نشير بتعديلها الا بعد أن تدرسها
لجان قصرنا الشريف ، وتبدى نظرها فيها ، مستندة
الى الاوفقة والمعاهدات وسائر فروع القانون .

ان رغبتنا شديدة فى تقدم البلاد ورقيتها رقيا
ديمقراطيا ، وجميع أعمالنا ومساعدتنا تهدف الى احلال
بلادنا العربية المسلمة بالمكان اللائق بماضيها المجيد .
وأملنا عظيم أن تنظر حكومة الجمهورية الفرنسية
اعتمادا الى ما بين الدولتين من روابط الصداقة الى
مطامح شعبنا بما يليق بها من العناية .



فهرس

4	الرحلة السلطانية
7	العلاقات المغربية الفرنسية
7	حرب 1939
8	مبادئ السلطان
9	السلطان وروزفيلت
13	نشأة حزب الاستقلال
13	الثورة الريفية
14	الظهير البربري
15	الحزب الوطني والحركة القومية
17	ملك المغرب والعلم
18	المدرسة المولوية
19	المطبعة السلطانية
19	تقديم طلب الاستقلال
22	الاصطدام
24	لابون
25	الاصلاحات
26	محااربة الملك للامية
26	خطاب العرش
27	المدارس الحرة
27	ولى العهد
29	أثر الملك
29	الاحزاب : الاستقلاليون والشوريون
31	جامعة القرويين
33	موقف الاستعمار من النهضة
35	سياسة القواد الكبار
38	لابون
40	طنجة مدة الحرب
55	خطاب طنجة
60	الاستعمار وخطاب طنجة
61	خطاب ولى العهد
65	خطاب الجمعة

66	خطبة أميرة النهضة
69	وداع طنجة
71	تاخر لابون
72	لابون وجوان
74	حرية الملك
76	عزل مندوب المعارف
79	تحديد نفوذ الملك
79	ظهير إعادة تنظيم المخزن
81	مهمة مندوبى الصدر الاعظم
85	اللجان المخزنية
88	حقوق الاجانب بالمغرب
89	الحالة المدنية والمجلات القانونية
91	نظام المعادن
95	سير الادارة فى نظر المخزن والاقامة
96	ظهير النقابات
98	اتصال المديرين بالملك
100	مجلس شورى الحكومة
100	موقف الاحزاب الوطنية من مجلس شورى الحكومة
103	مذكرة حزب الشورى والاستقلال
104	حق تعيين الموظفين وعزلهم
107	القواد والباشوات
109	المكتب الملكى ، الديوان
III	الرحلة الى فرنسا
114	معاهدة فاس ، الوحدة الفرنسية ، ولاية العهد ، حقوق المغاربة ..
123	النزول الى بوردو
124	اصطدام
125	حفلات بوردو
127	التوجه الى باريز
128	الوصول الى باريز
130	المذاكرة مع رجال الحكومة
137	المذكرة الاولى
138	احتفالات باريز
140	فى انتظار الجواب
142	الجواب الفرنسى
144	المذكرة الثانية
144	الجلوى والعيادى بباريز

146	نتائج السفر
148	اقتبال الشعب المغربي لملكه
151	عيد العرش
153	النتيجة النهائية للرحلة
154	رجوع الجلاوى من فرنسا
157	موقف المخزن من مجلس شورى الحكومة
158	خطاب المقيم والاشارة الى موقف الملك فى فرنسا
159	موقف نواب الجالية الفرنسية
159	افتتاح دورة القسم المغربى
161	عناصر المجلس
162	التقرير العام
163	هوية المجلس
166	النفقات الاقتصادية والنفقات الاجتماعية
167	برنامج مرشال
168	التعليم
169	المدارس الحرة واعانتها
171	الفلاحة
173	الضرائب
174	تدخل المخزن
181	تقرير الاشغال العمومية
182	طرد السيد محمد الاغزاوى
187	التجاء النواب الى جلالة السلطان
188	اجتماع المجلس الوزارى
189	عيد المولد
191	تجرب الجلاوى
196	عيد الميلاد
197	الصحافة الاستعمارية
200	بيان الصدارة
200	تصريح الجلاوى
204	ملك الامة باجمعها لا ملك حزب
205	الشيوعية
206	جريدة اللوب والصحف الفرنسية الاخرى
208	حركة الجلاوى
209	اجتماع المجلس الوزارى
210	موقف الحكومة الفرنسية
211	جوان عند السلطان

220 جوان في واشنطن ، أمريكا والمغرب
224 عرائض ضد حزب الاستقلال
225 التصريح الوزاري
226 بيان فرانس بريس وتصريح شومان
227 ابن عبد الكريم
229 اجتماع 12 يبرير
231 المجلس الوزاري
239 بين المخزن والاقامة
240 التصريح الملكي
243 اجتماع المخزن بالمستشار

72 93B N 92 I

555

1875



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

NYU - BOBST



31142 02982 4029

DT324.3.M3 M8

Ni'al mal